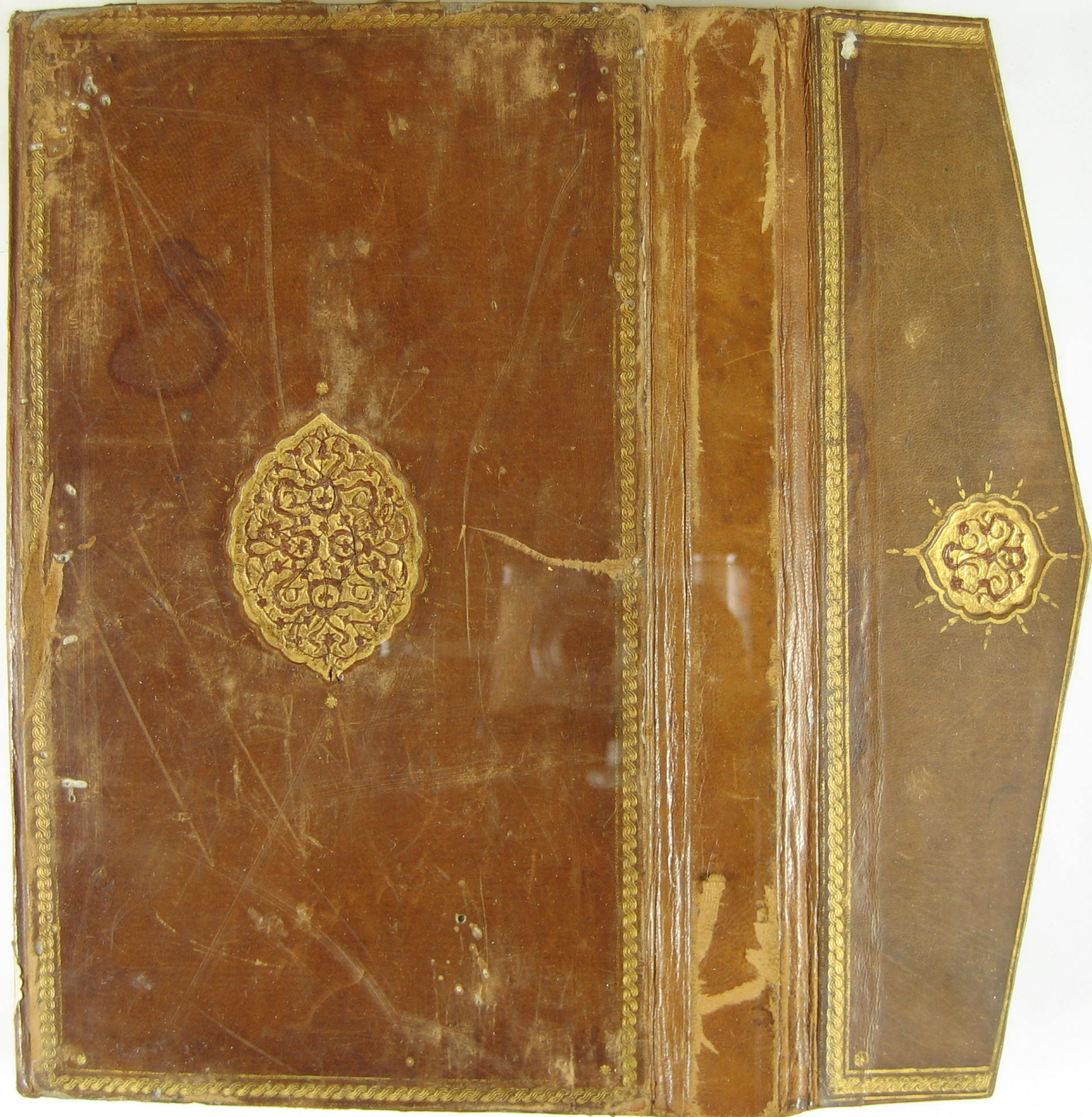
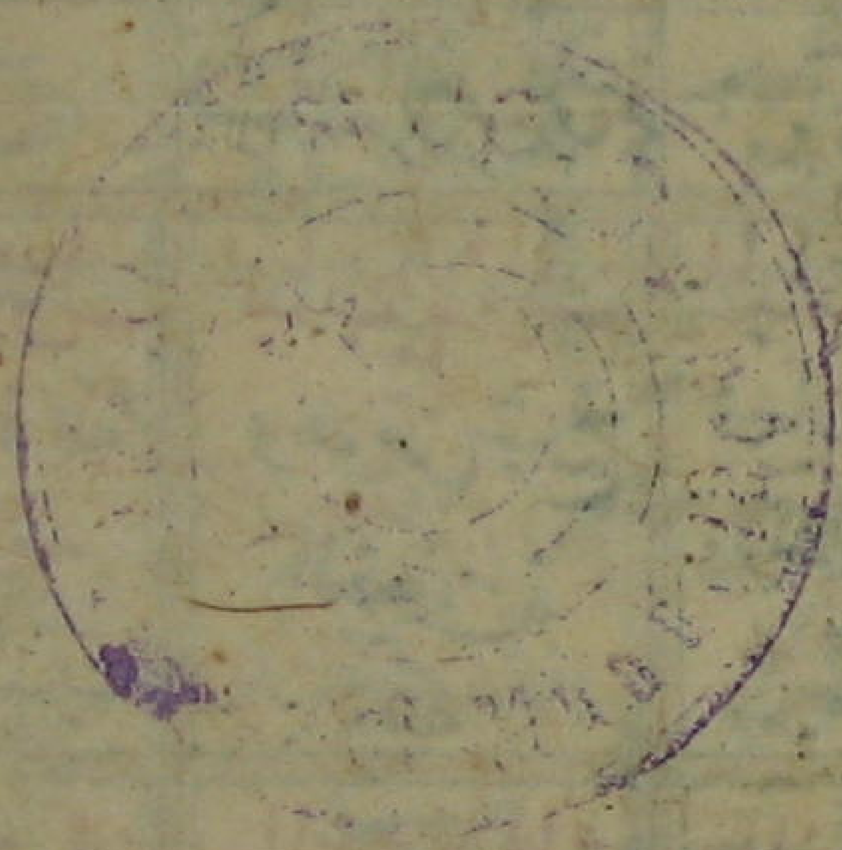




ق ١٠

كتاب رشحة النصيح من الحديث الصحيح

ومما من الله به على
العبد الفقير السيد احمد
ابن السيد محمد الحسيني
تربدار السيد الجليل ابي
الدرداء رضي الله عنه
سنة ١١٣٦



بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي جعل الارض معمورة بالنصايح الدينية ۰ وزين سماء الملة الحنيفية بنجوم الاحكام الشرعية ۰ وهدى بها من شرح صدره للاسلام الى الطريقة المحمدية ۰ ففضله على كثير من المخلوقات ورفع بعضهم فوق بعض درجات بالتكريمات الايمانية ۰ وخلصه في سلوكه باعتصامه بحبل الشريعة الاحمدية ۰ من غوائل حجب الرذائل والشبه الظلمانية وابدى من مطالع افق تلك السماء اقمار الرشد والسداد لاهل العناية والمراتب الاحسانية ۰ ثم اطلع من مشارق عنايته شموس المعارف اليقينية ۰ على قلوب عباده الذين اصطفى بالعصمة من الصفات الردية ۰ فاكملهم بالاتصاف بصفات

حنيفي وتنوخي في النسبة الى حنيف وهو الحنيف وتنوخ
وتنوخ حنفي وتنوخي وفي النسبة الى فعيلة وفعولة كحنيفة
النسبة الى الحنيف وخص الحنيف بينهما والمراد ههنا
الحق وأطلق على المسلم والدين والملة بمعنى المائل عن الباطل
الى الحق المائل فيها والحق الياء للمبالغة باعتبار
تحقق ذلك الميل خصيصة أما باعتبار دلالتها على
دين حنيفي وملة حنيفية وخاصة الشيء خاصيته كانها
المقصد كما قيل او تنتزع منه مستقيم او حركه
نفس الخصوصية ونسب اليه كما في احمدي او المراد
لاستقامة ابراهيم عليه السلام فيكون المعنى
بالحنيف المنسوب الى ابراهيم الحنيف
الملة عليه السلام منه

٢

البرية بتشديد الياء واصلها الهمزة بمعنى المخلوق والبارئ الخالق وقد تقلب همزة البارئ ياء تخفيفا او تحذف فيشبع حركة ما قبلها او بدون الياء وجاء في الاثر اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ والفرق بين البارئ والذارئ ان البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت والتنافر مميزا بعضها عن بعض بالاشكال المختلفة فقيل قلما يستعمل في غير الحيوان قال تعالى فتوبوا الى بارئكم ولا يقال برأ السموات والارض منه

2

الكمالات البهية ۰ والصلوة والسلام الاتمان الاكملان على خلاصة المقامات الاصطفائية ۰ ونقاوة المنازل الاجتبائية ۰ سيدنا وسندنا ونبينا محمد الذي ارسل رحمة للبرية ۰ وعلى آله واصحابه المتخلقين بسنته السنية ۰ ما دامت السموات والارض مشرقة بنجوم الاحكام الشرعية ومعمورة مزينة بمصابيح النصايح الدينية ۰ اما بعد فان الكتاب والسنة متطابقان والعقل والنقل متوافقان على ان الدين منحصر على شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وكلاهما حاصل بالنصيحة فالنصيحة اس الدين ودين الموحدين ورب الارباب ومسبب الاسباب جعل النصيحة الدينية والتحاب في الله والاخوة في دينه من افضل القربات والطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات والانسان لكونه مدنيا بالطبع يحتاج في تعيشه الى الدنيا للتثمر والاكتساب وليس التثمر في الدنيا

أي حاصل كلام الموحدين كما في القاموس

مقصورا دون المعاش على المعاد بل المعاش ذريعة
الى المعاد فالدنيا مزرعة الاخرة بالمناصحة بين
العباد ثم انهم فى التعيش على ثلثة اقسام
قسم شغله معاشه عن معاده وهذا ظالم
لنفسه وقسم شغله معاده عن معاشه
وهذا القسم من الفائزين وقسم شغله معاشه
لمعاده وهذا من المقتصدين الذين يجمعون
الخصال الست عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان
فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل
فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة
فطلبها ولن ينال رتبة الاقتصاد ما لم يلازم
منهج النصيحة الدينية اذ بها الرشد والسداد
لتحصيل الزاد للمعاد وهى تكمل الناقص وتصلح
الفاسد وتظهر ارادة الخير وتدل على الفوائد
وبها يحصل المعرفة باللوازم والعوائد وانما
استعد لهذه المعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارح
والعلم الذى هو فرض عين لا يحصل الا بالقلب

اى المقتصد

اى متجاوزا عن معاده

وهذه الاقسام ماخوذة من قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله مصحح

قوله الخصال الست الخ وهى فى الحقيقة تنقسم الى اثنى عشر قسما معرفة الله و طاعته ومعرفة الشيطان وعصيانه ومعرفة الحق واتباعه ومعرفة الباطل واتقاؤه ومعرفة الدنيا ورفضها ومعرفة الاخرة وطلبها وكلها ناشئة عن خشية الله واجلاله فمن خشى الله استغرق فى جلاله فلا يرى لغيره وجودا بل يرى ملكا عظيما وملكا كبيرا فهنالك يحصل ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقرير شيخنا الشيخ محمد الخليلى

قوله المعرفة اى المتعلقة بالله ورسله وكتبه وباصول الدين وفروعه وخفيه وبطرق النصيحة الآتية من كلام الآتى بتقرير شيخنا محمد ح

٣

3

بلا مين فالمعرفة مطلوبة اطلبوا العلم ولو بالصين
وهى انما تحصل بالنصيحة الجامعة لاركان
الدين روى مسلم فى صحيحه عن تميم الدارى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدين
النصيحة ثلثا قلنا لمن يا رسول الله قال لله
ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم
وهكذا رواه البخارى فى صحيحه الا انه ليس
فى روايته ثلثا ولكتابه وروى البخارى ومسلم
ايضا عن جرير رضى الله عنه قال بايعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلوة وايتاء
الزكوة والنصح لكل مسلم وفى رواية اخرى بايعت
النبى صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
فلقننى فيما استطعت والنصح لكل مسلم قاله
النووى ومما يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة
لجرير رضى الله عنه رواها الحافظ ابو القاسم
الطبرانى باسناده اختصارها ان جريرا امر
مولاه ان يشترى له فرسا فاشترى له فرسا

المين الكذب وجمعه ميون يقال اكثر الظنون ميون صح

قوله منقبة ومكرمة الخ فتامل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كانوا يعملون بما يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا فتح عليهم قاصى الارض ودانيها كما وقع لامير المومنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم تقرير شيخنا

بثلثمائة درهم وجاء بصاحبه لينقده الثمن
فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلثمائة
درهم اتبيعه باربعمائة قال ذلك اليك يا ابا عبد
الله فقال فرسك خير من ذلك اتبيعه بخمسمائة
ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى و
جرير يقول فرسك خير الى ان بلغ بها ثمانمائة درهم
فاشتراه بها فقيل له فى ذلك فقال انا بايعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم
قالوا ان هذا الحديث احد ارباع الاسلام اى
احد الاحاديث الاربعة التى تجمع امور الاسلام
وقال النووى ليس كما قالوه بل المدار على هذا وحده
وظاهر معنى الحديث ان يكون معظم اركان الدين
او قوام الدين النصيحة على حذف المضاف ويحتمل
ان يكون على ظاهره لان كل عمل لا يراد به الاخلاص
فليس من الدين والملة فاذا عرفت هذا فاعلم ان
المآرب فى الدنيا كثيرة لكن ازهدها حالا واوماً لا
وانفعها منقبة واكملها مرتبة وجمالا

قوله ان هذا الحديث الخ يعنى حديث
تميم السابق لا انه اعم من حديث
جابر تقرير شيخنا العلامة
محمد
خ

وذلك لان العمل بلا اخلاص كالجسد
بلا روح ولا قوى للعمل الا بالاخلاص
وحقيقته ان لا يراد بالعمل الا الله
تعالى وهذا له حالتان ارادة الله
لاجل الثواب ودفع العقاب
فهذا عمل التجار وارادة الله لذاته
لكونه اهلا ان يعبد وينصرف
عما سواه وهذا فعل الابرار
تقرير شيخنا
العلامة
محمد

هى النصيحة اذ بها يحصل المعارف الدينية
والمعالم اليقينية فيدور عليها الفوز بالسعادة
العظمى والكرامة الكبرى فى الاولى والاخرى
فلهذا اردت شرح النصيحة بجمع الاخبار
الصحيحة والآثار والحكم الفصيحة من الكتب
المعتبرة المشهورة والاقوال المرغوبة المنصورة
فمن جملتها من التفاسير التفسير الكبير وتفسير
القاضى البيضاوى وتفسير القاضى عضد الدين
وتفسير النيسابورى ومن كتب الاحاديث
الجامع الصحيح للبخارى والجامع الصحيح لمسلم
والمصابيح والمشارق وشرح البخارى للعينى
وابن حجر وشرح مسلم للنووى واتقان السيوطى
ومن اصول الكلام شرح عقايد السنوسى
والرسالة القدسية للغزالى والمسايرة لابن
الهمام وشرح المواقف ومن اصول الفقه
البزدوى وشرحه التقرير ومن الفتاوى
التاتارخانية وفتاوى قاضيخان والمحيط

اى المرغوب فيها

السرخسي والفتاوي الظهيرية ومختارات النوازل
والخلاصة والهداية ومن كتب الزهد احياء العلوم
والطريقة المحمدية ومن كتب المواعظ والحكم
في نصيحة الملوك سراج الملوك وسميته
رشحة النصيح من الحديث الصحيح ورتبته على
خمسة مقاصد بعدد النصايح الخمس التي هي
كالمراصد والتزمت ان اورد في كل مقصد شرحه
الذي قاله شارحوا الصحيحين بالوفاق كالامام
النووي والعيني وغيرهما ممن يعتني بشانهم
في علم الحديث على الاتفاق وبعد هذا بوبته ما
قالوه في هذا المقصد وجعلته كالاصول
وجمعت في كل باب ما فيه من الايات والاخبار
والاثار في ضمن الفصول الا ان المقصد الرابع
على مسلكين كما نسكوا اذ الاقتداء بهم لازم
على كل من سلكوا وقصارى ما في هذا الجمع المكسر
على ابواب مقاصد النصايح والفصول وهو الجمع
السالم عما سوى الترغيب والترهيب ان يتلقاه

الناظرون

الناظرون اليه بالقبول فالمرجو من فضل الله
الكريم ان يوفقنا بلطفه الجسيم وان يجعله
خالصا لوجهه بكرمه العميم انه هو البر الرحيم
وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير
المقصد الاول في النصيحة لله وهي ان
ترجع الى الايمان به ونفي الشرك عنه وترك
الالحاد في صفاته وان تصفه بما هو اهل له من
صفات الكمال وان تنزهه عن النقايص مع القيام
بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من اطاعه
ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره
عليها والاخلاص في جميع الامور وحقيقة هذه
الاوصاف راجعة الى العبد في نصيحة نفسه هذا
ما قالوه في هذا المقصد وهو على خمسة ابواب
ولنقدم مقدمة في بيان الدين قبل النصيحة
من قوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة
المقدمة في تفسير الدين اعلم ان الدين يجيء لمعان
بمعنى الجزاء ومنه الديان في صفة الله تعالى

الدين وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود
الى ما هو خير لهم بالذات ينسب الى الله تعالى لصدوره
عنه سبحانه وتعالى والى النبي عليه السلام لظهوره منه
والى الائمة لتدوينهم والى الامة لتدينهم به
وانقيادهم له
[illegible]

قال جل وعلا مالك يوم الدين وبمعنى الطاعة
قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام والاسلام
في اللغة الانقياد والدخول في السلم او السلامة
او اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشيء اي خلص
له وهو في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار
باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد
الكلي في الظاهر والباطن وهو المراد ههنا اي
الدين المرتضى هو دين الاسلام ومنه قوله تعالى
الا لله الدين الخالص فادعوا الله مخلصين له
الدين وبمعنى الشريعة لقوله تعالى شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما
وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
ولا تتفرقوا فيه الاية اي شرع لكم من الدين دين
نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرايع وهو
الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا
الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة

في احكام الله ولا تتفرقوا فيه اي ولا تختلفوا
في هذا الاصل واما قوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا فلان فروع الشرايع مختلفة
فان فسر الدين بالشريعة فيكون الاسلام الاركان
الخمسة كما في حديث جبرئيل عليه السلام ما الاسلام
وتفسير الدين بالشريعة شايع فمنه ما رواه
البخاري في صحيحه انه قال صلى الله عليه وسلم
الدين يسر اي ذو يسر على سبيل المبالغة من قبيل
ابو حنيفة رحمة الله عليه فقه ورجل عدل
ومن هذا القبيل ايضا الدين النصيحة فالالف
واللام في الدين للعهد وهو دين الاسلام واليسر
بضم السين وسكونها نقيض العسر ومعناه
التخفيف ثم كون هذا الدين يسرا يجوز ان يكون
بالنسبة الى ذاته ويجوز ان يكون بالنسبة الى
ساير الاديان وهو الظاهر لان الله تعالى رفع
عن هذه الامة الاصر الذي كان على من قبلهم
كعدم جواز الصلوة الا في المسجد وعدم الطهارة

بالتراب وقطع الثوب الذي يصيبه النجاسة وقول
التوبة بقتل انفسهم ونحو ذلك فان الله تعالى من
لطفه وكرمه رفع هذا عن هذه الامة رحمة لهم
قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ويجئ
الدين بمعنى الملة قال تعالى قل انني هداني ربي
الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا
وما كان من المشركين امر سبحانه وتعالى بان
يقول النبي صلى الله عليه وسلم انني هداني
ربي صراطا مستقيما دينا قيما وهو الملة الحنيفية
التي لا يخاف منها الضلال وقال تعالى ومن
يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله
اصطفى لكم الدين وقال تعالى ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم
حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا اي من احسن

دينا

دينا ممن اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه
او ممن يذل وجهه في السجود وهو آت بالحسنات
تارك للسيئات واتبع ملة ابرهيم الموافقة لدين
الاسلام المتفق على صحتها مائلا عن سائر الاديان
وقال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم
حنيفا الاية فعلى هذا يكون الملة والدين واحدا
ومنه ما رواه البخاري في صحيحه من قول النبي
صلى الله عليه وسلم احب الدين الى الله الحنيفية
السمحة اي احب الدين المعهود وهو دين الاسلام
الملة الحنيفية السهلة التي لا حرج فيها ويدل
عليه ما رواه احمد في مسنده بسند صحيح من
حديث اعرابي لم يسم انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول خير دينكم ايسره والملة
الحنيفية الملة الابرهيمية مقتبسا من قوله
تعالى بل ملة ابرهيم حنيفا والحنيف عند العرب
من كان على ملة ابرهيم عليه السلام ثم سموا
من اختتن وحج البيت حنيفا والحنيف المائل

لا يخفى من صريح هذه الاية ان كل من
قطع سماط ابرهيم عليه السلام او سعى
في قطعه انه رغب عن ملة ابرهيم و
سفه نفسه لان اقرا الضيف من
جملة ما خصه الله به من الفضائل
حتى لو كان مثل هذا السماط منسوبا
لغير ابرهيم عليه السلام لكان المانع
له والقاطع له راغبا عن ملة ابرهيم
بل وملة محمد صلى الله عليه وسلم الملتان
لان مثل ذلك مما توافق عليه الانبيا الكرام
كيف وذلك منسوب لابي الانبيا و
شيخ المرسلين العظام على نبينا وعليه
السلام فليتق الله من سعى في قطعه
وليحذر عقوبة الله وغضب
انبيائه عليهم الصلاة والسلام
كيف لا وهم قادتنا وسادتنا
وشفعاؤنا عند الله عز وجل
تقرير شيخنا الشيخ
محمد الخليلي

عن الباطل الى الحق وسمى ابرهيم حنيفا لانه مال
عن عبادة الاوثان فالملة السمحة التى لا حرج
فيها ولا تضييق على الناس هى ملة الاسلام
وفى شرح المواقف الدين والملة متحدان بالذات
ومختلفان بالاعتبار فان الشريعة من حيث انها
يطاع بها تسمى دينا ومن حيث يجتمع عليها تسمى
ملة واما التحقيق فى دفع ما يقال من ان ملة
ابرهيم عين ملة محمد صلوات الله عليهما فى
الاصول والفروع او هما متحدان فى الاصول
كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق
ولكنهما مختلفان فى فروع الايمان ولا سبيل الى
الاول والا لم يكن شرع محمدنا ناسخا لسائر الشرايع
ولا الى الثانى لانه يلزم ان يكون محمد صلى الله
عليه وسلم ايضا راغبا عن ملة ابرهيم ولان
الاعتراف بالاصول لا يقتضى الاعتراف بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فبان يقال ان المختار
اتحاد الملتين فى الاصول فقط ولكن نبوة محمد

متعلق بالتحقيق

الدين والملة والشريعة والناموس متحدة بالذات ومختلفة بالاعتبار
او الطريقة المخصوصة الثابتة من النبى عليه الصلوة والسلام
من حيث الانقياد لها تسمى دينا ومن حيث يرد بها الوارد
المتعطشون الى زلال نيل الكمال تسمى شريعة ومن حيث
يجتمع عليها الناس من القبول تسمى ملة ومن حيث انه يأتى به
ملك اسمه ناموس ناموسا
صح مطول

صلى

صلى الله عليه وسلم من جملة الاصول التى
مهدها ابرهيم عليه السلام والمراد بملة ابرهيم
فى الاية اصولها التى لا تختلف بمر الاعصار
وكر الدهور فلا يلزم ان يكون محمد صلى الله عليه
وسلم راغبا عنها لانه امر باتباعها ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعلم ان
الملل الموجودة فى العالم بحسب العدد ستة وهى
مذكورة بقوله تعالى ان الذين امنوا والذين
هادوا (اى اليهود) والنصارى والصابئين والمجوس والذين
اشركوا الاية ثم الاختلافات الاخر بين المعتقدين
للملل كلها داخلة تحت هذه الستة بل مرتقية
باسرها الى هذه الستة ثم ان الملل الستة لن
تتجاوز الاربعة وهى الاعتقادات والعبادات
والمعاملات والمزاجر ثم الاعتقادات لن تتجاوز
هذه الاصول وهى الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره
من الله تعالى ولا اختلاف بين اهل الملل فى ان

الجاحد لواحد من هذه المذكورة في قوله تعالى
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا لن يعد مليا و
كذلك امر العبادات لن يتجاوز الاصول الخمسة
وهي العبادات النفسانية اعني الصلوة والعبادة
البدنية اعني الصيام والعبادة المالية اعني
الزكوة والعبادة المشتركة اعني الحج والعبادة
الملكية اعني الجهاد وكذلك امر المعاملات لن
تتجاوز الخمسة وهي المناكحات والمعاوضات
والمخاصمات والمعاونات والمواريث وكذلك
المزاجر على هذه الخمسة فالمتدين لن يقع له خلاف
في شيء من اصول الدين وفروعه الا مع واحد
من الطبقات الثلث احديها الطبقة المشاركة
في ملته وهي المعترف بنبوة نبيه صلى الله عليه
وسلم كالخلاف بين المجبرية والقدرية في خلق
الافعال البشرية والخلاف بين المجسمة والجهمية
في صفات خالق البرية وثانيتها الطبقة المباينة

له في دينه المنابذة لكل من يعتزي الى ملته
كالخلاف بين اليهود والنصارى في نبوة المسيح
صلوات الله على نبينا وعليه وثالثتها الطبقة
المعاندة للاديان كلها المخالفة لاوضاع
الملل باسرها كالخلاف بين الدهرية والالهيين
في اثبات الحق ووجوده فاما الخلاف بين اهل
الملة الواحدة فقسمان احدهما المتعلق بصناعة
الكلام وهو راجع في الحقيقة الى هذه الاصول
الاعتقادية والثاني المتعلق بصناعة الفقه وهو
راجع في الحقيقة الى الثلثة اعني العبادات
والمعاملات والمزاجر وليس للخلاف المتعلق بصناعة
الفقه كثير آفة فان المخطئ فيها عند ارباب
المذاهب كلها يكون معذورا ومأجورا عند الله
تعالى فاما المتعلق بصناعة الكلام فيتنوع نوعين
منه ما يكون مجراه مجرى الاصول ومنه ما يكون
مجراه مجرى الفروع واعني بالاصول ما يتعلق
بالمعاني الخمسة التي سبق ذكرها واعني بالفروع

القدرية
يقولون العبد خالق لافعاله

الجبرية
يقولون لا اختيار ولا كسب للعباد بل كل افعالهم مخلوق الله تعالى

الرفضية
بعضهم يتخذون عليا رب العالمين وبعضهم يتخذونه نبيا

الخارجية
يجتمعون على تكفير من اذنب كبيرة وعلى تكفير علي رضي

المشبهة
يشبهون الخالق بشيء ويثبتون له الجوارح

المرجية
يقولون لا يضر مع الايمان معصية

مثل الخلاف في ان ترك الفعل فعل وليس بفعل
وان الاعراض تبقى ولا تبقى وليس ايضا للخلاف
الجاري مجرى الفروع كثيرا فان المخطي فيها
عند ارباب المذاهب كلها لن يستحق البراءة عنه
فاما الجاري منها مجرى الاصول فاما ان يكون
الفرقة المخطئة راجعا الى معرفة الله تعالى او الى
معرفة كتبه ورسله او الى معرفة الملائكة او
الى معرفة المعاد وهذه بعينها هي فات الخلاف
الواقع بين اهل الملل المختلفة وفي اصول البزدوي
ودلت المسائل المتفرقة عن اصحابنا في المبسوط
وغير المبسوط على انهم لم يميلوا الى شيء من مذاهب
اهل الاعتزال والى ساير اهل الاهواء وفي التقرير
قيل اهل الاهواء تفرقوا اولا ست فرق القدرية
والجبرية والرفضة والخارجية والمشبهة والمرجية
ثم تفرق كل فرقة اثني عشر فرقة فصاروا اثنين
وسبعين فرقة وقد دلت مسائل اصحابنا في كتبهم
على انهم لم يميلوا الى شيء من مذاهبهم ثم قال

ان

10

ان الشيخ رحمة الله عليه نفى عنهم مذهب الاعتزال
اولا ثم نفى مذهب جميع اهل الاهواء لان
المعتزلة اكثرهم خلافا في المسائل والد لائل
ويدعون ان اصحابنا كانوا على مذهبهم لا غير
فنفى ذلك اولا للاهتمام انتهى فمن كانت الحكمة
سجيته ولم يكن الانف والتعصب افته واليه
يرجع قوله تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما
وجدتم عليه اباءكم اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون ولم يتعذر عليه ايثار ما هو
الاشرف ولن يقع له خلاف في شيء من اصول الدين
وما يجري مجراها فيكون مؤمنا حقا ويعرف مرتبة
الايمان والاسلام والاحسان ويعبد الله الملك
الديان وهو يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
الباب الاول وهو من شرح النصيحة لله
في بيان ان ترجع الى الايمان ثم اعلم ان الايمان
والاسلام واحد في عرف الشرع وهو تصديق
النبي صلى الله عليه وسلم في جميع ما علم

السجية
الخلق والطبيعة
صح

بالضرورة مجيئه به واقراره به والاعمال الخارجة
عن حقيقته فلا يزيد ولا ينقص وان الايمان اقرار
باللسان ومعرفة بالقلب على قول الامام الاعظم
ابي حنيفة رحمة الله عليه وعامة الفقهاء ثم
اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة
فمنهم من فسرها بالاعتقاد الجازم اعتقادا تقليديا
او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين
يحكمون ان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم
الصادر عن الاستدلال وثانيهما اختلفوا في ان
العلم المعتبر في تحقيق الايمان بماذا قال بعض المتكلمين
هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال
ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى
لا جرم اقدم كل طائفة على تضليل من عداه من الطوائف
فقال الجمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج الايمان
مجموع ثلثة امور اعتقاد بالحق والاقرار به
والعمل بمقتضاه فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو
منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل

ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج عن
الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وفي اصول
البزدوي وصنف ابو حنيفة رحمه الله كتاب
العالم والمتعلم وكتاب الرسالة وقال فيه لا
يكفر احد بالذنب ولا يخرج به من الايمان ويترحم
له وكان اماما صادقا في علم الاصول وقد صح
عن ابي يوسف رحمه الله انه قال ناظرت ابا حنيفة
في مسئلة خلق القرآن ستة اشهر فاتفق رأيي
ورأيه ان من قال بخلق القرآن هو كافر وقد صح
هذا القول عن محمد انتهى وفي المصابيح عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه بينما نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع علينا رجل شديد
بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر
السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي صلى الله
عليه وسلم واسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع
يديه على فخذيه فقال يا محمد اخبرني عن الايمان
فقال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره
فقال لصدقت قال فاخبرني عن الاسلام قال الاسلام
ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان
وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت
قال فاخبرني عن الاحسان قال الاحسان ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال
فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤل عنها باعلم من
السائل قال فاخبرني عن اماراتها قال ان تلد
الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة
رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبثت
مليا ثم قال لي يا عمر اتدري من السائل قلت
الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل اتاكم يعلمكم
امر دينكم وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه وايضا
في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

اذا تاملت معنى الاحسان
رايته جامع النصيحة التي هي
موضوع الكتاب سعهح

وبذلك يعلم ان من يؤذي
المسلمين بيده ولسانه
ليس بمسلم اي كامل
الايمان
شمح

ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم اي
الاسلام خير فقال تطعم الطعام وتقرأ السلام
على من عرفت ومن لم تعرف وعنه رضي الله عنهما
ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
والحج وصوم رمضان فثبت بهذا حصول الاسلام
بالشهادتين من غير اقامة الدلائل وكان دليلا
على جواز ايمان المقلد ونفيا لمذهب بعض المعتزلة
وفي المصابيح عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع
وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة
من الايمان وفي التفسير الكبير قالت المعتزلة لفظ
الايمان والكفر والصلوة والزكوة والحج الفاظ
شرعية لا لغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه
الالفاظ عن مسمياتها اللغوية الاصلية الى

مسميات اخرى وعندنا ان هذا باطل وليس للشرع
تصرف فى هذه الالفاظ الا من وجه واحد وهو
انه خصص هذه الاسماء بنوع واحد من مسمياتها مثلا
الايمان عبارة عن التصديق فخصصه الشرع بنوع معين
من التصديق والصلوة عبارة عن الدعاء فخصه
الشرع بنوع معين من الدعاء وكذلك القول فى
البواقى ودليلنا على صحة مذهبنا قوله تعالى
قرانا عربيا وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه انتهى وقال بعضهم المراد بالاعمال
ههنا ثمراته الا ترى انه من اسلم ولم يمط الاذى
وهو الذى يؤذى المار كالحجر والشوك وغيرهما
من الطريق لم يكن قادحا فى ايمانه واذا كان المراد
به ثمراته لم يقع بينه وبين حديث سؤال جبرئيل
مدافعة قال حجة الاسلام فى الاحياء ان الايمان
تارة يخص فى الاطلاق بالتصديقات باصول الدين
وتارة يخص بالاعمال الصادرة عنها وتارة يطلق
عليهما جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب

ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان
نيفا وسبعين بابا انتهى وقال فى التاتارخانية
سئل ابو بكر العياضى عن الايمان ايزيد وينقص ام
لا فقال الايمان فى اللغة على انواع ووجوه الايمان
الذى هو لحق العبد من حالة الكفر الى حالة الاسلام
لا يزيد ولا ينقص فالايمان الذى هو عبارة عن
اليقين كقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم و
نحو ذلك فانه يحتمل الزيادة والنقصان وقال
ابو القاسم الحكيم وجدت التوحيد بين الناس على
وجهين توحيد متفق على صحته وتوحيد مختلف
فى صحته فالاول هو الذى عليه عوام الناس و
العجائز والتوحيد الذى يختلف فى صحته هو التوحيد
الذى اختلف الناس فى فروعه فيكفر بعضهم قال
وانا اختار الذى لم يختلف فيه احد وانه صحيح
وهو التمسك بالجملة التى عليها عوام الناس وبالله
التوفيق انتهى وقال بعضهم ان شعب الايمان و
ان كانت متعددة الا ان حاصلها يرجع الى اصل

واحد وهو تكميل النفس على وجه به يصلح معاشه
ويحسن معاده وذلك بان يعتقد الحق ويستقيم
فى العمل قال صلى الله عليه وسلم لسفيان الثقفى
حين سأله فى الاسلام قولا جامعا قل امنت
بالله ثم استقم فالاصل الواحد فى الحقيقة اعتقاد
الحق والاستقامة فى العمل والاعتقاد يتشعب
الى ستة عشر شعبة طلب العلم ومعرفة الصانع
وتنزيهه عن النقايص وما يتداعى اليها والايمان
بمثل الحيوة والعلم والقدرة والاقرار بالوحدانية
والاعتراف بان ما عداه صنعه لا يوجد ولا يعدم
الا بقضائه وقدره والايمان بملئكته وتصديق
رسله وحسن الاعتقاد فيهم والعلم بحدوث العالم
واعتقاد فنائه على ما ورد به التنزيل والجزم بالنشأة
الثانية واعادة الارواح الى الاجساد والاقرار
باليوم الاخر والعمل ينقسم الى ثلثة اقسام احدها
ما يتعلق بالمرء نفسه ظاهرا وباطنا اما ما يتعلق
بالظاهر ويسمى فن العبادات فشعبها ثلث عشرة

طهارة البدن عن الحدث والخبث واقامة الصلوة
وايتاء الزكوة والقيام بامر الجنائز وصيام رمضان
والاعتكاف وقراءة القران وحج البيت والعمرة
وذبح الضحايا والوفاء بالنذر وتعظيم الايمان
واداء الكفارات واما ما يتعلق بالباطن فحاصله
تزكية النفس عن الرذائل واصول شعب الرذائل
عشرة شره الطعام وشره الكلام وحب الجاه
وحب المال وحب الدنيا والحقد والرياء والعجب
والكبر والتخلية عن الكمالات واما امهات تزكية
النفس فثلث عشرة التوبة والخوف والرجاء والزهد
والحياء والشكر والوفاء والصدق والصبر والاخلاص
والمحبة والتوكل والرضاء بالقضاء والقسم الثانى
ما يتعلق به وباهل منزله وخواصه وشعبها ثمان
التعفف عن الزنا والنكاح والقيام بحقوقه والبر
بالوالدين وصلة الرحم وطاعة السادة والاحسان
الى المماليك والعتق والقسم الثالث ما ينوط به
صلاح العباد وشعبه سبع عشرة القيام بامان

وهو غلبة الحرص على تناول الطعام
قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم
وعاءً شرًا من بطنه صح

المسلمين واتباع الجماعة ومطاوعة اولى الامر
والمعاونة على البر واحياء معالم الدين ونشرها
والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ الدين
بالزجر عن الكفر ومجاهدة الكفار والمرابطة في
سبيل الله وحفظ النفس بالكف عن الجنايات
واقامة حقوقها من القصاص والديات وحفظ
اموال الناس بطلب الحلال واداء الحقوق والتجافي
عن المظالم وحفظ اللسان عن اعراض الناس
واقامة حدود الزنا والقذف وصيانة العقل
بالمنع عن تناول المسكرات بالتهديد والتاديب
عليه ودفع الضرر عن المسلمين ومن هذا القبيل
اماطة الاذى عن الطريق والتوفيق من ولي
التوفيق **الباب الثاني** في بيان نفي الشرك
عنه وترك الالحاد في صفاته وان يصفه بما هو
اهل له من صفات الكمال وينزهه عن النقايص
وهذا البيان في ضمن بيان معنى كلمة التوحيد
اعلم ان الواجب على كل عاقل ان يهتم لدينه

وينظر لعواقب امره وان يصحح اعتقاده في واحد
واحد من معتقدات اهل السنة وان يعتصم من
مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين
وعقايدهم بالمنهج المبين فاهل السنة جمعوا
بالقبول بين نتايج العقول وقضايا الشرع المنقول
وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا
الله محمد رسول الله متحقق الاحاطة بما يدور
عليه الشهادة من الاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة
على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات
صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول
فعلموا ان كل ركن من هذه الاربعة يدور على ما
ذكر من الاصول الركن الاول وهو اثبات ذات
الاله تعالى وتقدس يدور على المعرفة بوجوده تعالى
وقدمه وبقائه وانه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض
وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا بمكان وانه مرئي
وانه واحد الركن الثاني وهو اثبات صفاته تعالى
يدور على العلم بكونه منزها عن الحوادث وان له

وفي شرح المسايرة ولا اعلم احداً من الحنفية جوز عقلاً تكليف ما لا يطاق فهم في هذا مخالفون للاشعرية
في تجويزهم اياه عقلاً والمراد انهم يمنعون التكليف بالممتنع لذاته اما الممتنع لتعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه
كايمان من علم الله تعالى انه لا يؤمن فان التكليف به جائز عقلاً واقع وفاقاً انتهى وبالجملة ان العلم
بعدم الايمان ليس تكليفاً بعدم الايمان حتى لا يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بامر ممكن لذاته ممتنع
لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع فلا يلزم ما قاله الاشاعرة من ان تكليف
من مات على الكفر كابي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين منه

صفات قديمة قائمة بذاته لا هو ولا غيره وهي الحياة
والعلم والقدرة والسمع والبصر والارادة والكلام
والتكوين ايضاً عندنا من صفاته القديمة القائمة
بذاته تعالى خلافاً للاشاعرة فانه المراد بصفات
الافعال التي تدل عليها نحو قوله تعالى الخالق
البارئ المصور ونحو الرازق والمحيي والمميت صفات
تدل على تأثيره وتلك الصفات لها اسماء غير اسم
القدرة باعتبار اسماء اثارها وكل تلك الصفات
يجمعها اسم التكوين يصدق على كل منها فان كان
ذلك الاثر رزقاً فالاسم الرازق والصفة الترزيق
ومخلوقاً فالاسم الخالق والصفة الخلق وغير ذلك
والكل التكوين الركن الثالث وهو اثبات افعاله
تعالى يدور على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى
وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة لله تعالى وانه
متفضل بالخلق وانه ليس له تكليف ما لا يطاق
مما كان ممتنعاً لذاته واما اذا كان ممتنعاً لتعلق
علم الله تعالى بعدم وقوعه كايمان من علم الله تعالى

16

انه لا يؤمن فان التكليف به جائز عقلاً ولا يجب
عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان
في بعثة الانبياء حكمة وان نبوة نبينا خاتم
الانبياء صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات
وان شريعته ناسخة للشرائع التي قبلها الركن
الرابع وهو السمعيات يدور على اثبات الحشر والنشر
وعذاب القبر وسؤال المنكر ونكير والكتاب والميزان
والصراط وخلق الجنة والنار واحكام الامامة
وفضل الصحابة الاربعة على حسب ترتيبهم في الخلافة
اذ كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يأخذهم في الله
لومة لائم فهم على الحق هذا وسئل بعضهم عن
الله تعالى فقال ان سألت عن ذاته فليس كمثله شيء
وان سألت عن صفاته فهو احد صمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً احد وان سألت عن اسمه فهو الذي
لا اله الا هو الرحمن الرحيم وان سألت عن فعله
فكل يوم هو في شان والقول في الاستواء ما قاله
انس بن مالك رضي الله عنه حين سئل عن ذلك

فقال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والايمان
به واجب والسؤال عنه بدعة واعلم ان الدعوة
الخلق الى التوحيد بعث الله الانبياء ليقولوا لا اله
الا الله وما امروا ان يقولوا للعالم اله فان ذلك كان
مجبولا فى فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم قال تعالى
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله
التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وكم من
شواهد الحق ان ما يغنى عن البرهان وان المعانى
المقدرة عقلا فى لا اله الا الله باعتبار معنى المستثنى
منه والمستثنى اربعة ثلثة منها باطلة والرابع
ينقسم الى قسمين واحد قسميه ايضا باطل والاخر
هو الذى يصح من الاقسام كلها فالثلاثة الباطلة
ان يكون المستثنى منه والمستثنى جزئيين او كليين
او الاول جزئى والثانى كلى والرابع ان يكون الاول
كليا والثانى جزئيا فان كان المراد بالكلى الذى
هو الاله مطلق المعبود لم يصح لكثرة المعبودات

الباطلة كالنار والشمس والملئكة والاصنام
والاوثان الى غير ذلك وان كان المراد بالكلى
المعبود بحق وهو المستغنى عن كل ما سواه والمفتقر
اليه كل ما عداه صح فلا يصح من هذه الاقسام
كلها الا ان يكون المستثنى منه كليا بمعنى المستغنى
عن كل ما سواه والمفتقر اليه كل ما عداه فالمنفى
كل فرد من افراد حقيقة المستثنى منه غير خالق
العالم جل شانه وعظم برهانه والمثبت من تلك
الحقيقة فرد احد صمد واحد بالوحدانية الذاتية
والصفاتية والافعالية وكلها واجبة له تعالى
واما الاتيان بالا فى هذه الكلمة السعيدة فلقصد
دلالته عليه تعالى بمعنى انه لا يمكن ان يوجد عقلا
ولا شرعا تلك الحقيقة لغيره تعالى فيظهر بهذا
اندراج جميع عقايد الايمان تحت معنى هذه
الكلمة الشريفة اذ معنى الالوهية استغناء
الاله الموصوف بها عن كل ما سواه مطلقا وافتقار
كل ما سواه اليه مطلقا فمعنى لا اله الا الله

لا مستغنى عن كل ما سواه مطلقا ومفتقر اليه كل
ما عداه ابتداء بالايجاد ودواما بالامداد الا الله
تعالى واما استغناؤه عز وجل عن كل ما سواه
فهو يوجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء
ومخالفته للحوادث والقيام بنفسه والتنزه عن
النقايص ويدخل في ذلك وجوب السمع له تعالى
والبصر والكلام اذ لو لم يجب له هذه الصفات
لكان محتاجا الى المحدث او المحل او من يدفع عنه
النقايص ويؤخذ منه تنزهه تعالى عن الاغراض
في افعاله واحكامه والا لزم افتقاره تعالى الى
ما يحصل غرضه كيف وهو عز وجل الغني عن كل ما
سواه وكذا يؤخذ منه ايضا انه لا يجب عليه فعل
شيء من الممكنات ولا تركه اذ لو وجب عليه تعالى
شيء منها عقلا كالثواب مثلا لكان عز وجل مفتقرا
الى ذلك الشيء ليتكمل به اذ لا يجب في حقه تعالى
الا ما هو كمال له كيف وهو عز وجل الغني عن كل ما
سواه واما افتقار كل ما سواه اليه عز وعلا فهو

يوجب له تعالى الحياة وعموم القدرة والارادة
والعلم اذ لو انتفى شيء منها لما امكن ان يوجد
شيء من الحوادث فلا يفتقر اليه شيء كيف وهو
الذي يفتقر اليه كل ما سواه ويوجب له ايضا
الوحدانية اذ لو كان معه ثان في الالوهية
لما افتقر اليه شيء للزوم عجزهما ح كيف وهو
الذي يفتقر اليه كل ما سواه ويؤخذ منه ايضا
حدوث العالم باسره اذ لو كان شيء من العالم قديما
لكان واجب الوجود لا يقبل العدم فان من ثبت
قدمه استحال عدمه واذا كان لا يقبل العدم لا
سابقا ولا لاحقا لم يفتقر الى مخصص كيف وكل ما
سواه يفتقر اليه كل الافتقار فوجب الحدوث لكل
ما سواه عز وجل وكذا يؤخذ منه ايضا ان لا
تأثير لشيء من الكائنات في اثر ما والا لزم ان يستغني
ذلك الاثر عنه تعالى اذ لو خرج عن قدرته تعالى
ممكن ما لم يكن ذلك الممكن مفتقرا اليه تعالى بل
انما يفتقر الى من اوجده كيف وكل ما سواه مفتقر

اليه غاية الافتقار وبهذا يبطل مذهب القدرية
القائلين بتأثير القدرة الحادثة في الافعال الاختيارية
مباشرة وتوليداً ويبطل مذهب الفلاسفة
القائلين بتأثير الافلاك والعلل ويبطل مذهب
الطبايعيين القائلين بتأثير الطبايع والامزجة
ونحوها ككون الطعام يشبع والماء يروي والنار
تحرق ونحو ذلك وهم في اعتقادهم التأثير لتلك
الامور مختلفون فمنهم من يعتقد ان تلك الاشياء
تؤثر فيما قارنها بطبعها وحقيقتها ولا خلاف في
كفره ومنهم من يعتقد انها تؤثر بقوة جعلها الله
تعالى فيها وقد تبع الفيلسوفي في هذا كثير من عامة
المؤمنين ولا خلاف في بدعته والمؤمن الكامل
لا يعتقد لها تأثيراً اصلاً لا بطبعها ولا بقوة
وضعت فيها وانما الله سبحانه وتعالى اجرى العادة
بمحض اختياره ان يخلق تلك الاشياء عندها وما
قارنها يصح تخلفه عنها فقد تكون النار ولا يوجد
الاحراق كنار ابرهيم والسكين ولا يوجد القطع

كقصته مع ابنه عليهما السلام حكى عن واحد من
الثقات انه قال اتفق لنا في مجلس حضرناه وقد
جاء شخص ينكر النبوة وما ظهرت به الانبياء من
خرق العوائد وان الحقايق لا تتبدل وكان زمن
البرد والشتاء وبين ايدينا منقل عظيم يشتعل
ناراً فقال المنكر ان العامة تقول ان ابرهيم عليه
السلام القي في النار فلم تحرقه والنار محرقة بطبعها
للجسوم القابلة للاحراق وانما كانت النار المذكورة
في القرآن في قصة ابرهيم عبارة عن غضب نمرود عليه
وكونها لم تحرقه اي لم يؤثر غضب الجبار فاظهر عليه
من الحجة بما اقامه من الادلة فيما ذكر من افول الانوار
وانها لو كانت الهة ما افلت فركب له من ذلك دليلاً
فلما فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين وهو من اولياء
الله تعالى ممن كان له هذا المقام والتمكن فان اريتك
انا صدق الله تعالى في ظاهر ما قاله من النار انها
لم تحرق ابرهيم عليه السلام وان الله تعالى جعلها
عليه برداً وسلاماً وانا اقوم لك في هذا المقام

استدل الخليل صلوات الله على نبينا وعليه بحدوث
الجواهر على وجود الواجب حيث قال لا احب الآفلين
فانه فهم ان الحوادث وبطل الافول ان الجواهر حادث
اذ محل الحوادث حادث فمقصود الخليل صلوات
الله عليه اثبات ان فعل الواجب وهيبته عن الكواكب
واثبات الواجب تعالى وتقديس
منه

مقام ابرهيم عليه السلام في الذب عنه لا ان
ذلك كرامة في حقي فقال الرجل المنكر هذا لا يكون
فقال له اليست هذه هي النار المحرقة قال نعم فقال
تراها في نفسك ثم القى النار التي في المنقل في حجر
المنكر وبقيت على ثيابه مدة يقلبها المنكر بيده فلما
راها ما تحرق تعجب ثم ردها الى المنقل ثم قال له
قرب يدك ايضا منها فقرب يده فاحرقته فقال له
هكذا الامر كان وهي مأمورة تحرق بالامر وتترك
الاحراق كذلك والله الفاعل لما يشاء فاسلم ذلك
المنكر واعترف انتهى وقد تبين ان قول من قال تؤثر
بطبعها يبطل بافتقار كل ما سواه اليه لانها لو كانت
تؤثر بطبعها فيما قارنها لزم ان يفتقر ذلك المقارن
اليها ويستغني عن الله عز وجل وذلك محال لوجوب
افتقار كل ما سواه اليه واما من قال انها تؤثر
بقوة جعلها الله فيها فيبطل قوله باستغنائه عز وجل
عن كل ما سواه لانه لو كان الامر كما زعم لزم ان يكون
الله تعالى لا يقدر على فعل بعض الممكنات الا بواسطة

قال شيخنا العلامة الشيخ محمد الخليلي قد شاهدنا عدة وقايع مثل هذه منه ذلك السيد احمد جلوس كان اذا غضب يدخل التنور الذي يعمل فيه الدبس وهو يحرق الجمل لو وقع فيه ويخرج منه ولا يحترق منه شعرة ويغترف الدبس على النار ولم تحترق حلته وهي على اصلاومن بك ولاية [illegible] ذلك سيدي احمد الدمياطي كان يدخل الفرن ويخرج الخبز منه بيده وقد وقع منه مرارا وشاهده غالب اهل مصر ومن ذلك شاهدنا سيدي محمد الزرو كان يدخل في النار العظيمة ويطفئها برجليه ولا يحترق شعر رجليه ومن ذلك ما يوجد في مصانع مدينة الخليل الذين يصنعون الزجاج ويوقدون على ذلك نحو عشرين يوما فبعد ذلك يكسرونها فيرون في داخلها دودة خضراء حية متحركة فسبحان الخالق لما يشاء وهو على كل شيء قدير

وهي القوة التي تخلق في النار ونحوها من الاسباب
العادية فيكون مفتقرا اليها فالمذهب المختار
ان منشأ احتياج الممكن الموجود الى المؤثر كونه
ممكنا وهذا الوصف لا ينفك عنه مطلقا فهو محتاج
على كل حال فالاعتقاد الصحيح ان الله خلق للعباد
قدرة على افعالهم الاختيارية تقارنها ولا تؤثر
فيها وانما المؤثر هو الله تعالى وحده والقدرة
توجد الافعال الاختيارية عندها لا بها ولا فيها
كالنار بالنسبة الى الاحراق والله الموفق فصل
فاذا عرفت تضمن قولنا لا اله الا الله ما يجب
في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل فاعلم ان قولنا
محمد رسول الله يدخل فيه الايمان بسائر الانبياء
والملئكة عليهم السلام والكتب السماوية واليوم
الاخر لانه صلى الله عليه وسلم جاء بتصديق جميع
ذلك اذ لا شك ان تصديق نبينا صلى الله عليه
وسلم في انه رسول الله بما دلت عليه معجزاته التي
لا تحصى يستلزم التصديق بكل ما جاء به ويؤخذ

منه وجوب صدق الرسل واستحالة الكذب عليهم السلام
والا لم يكونوا رسلا امناء لله عز وجل واستحالة
فعل المنهيات كلها لانهم ارسلوا ليعلموا الخلق
باقوالهم وافعالهم وسكوتهم ويوخذ منه جواز
الاعراض البشرية عليهم اذ ذلك لا يقدح في رسالتهم
وعلو منزلتهم عند الله تعالى بل ذلك مما يزيد
فيها فقد تبين تضمن كلمتي الشهادة مع قلة حروفها
لجميع ما يجب على المكلف معرفته من عقايد الايمان
في حقه تعالى وفي حق رسله عليهم الصلوة والسلم
فمن كان اعتقاده كذلك نجا من جميع المهالك
واعتصم بالحبل المتين وهو الصراط المستقيم بين
المسالك واكثر ما اغتر به المبتدعة ظواهر الكتاب
والسنة التي لم يحيطوا بعلمها فان عمدتهم التقليد
بما لا يصلحه وبما لا يصلح الاقتداء به وتركوا الانظار
الزكية العقلية المستضيئة بانوار الادلة السمعية
الشرعية من الكتاب والسنة السنية ولهذا
قيل ان اصول الكفر ستة الايجاب الذاتي والتحسين

العقلي والربط العادي والتقليد الردي والجهل
المركب والتمسك في اصول العقايد بمجرد ظواهر
الكتاب والسنة للجهل بادلة العقول وعدم
الارتياض باساليب الكلام فالاول وهو الايجاب
الذاتي هو اصل كفر الفلاسفة حيث جعلوا الذات
العلية فاعلة بمقتضى الايجاب فقالوا لاجل ذلك
بنفي القدرة والارادة وساير الصفات تعالى الله
عما يقولون علوا كبيرا وقالوا لاجل ذلك بقدم العالم
وتركوا البرهان القطعي الدال على حدوثه ولا
شك انك عرفت بما سبق وجوب الحدوث للعالم
ووجوب القدم والبقاء تعالى وعرفت قطعا ان
صدور العالم عنه تعالى انما هو بمحض الاختيار
لا بالايجاب الذاتي والثاني وهو التحسين العقلي
اصل كفر البراهمة من الفلاسفة حتى نفوا النبوات
واصل ضلالة المعتزلة حتى اوجبوا على الله مراعاة
الصلاح والاصلح لخلقه وعللوا افعاله واحكامه
بالاغراض وجعلوا العقل يتوصل وحده دون شرع

الى احكام الله تعالى الى غير ذلك من الضلالات
حتى حكى انه وقعت مناظرة بين الشيخ الاشعري
والجبائي في مسألة مراعاة الصلاح والاصلح
فقال الشيخ الاشعري للجبائي ما تقول في ثلثة
اشخاص مات احدهم قبل البلوغ والاخر مات
بعد البلوغ كافرا والاخر مات بعده مؤمنا فقال
الجبائي اما الصغير ففي الجنة واما الكافر الكبير
ففي النار واما الكبير المؤمن ففي الدرجات العلى
فقال الشيخ ما بال الصغير قصر عن درجة الكبير
المؤمن فقال الجبائي لانه لم يعمل فقال الشيخ
من جهته على مذهبكم له ان يقول يا رب كان
الاصلح في حقي ان تبقيني حيا حتى اصل بالدرجة
العليا فقال الجبائي جوابه ان يقول الله تعالى
له علمت انك لو بقيت الى سن التكليف لكفرت فتخلد
في النار فالاصلح في حقك موتك صغيرا كما فعلت
بك لسلامتك من الخلود في النار التي هي اعظم
غنيمة فكيف وقد زدتك على ذلك فقال له الشيخ

فاذا يقوم الثالث الذي مات كبيرا كافرا بل
كل كافر يقول يا رب كنا نرضى منك بادنى مرتبة
هذا الصبي فما لنا لم تمتنا صغارا قبل التكليف
وقد علمت منا الكفر بعده كما فعلت بهذا الصبي
فبهت الجبائي ولم يقدر ان يجيب بكلمة فقال له
الشيخ وقف حمار الشيخ في العقبة ثم قال قدس
تعالى ان توزن احكام ذي الجلال بميزان الاعتزال
لا يسئل عما يفعل وهم يسألون ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة والثالث وهو التقليد
الردي وهو اصل كفر عبدة الاوثان وغيرهم حتى
قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم
مقتدون ولهذا قالوا لا يكفي التقليد في عقايد
الايمان والرابع الربط العادي وهو اصل كفر
الطبايعيين ومن تبعهم من الجهلة فرأوا ارتباط
الشبع بالاكل والري بالماء ونحو ذلك فهموا من
جهلهم ان تلك الاشياء هي المؤثر فيما ارتبط وجوده
معها اما بطبعها واما بقوة وضعها الله فيها

وأهل السنة نور الله بصايرهم لم يفتتنوا بشيء
من الاكوان واظهر الله لهم الحقايق على ما هي عليه
في نفس الامر حتى ينجيهم من افات الكفر والبدع
فقالوا انما الله سبحانه وتعالى اجرى العادة
باختياره ان يخلق تلك الاشياء عندها والخامس
الجهل المركب وهو مما ابتلي به كثير مما لا يلتفت اليه
فتجدهم يعتقدون الشيء على خلاف ما هو عليه وذلك
جهل والمتصف به مفتون ثم يجهلون انهم جاهلون
وذلك جهل اخر ولذلك سمي جهلا مركبا كاعتقاد
الفلاسفة التاثير للافلاك واعتقادهم قدمها
والسادس التمسك في اصول العقايد بمجرد ظواهر
الكتاب والسنة من غير بصيرة في النقل وهو اصل
ضلالة الحشوية فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة
عملا بظاهر قوله تعالى الرحمن على العرش استوى
أأمنتم من في السماء لما خلقت بيدي ونحو ذلك
وقال تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما

الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله الاية هذا فنبينا
صلى الله عليه وسلم قد خص بجوامع الكلم وبدايع
الحكم فتحت كل ذرة من كلامه درة بنفسه فانظر
كيف اختار لامته في ترجمة الايمان ما يعجز عن وصفه
اللسان وهي كلمة الشهادة السهلة على اللسان
المنورة للجنان الثقيلة في الميزان قد جعلها الشرع
ترجمة على ما في القلب من الاسلام ولم يقبل من احد
من المكلفين التصديق القلبي الا بها فاذا قالها اثمرت
له عصمة النفس والمال الا بجناية توجب قصاصا
بحسب النص المشروع فذكر هذه الكلمة الشريفة
شرط لصحة ايمان الكافر واما المؤمن فلا بد ان
يذكرها لا اقل مرة في عمره بخلوص القلب وفي التفسير
الكبير ان من عرف الله وعرف انه لا اله الا الله
تباعد عنه الشيطان والهوى لان الهوى اله سوى
الله يعبد بدليل قوله تعالى افرايت من اتخذ الهه
هويه وقال تعالى لموسى خالف هواك فاني ما خلقت

خلقها نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن
لم يغضب لان منشاء الغضب طلب الولاية والولاية
للرحمن لقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن ومن
عرف انه رحيم وجب ان يتشبه به في كونه رحيما و
اذا صار رحيما لم يظلم نفسه ولم يلطخها بالافعال
البهيمية انتهى وقال في الاحياء ان من مات على
الايمان وهو عاص ان لم يكن مطهرا بعفو الله تعالى
يعذب عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب
ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب مدة
كثرة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر
ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف السيئات
وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون
في درجات اصحاب اليمين واما المستبصرون العارفون
ففي اعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى
مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف والمثلية لا تقتضي
التقدير بالمساحة باطراف الاجسام بان يقابل
فرسخ بعشرة بل بالشرف واللطافة الا ترى ان قول

القائل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله
صحيح مع انه لم يعط عشرة من مثل ما اخذ من
الجمل بل اعطى مائة دينار ويسوى ما اخذه عشرة
دنانير والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة
اذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار
والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة امثال
الدنيا في الدنيا انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم
ان من آمن وصدق النبي صلى الله عليه وسلم
في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به ولم يشرك
بالله ووصفه بما هو اهل له من صفات الكمال
ونزهه عن النقايص فهو من المفلحين ولا يخلد في
النار فان كان عاصيا ولم يكن مطهرا بعفو الله تعالى
يعذب في النار جزاء بما كسبه من الاثام ثم يخرج
منها ويدخل الى الجنة وان كان مطهرا بعفوه
تعالى فيدخل اولا وان لم يكن عاصيا فيدخل
اليها ويتفرج في درجاتها بفضل مالك الملك

وكرمه والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير
حساب **الباب الثالث** في بيان القيام بطاعته
واجتناب معصيته وموالاة من اطاعه ومعاداة
من عصاه وهذا البيان لا يكون الا بذكر بعض الاعمال
الظاهرة وبعض اسراره ليكون انموذجا على سائره
ولنذكر البعض الذي هو غرة الطاعات ورأس
القربات وغرة اصحاب المناجات وهي الصلوة عماد
الدين وعصام المتقين وفيه فصلان **الفصل
الاول** في الطهارة وبيان اسرارها قال
الله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من
حرج ولكن يريد ليطهركم الاية وقال تعالى يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وروي
انه قال عليه الصلوة والسلام مفتاح الصلوة
الطهور وقال الطهور نصف الايمان **فان قلت**
ما الوجه في كون الطهور نصف الايمان ونصف
الصلوة اذ قد ورد ايضا الطهور نصف الصلوة

قلنا وجهه الظاهر ان مبنى الدين والايمان
والصلوة على امرين على التخلية والنفي وعلى التحلية
والاتيان الافعال والاقوال والاثبات والى ذلك
اشار في قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن
بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ويحتمل ان
يراد بالطهور معناه الظاهري فيجعل نصفا على
سبيل المبالغة والاهتمام للصلوة او للايمان
بالنظر الى كمال مدخلية الطهارة في صحة الصلوة
وباعتبار ان الايمان يزيل نجاسة الباطن والطهور
يزيل نجاسة الظاهر وباعتبار ان الايمان تصديق
بالقلب واذعان بالظاهر والطهارة شرط للصلوة
التي هي انقياد بالظاهر **اعلم** ان الطهارة واجبة
عن كل ما قبح سواء كان قبيحا لذاته او قبيحا بوصفه
وما كان قبيحا لذاته وهو امراض القلب من الاخلاق
الرديئة فيجب تطهير القلب عنها بازالتها عنه قال
علي كرم الله وجهه في تمثيل القلوب ان لله تعالى
في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها

واصفاها واصلبها ثم فسر ذلك فقال اصلبها
في الدين واصفيها في اليقين وارقها على الاخوان
وهذا اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا
من الله ورضوانا الاية فلهذا لا يعفى عن قليلها
وقد ورد ان من كان في قلبه مثقال ذرة من
كبر لا يدخل الجنة وما كان قبيحا لوصفه كالنجاسة
مطلقا اوجب الاحتراز عنها ليس لذاتها بل لوصفها
المنفر من الريح المنتن والطعم البشيع واللون القبيح
فاذا لم يوجد ولم يتيقن بوجوده اذ تيقن وجوده
منفرا ايضا فلا يجب الاحتراز بل مع التيقن يعفى
القليل في مواضع الضرورات اذ الضرورات تبيح
المحظورات قال في الاحياء فذووا البصائر فطنوا
بهذه الظواهر ان اهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد
ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور
نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء
وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا بالاخباث والاقذار

هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولى
تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات
والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والاثام والثالثة
تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة
والرابعة تطهير السر بالمعرفة عما سوى الله عز وجل
وهي طهارة الانبياء والصديقين والطهارة في
كل رتبة نصف العمل الذي فيها قال الله تعالى قل
الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه فاعلم ان العبد ينال
الطبقة العليا بعد ان يجاوز الطبقة السافلة
فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة
وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ عن طهارة القلب
عن الاخلاق المذمومة ولن يصل ذلك ما لم يفرغ
عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات
فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالتمني وينال بالهوينا
نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات
لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي

هى كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب
فصار يمعن فيه ويستقصى فى مجاريها يستوعب
جميع اوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف
الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم
الوسوسة ان الطهارة المطلوبة هى هذه فقط
وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهمم
فى تطهير القلوب وتساهلهم فى امر الظاهر حتى ان
عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ بماء
فى اناء نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد
عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم
باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة
ولقد كانوا يصلون على الارض فى المساجد ويمشون
حفاة فى الطرقات ومن كان لا يجعل بينه وبين
الارض حاجزا فى مضجعه كان من اكابرهم وكانوا
يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء وروى عن
اهل الصفة كابى هريرة وغيره كنا نأكل الشواء
فتقام الصلوة فندخل اصابعنا فى الحصا ثم نفركها

بالتراب ونكبر ويقال اول ما ظهر من البدع بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل
والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها
بنظافة الباطن انتهى وفى التتارخانية وفى
الاصل الصبى اذا ادخل يده فى كوز ماء او رجله
فان علم ان يده طاهرة بيقين يجوز التوضؤ بهذا
الماء وان علم ان يده نجسة بيقين لا يجوز التوضؤ
به وان كان لا يعلم انه طاهر او نجس فالمستحب ان
يتوضأ بغيره لان الصبى لا يتوقى عن النجاسات
عادة ومع هذا لو توضأ به اجزأه انتهى وقال
رحمه الله ايضا فى الاحياء وقد انتهت النوبة الان
الى طائفة يسمون الرعونة نظافة فاكثر اوقاتهم
فى تزيينهم الظواهر والباطن خراب مشحون بخبائث
الكبر والعجب والجهل والنفاق ولا يستنكرون
ذلك ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى
على الارض حافيا او صلى على الارض من غير سجادة
مفروشة او توضأ من آنية عجوز او آنية رجل

تسوية اللحم نيا
والشواء
وسمه فى الطعام

غير متقشف لتشددوا عليه النكير واستنكفوا
من مواكلته ومخالطته فانظر كيف صار المنكر
معروفا والمعروف منكرا انتهى فيجوز التوضوء بماء
لا يتغير لونه او ريحه او طعمه واعلم ان الفقهاء
رحمهم الله قد اختلفوا في امر الطهارة والنجاسة
وفي اختلافهم اربعة مذاهب الاول مذهب الحنفية
قال بعضهم الماء الجاري لا يتنجس بوقوع النجاسة
ما لم يتغير طعمه او لونه او ريحه مطلقا سواء كان
الماء غالبا او مساويا او اقل وسواء كان اختلط
اكثر الماء او نصفه او اقل بالنجس قيل وعليه الفتوى
وجعل بعضهم هذا القول قول ابي يوسف واما
عندهما فان كانت النجاسة غير مرئية فلا يتنجس
وان كانت مرئية فان لاقى اكثر الماء النجاسة او
نصفه فنجس وان اقله فطاهر واما الماء الراكد
فان كان كثيرا فكالماء الجاري والا فيتنجس بقليل
نجاسة واختلفوا في حد الكثير والجمهور على انه
عشر في عشر قال صاحب الهداية وبه يفتى وقال

ابن الهمام في ظاهر الرواية يعتبر فيه اكبر راي
المبتلى ان غلب على ظنه انه بحيث يصل النجاسة
الى الجانب الاخر لا يجوز الوضوء والا جاز وهذا
اصح عند الكرخي وصاحب الغاية والينابيع
وهو الاليق باصل ابي حنيفة رحمه الله انتهى مختصرا
والثاني مذهب مالك ومن تبعه ان الماء طاهر
الا ما تغير احد اوصافه اللون والريح والطعم
بالنجس جاريا او راكدا قليلا او كثيرا وبه قال
الاوزاعي والليث بن سعد وعبد الله بن وهب
واسمعيل بن اسحق ومحمد بن بكير وحسن بن
صالح واحمد في رواية لقوله صلى الله عليه وسلم
ان الماء طاهر الا ان يتغير ريحه او طعمه او
لونه بنجاسة ووجهه المعقول ان الماء في طبعه
احالة كل شيء الى نفسه فاذا لم يظهر اثر النجاسة
يطهر لانها انقلبت ماء فتطهر كالجيفة الملقاة
في البحر المالح فانقلبت ملحا فانها طاهرة عند غيره
ايضا لانقلاب الحقيقة وهو الاصل كالخمر اذا

صارت خلا وقال مالك وعطا والثوري والنخعي
واحمد بن حنبل بول ما يؤكل لحمه وروثه طاهران
والثالث مذهب الشافعي ومن تبعه ان الماء
اذا بلغ قلتين وهي خمسمائة رطل لا يتنجس الا بتغير
احد اوصافه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ
الماء قلتين لا يحمل نجسا والرابع مذهب الظاهرية
ان الماء لا يتنجس اصلا جاريا او راكدا قليلا او
كثيرا تغير لونه او طعمه او ريحه او لم يتغير لقوله
صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه شيء
ورئيس الظاهرية داود الاصفهاني من المجتهدين
من اهل السنة والجماعة والقاعدة الكلية في الما
وغيره ان الاصل في الاشياء الطهارة لما ذكر في
عامة الفتاوى واليقين لا يزول بالشك والظن
بل يزول بيقين مثله وفي الخلاصة ويكره للرجل ان
يستخلص لنفسه اناء يتوضاء منه ولا يتوضاء منه
غيره وفيه ان يتوضاء بماء الحوض الذي يخاف ان
يكون فيه قذر ولا يستيقنه وليس عليه ان يسأل

ولا يدع التوضي منه حتى يستيقن انه قذر وفيه
وكذلك لا بأس بالوضوء من جب يوضع كوزه في
نواحي البيت وشرب منه ما لم يعلم انه قذر وفيه
ماء الثلج اذا جرى على الطريق وفي الطريق نجاسات
اذا تغيبت النجاسات فيها واختلطت بحيث لا يرى
لونها ولا اثرها يتوضا منه انتهى وفي التاتارخانية
قال محمد رحمه الله في الجامع الصغير عقرب او نحوها
مما لا دم له تموت في الماء او ضفدع او سمكة او
سرطان او نحوه مما يعيش في الماء تموت في الجب
لا يفسد الماء عندنا وفيه ايضا واما ما له دم
سائل فان كان بريا بحيث لا يعيش في الماء فموته
توجب نجاسة ما مات فيه الماء وغيره في المائعات
في ذلك على السواء وان كان مائيا ان كان لا يعيش
الا في الماء لا يتنجس في ظاهر رواية اصحابنا وفيه
سئل ابو نصر رحمه الله عمن يغسل الدابة يصيبه من
مائها او من عرقها قال لا يضره ذلك قيل فان كانت
تمرغت في بولها وروثها قال اذا جف وتناثر وذهب

عنه لا يضره ايضا وفي العتابية فعلى هذا اذا
جرى الفرس في الماء وابتلت ذنبه فضرب به
راكبه ينبغي ان لا يضره وفيه السخلة اذا خرجت
من امها فتلك الرطوبات طاهرة لا يتنجس بها الثوب
ولا الماء وكذلك البيضة وفيه الرطوبة التي على
الولد عند الولادة طاهرة وفيه نوع آخر في ماء
الآبار البئر عندنا بمنزلة الحوض الصغير يفسد
ماؤه مما يفسد به ماء الحوض الصغير لان عرض
الآبار في الغالب يكون اقل من عشرة في عشرة حتى
لو كان بئر عرضها عشرة في عشرة لا يحكم بنجاستها
بوقوع النجاسة فيها ما لم يتغير لون الماء او طعمه
او اثره انتهى كلام التاتارخانية فللطهارة كما
عرفت مراتب فطهارة الطاهر ثلثة اقسام طهارة
عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات
البدن القسم الاول في طهارة الخبث اعلم ان النجاسات
كلها لا يعفى عن قليلها وكثيرها الا من خمسة الاول
اثر النجو بعد الاستنجاء بالاحجار فهو معفو عنه

ما لم يعد المخرج والثاني طين الشارع وغبار
الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة
بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه والثالث ما على
اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطرق عنه فيعفى
منه بعد الدلك للحاجة وفي فتاوى قاضيخان لو كانت
الارض نجسة فخلع نعليه وقام على نعليه جاز اما
اذا كان النعل ظاهره وباطنه طاهرا فظاهر وان
كان مما يلي الارض منه نجسا فكذلك وهو بمنزلة
ثوب ذي طاقين اسفله نجس وقام على الطاهر
انتهى والرابع دم البراغيث ما قل عنه او كثر الا
اذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك او ثوب
غيرك فلبسته وفي فتاوى قاضيخان ذباب المستراح
اذا جلس على ثوب لا يفسده الا ان يغلب ويكثر
وفيه اذا نام الكلب على حصير المسجد ان كان يابسا
لا يتنجس وان كان رطبا ولم يظهر اثر النجاسة فيه
فكذلك وفيه الطين النجس يجعل الكوز والقدر
فيطبخ يكون طاهرا وفيه بعر الفارة اذا وقعت

في حنطة فطحنت الحنطة لا بأس باكل الدقيق لانه
يكون كثيرا يظهر اثره بتغير الطعم او غيره خبز وجد
في خلاله بعر الفارة ان كان البعر على صلابته يرمي
البعر ويوكل الخبز انتهى والخامس دم البثرات وما
يترشح منها اذا كان اقل من قدر الدرهم القسم الثاني
طهارة الاحداث وفيها الوضوء والغسل والتيمم
روي انه صلى الله عليه وسلم توضأ مرة مرة وقال
هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضأ
مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين اتاه
الله اجره مرتين وتوضأ ثلثا ثلثا وقال هذا
وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء ابرهيم
وفي مختارات النوازل والفرض فيه المرة الاولى
اذا كانت سابغة والتثليث فيه سنة كما لا للفرض
انتهى القسم الثالث التنظيف عن الفضلات الظاهرة
سواء كانت من الرطوبات المترشحة وهي ثمانية او
مما يحدث من البدن من الاجزاء وهي ايضا ثمانية
فالاول منها الاول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن

والقمل الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف
الاذن الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبة
المنعقدة بجوانبه ويزيلها الاستنشاق الرابع
ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان ويزيلها
السواك والمضمضة الخامس ما يجتمع في اللحية
من الوسخ والقمل السادس وسخ الرأس ايضا
السابع تنظيف رؤس الاصابع وما تحت الاظفار
من الوسخ الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع
البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله
الحمام واما الثمانية التي يحدث من البدن من
الاجزاء فاولها شعر الرأس الثاني شعر الشارب
روي انه عليه الصلوة والسلام قال قصوا الشوارب
وفي رواية اخرى احفوا الشوارب واعفوا اللحى اي
اجعلوها حفافا الشفة اي حولها وحفاف الشيء
حوله ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين
من حول العرش الثالث شعر الابط الرابع شعر
العانة ويستحب ازالته اما بالحلق او بالنورة

فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام
وقيل ان النورة في كل شهر تطفي المرار وتزيد
في الجماع الخامس قلم الاظفار ويستحب لبشاعة
صورتها اذا طالت السادس السرة فيقطع في
اول الولادة السابع قلفة الحشفة روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال
ومكرمة للنساء الثامن ما طال من اللحية وفي
اللحية عشرة خصال مكروهة بعضها اشد من بعض
وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها
ونتف الشيب منها والنقصان فيها والزيادة فيها
وتسريحها تصنعا لاجل الريا وتركها اظهارا للزهد
والنظر في سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا
بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية
تشبها بالصالحين **الفصل الثاني** في الصلوة
وبيان اسرارها قال الله تعالى ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال خمس صلوات كتبهن الله عز وجل

على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا
استخفافا بحقهن كان له عند الله ان يدخله الجنة
ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء
عذبه وان شاء ادخله الجنة وايضا انه قال
الصلوة عماد الدين فمن اقامها فقد اقام الدين
ومن تركها فقد هدم الدين قال في اصول البزدوي
والاصل في فروع الايمان هي الصلوة وهي عماد
الدين الذي يشمل ظاهر الانسان وباطنه قال
في التقرير لانها على خدمة ظاهر البدن من القيام
والركوع والسجود والقعود على هيئة خاصة و
باطنه كالنية والخضوع وحضور القلب وهذا لانها
عبادة بدنية شرعت شكرا لنعمة البدن ونعمة
البدن ظاهرة كالاعضاء السليمة وما يحصل بها
من القلب من حالة الى حالة وباطنة كالقوى النفسانية
المدركة للمعاني وشكر كل شيء بما يناسبه انتهى
وسئل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل
قال الصلوة في وقتها وروي انه عليه السلام قال

اسوء الناس سرقة ان يسرق من صلوته وقال
ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال فمن اوفى
وفى له ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين
وفي الخبر سبعة اشياء في الصلوة من الشيطان
الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك
ومسح الوجه وتسوية الحصا ونهى عن ان يشبك
اصابعه او يفرقع او يستر وجهه او يضع احدى
كفيه على الاخرى ويدخلهما تحت فخذيه في الركوع
اعلم ان اللازم اللايق بحال المصلى ان يكون
شروعه الى الصلوة بقلب سليم فان كان يصلى
بحضور القلب مهما امكن فبها ونعمت فان حضور
القلب وان لم يكن شرطا للتعذر عندنا كما كان
شرطا عندهم الشافعية لكن زيادة اجره وفضله ثابت
عند الكل قال حجة الاسلام في الاحياء قال عبد
الواحد بن زيد اجمعت العلماء على انه ليس للعبد من
صلوته الا ما عقل منها والحق الرجوع الى الشرع
ولا يمكن ان يشترط على الناس احضار القلب في جميع

الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين
واذا لم يكن الاستيعاب للضرورة فلا مرد الا
ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة
الواحدة واولى اللحظات بها لحظة التكبير فاقتصرنا
يعني الشافعية على التكليف بذلك ونحن مع ذلك
نرجو ان لا يكون حال الغافل في جميع صلوته مثل
حال التارك بالكلية فانه اقدم على الفعل ظاهرا
واحضر القلب لحظة وحاصل الكلام ان حضور
القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى الحضور
عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر
الزيادة ينبسط الروح في اجزاء الصلوة فكم
من حي لا حراك به قريب من ميت فصلوة الغافل
في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به وتفصيله
ان لا تغفل عن التنبيهات التي في شروط الصلوة
واركانها فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في
قلبك هول النداء يوم القيمة قال صلى الله عليه
وسلم ارحنا يا بلال اي بها وبالنداء اليها اذ

كان صلى الله عليه وسلم قرة عينه فيها وأما
الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك
الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في
بشرتك وهي قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي
هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة
والندم على ما فرط فطهر بها باطنك وأما ستر
العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن
أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك موقع نظر فما رأيك
في عورات باطنك وفضائح سرك الذي لا يطلع
عليه إلا ربك فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب
نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله
ساتر وإنما يكفرها الندم والحياء من مكامنها
وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر
الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف
القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله تعالى ليس مطلوبا
منك هيهات فلا مطلوب سواه واعلم أنه كما لا
يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالصرف عن غيرها

فكذلك لا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلا بالتفريغ
عما سواه وليس المراد بالوجه في قوله إني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والأرض وجه الظاهر
فإنك إنما وجهته لجهة القبلة والله تعالى
يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه
بدنك إليه وإنما وجه القلب هو الذي يتوجه
إلى فاطر السموات فانظر إليه أمتوجه هو إلى
أمانيه أو مقبل على فاطر السموات وإياك وأن
يكون أول مفاتحتك المناجاة بالكذب ولن
ينصرف الوجه إليه تعالى إلا بانصرافه عما
سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت
عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صادقا
وأما الاعتدال قائما فاعلم أنك في الحال قائم
بين يدي الله تعالى وهو مطلع عليك فقم بين
يديه قيامك بين يدي ملوك الزمان وإن كنت
تعجز عن معرفة كنه جلاله سأل أبو هريرة رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال كيف الحياء من الله تعالى فقال صلى الله عليه
وسلم تستحيي منه كما تستحيي من الرجل الصالح من
قومك واما النية فالعزم على اجابة الله عز وجل
في امتثال امره بالصلوة واتمامها والكف من نواقضها
ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى
رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه
واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان لا
يكذبه قلبك وما اعظم الخطر في ذلك لولا الاستغفار
في ذلك وحسن الظن بكرم الله تعالى ولطفه
اذ روي ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين مرة قال تعالى والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا
على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ونعم اجر العاملين الى هنا كلامه
وفي التفسير الكبير اعلم ان الاقدام على الطاعات

لا يتيسر الا بعد الفرار من الشيطان وذلك هو
الاستعاذة فقوله اعوذ بالله اعتراف بعجز
النفس وبقدرة الرب وهذا يدل على انه لا وسيلة
الى القرب من حضرة الله تعالى الا بالعجز والانكسار
فمن عرف نفسه بالضعف والقصور عرف ربه بانه
هو القادر على كل مقدور ومن عرف نفسه بالجهل
عرف ربه بالفضل والعدل ومن عرف نفسه باختلال
الحال عرف ربه بالكمال والجلال والاستعاذة هي
الالتجاء الى القادر يدفع الآفات عنك فالشيطان
عدو الانسان والانسان عند الشروع الى الطاعات
والعبادات خاف العدو واجتهد في ان يجري
مرضاة مالكه ليخلصه من ذلك العدو وحيث انه
غافل عنه قال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث
لا ترونهم فعلى هذا لك عدو غائب وحبيب غالب
لقوله تعالى والله غالب على امره فاذا قصدك العدو
الغائب فافزع الى الحبيب الغالب وقال ايضا لما
تعلق قلب الانسان بغير الله وجرى لسانه بغير

ذكر الله تعالى حصل فيه نوع من التلوث فلا بد
من استعمال التطهر فلما قال اعوذ بالله فعند ذلك
يستعيذ للصلوة الحقيقية وهى ذكر الله تعالى
قال الصادق انه لابد قبل القراءة فى التعوذ واما
سائر الطاعات فانه لا يتعوذ فيها والحكمة فيه
ان العبد قد يفحش لسانه بالكذب والغيبة والنميمة
فامر الله تعالى العبد بالتعوذ ليصير لسانه طاهرا
فيقرأ بلسانه طاهر كلاما نزل من رب قادر كانه
سبحانه يقول انه شيطان رجيم وانا رحمن رحيم
فابعد عن الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم
اعلم ان المصلى اذا قصد الصلوة صار من جملة
من قال الله فى صفتهم يريدون وجهه ومن اراد
الدخول على السلطان العظيم وجب عليه ان يطهر
نفسه من الادناس والانجاس ولهذا التطهير
مراتب المرتبة الاولى التطهير من دنس الذنوب
بالتوبة كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا ومن كان فى مقام

الزهد كانت طهارته من الدنيا حلالها وحرامها
ومن كان فى مقام الاخلاص كانت طهارته من
الالتفات الى اعماله ومن كان له فى مقام المحسنين
كانت طهارته من الالتفات الى حسناته ومن
كان فى مقام الصديقين كانت طهارته من كل
ما سوى الله وبالجملة فالمقامات كثيرة و
الدرجات متفاوتة وكانها غير متناهية كما قال
تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فاذا اردت
ان تكون من جملة من قال الله فيهم يريدون
وجهه فقم قائما واستحضر فى نفسك جميع مخلوقات
الله تعالى من عالم الاجسام والارواح وذلك
بان تبتدئ من نفسك وتستحضر فى عقلك جملة
اعضائك البسيطة والمركبة وجميع قواك الطبيعية
والحيوانية والانسانية ثم تستحضر فى عقلك
جملة ما فى هذا العالم من انواع المعادن والنبات
والحيوان من الانسان وغيره ثم ضم اليه البحار

والجبال والتلال والمفاوز وجملة ما فيها من
عجايب النبات والحيوان وذرات الهبا ثم ترق
منها الى سماء الدنيا حتى تصل الى سدرة المنتهى
والرفرف واللوح والقلم والجنة والنار والكرسى
والعرش العظيم ثم استحضر في عقلك جميع الارواح
المتعلقة بالجبال والبحار مثل ما قاله الرسول صلى
الله عليه وسلم عن ملك الجبال وملك البحار ثم
استحضر ملئكة سماء الدنيا وملئكة جميع السموات
السبع كما قال عليه السلام ما في السموات موضع
شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد واستحضر جميع
الملائكة الحافين حول العرش وجميع حملة العرش
والكرسى ثم ما هو خارج هذا العالم كما قال تعالى
وما يعلم جنود ربك الا هو فاذا استحضرت جميعها
فقل الله اكبر وتريد بقولك الله الذات الذي حصل
بايجاده وجود هذه الاشياء وحصلت لها كمالاتها
بصفاتها وافعالها وتريد بقولك اكبر انه منزه عن
مشابهتها ومشاكلتها بل هو منزه عن ان يحكم العقل

بجواز مقايسته بها ومناسبته اياها والوجه
الثاني في تفسير هذا التكبير انه عليه السلام قال
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك فتقول الله اكبر من ان لا يراني
ومن ان لا يسمع كلامي والوجه الثالث ان يكون
المعنى الله اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق و
اوهامهم وافهامهم قال علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه التوحيد ان لا يتوهم والوجه الرابع ان
يكون المعنى الله اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء
حق عبوديته فطاعتهم قاصرة عن خدمته وثناؤهم
قاصر عن كبريائه وعلومهم قاصرة عن كنه صمديته
ثم قال واجعل سورة الفاتحة مرآة لك تبصر فيها
عجايب عالم الدنيا والاخرة وتطالع فيها انوار اسماء
الله الحسنى وصفاته العلى والاديان السالفة والمذاهب
الماضية واسرار الكتب الالهية والشرايع النبوية
وتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى
الحقيقة وتطالع درجات الانبياء والمرسلين

ودركات الملعونين الضالين فاذا قلت بسم الله
الرحمن الرحيم فابصر به الدنيا اذ باسمه قامت
السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين
ابصرت به الاخرة اذ بكلمة الحمد قامت الاخرة
كما قال تعالى واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
واذا قلت الرحمن الرحيم فابصر به عالم الجمال
والرحمة والفضل والاحسان واذا قلت مالك
يوم الدين فابصر به عالم الجلال وما يحصل به
من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد فابصر
به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين فابصر
به الطريقة واذا قلت اهدنا الصراط المستقيم
فابصر به الحقيقة واذا قلت صراط الذين انعمت
عليهم فابصر به درجات ارباب السعادات واصحاب
الكرامات من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين واذا قلت غير المغضوب عليهم فابصر
به مراتب مشاق اهل الفسق في الافاق واذا قلت
ولا الضالين فابصر به دركات اهل الكفر والشقاو

والخزي والنفاق على كثرة درجاتها وتباين
اطرافها واكنافها ثم اذا انكشفت لك هذه
الاحوال العالية والمراتب السامية فلا تظنن
انك بلغت الفوز والغاية بل عد الى الاقرار للحق
بالكبرياء ولنفسك بالذلة والمسكنة وقل الله
اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى صفة العظمة
وقل سبحان ربي العظيم وان شئت ان تعرف
ذرة من صفة العظمة فاعرف انا بينا ان العظمة
صفة العرش ولا يبلغ مخلوق بعقله كنه عظمة
العرش وان بقي الى اخر ايام العالم ثم اعرف ان
عظمة العرش في مقابلة عظمة الله كالقطرة في البحر
فكيف يمكنك ان تصل الى كنه عظمة الله تعالى
فاذا ركعت وقلت سبحان ربي العظيم فعد الى
القيام ثانيا وادع لمن وقف وقفك وحمد حمدك
وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سألتها لغيرك
وجدتها لنفسك وهو المراد من قوله عليه السلام
لا يزال الله في عون العبد ما دام العبد في عون

اخيه المسلم فان قيل ما السبب في انه لم يحصل
في هذا المقام التكبير قلنا لان التكبير مأخوذ
من الكبرياء وهو مقام الهيبة والخوف والمقام
مقام الشفاعة وهما متباينان ثم اذا فرغت من
هذه الشفاعة فعد الى التكبير وانحدر الى صفة
العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان السجود اكثر
تواضعا من الركوع لاجرم الذكر المذكور في السجود
هو ثناء المبالغة وهو الاعلى والذكر المذكور في
الركوع هو لفظ العظيم من غير بناء المبالغة
فان قيل ما الحكمة في السجدتين قلنا وجوه
الاول ان السجدة الاولى للازل والثانية للابد
والارتفاع فيما بينهما اشارة الى الدنيا فيما بين
الازل والابد وذلك لانك تعرف بازليته انه هو
الاول لا اول قبله فتسجد له وتعرف بابديته انه
الاخر لا اخر بعده فتسجد له ثانيا الثاني قيل
اعلم بالسجدة الاولى فناء الدنيا في الاخرة وبالسجدة
الثانية فناء الكل عند ظهور جلال الله تعالى

الثالث السجدة الاولى فناء الكل في نفسها والثانية
بقاء الكل ببقاء الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه
الرابع السجدة الاولى تدل على انقياد عالم الشهادة
بقدرة الله تعالى والسجدة الثانية تدل على انقياد
عالم الارواح لله تعالى كما قال تعالى الا له الخلق
والامر الخامس السجدة الاولى سجدة الشكر بمقدار
ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته والسجدة الثانية
سجدة العجز والخوف مما لم يصل اليه من اداء حقوق
جلاله وكبريائه انتهى وفي الاحياء واما التشهد
فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح ان جميع ما
تدلي به من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة
لله وكذا الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في
قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم
وقل السلام عليك ايها النبي وليصدق املك
في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم
على نفسك وعلى عباد الله الصالحين وتأمل ان
الله تعالى يرد عليك سلاما وافيا بعدد عباده

الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد
صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله تعالى
باعادة كلمتي الشهادة ومستأنفا للتحصين بها ثم
ادع في اخر صلواتك بالدعاء المأثور واقصد عند
التسليم السلام على الملائكة والحاضرين واختم
الصلوة واستشعر شكر الله على توفيقه اياك
لاتمام هذه الطاعة انتهى وكذا في التاتارخانية ومن
اداب الصلوة اخراج الكفين من الكمين عند التكبير
ومنها ان يكون نظره في قيامه الى موضع سجوده
وفي الركوع الى اصابع رجليه وفي السجود الى ارنبة
انفه وفي القعود الى حجره وفي الهداية قال ويعتمد
بيده اليمنى على اليسرى تحت السرة لقوله عليه السلام
ان من السنة وضع اليمين على الشمال تحت السرة
وهو حجة على مالك رحمه الله في الارسال وعلى الشافعي
رحمه الله في الوضع على الصدر ولان الوضع تحت
السرة اقرب الى التعظيم وهو المقصود ثم الاعتماد
سنة القيام عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله

حتى لا يرسل حالة الثناء والاصل ان كل قيام
فيه ذكر مسنون يعتمد فيه وما لا فلا هو الصحيح
فيعتمد في حالة القنوت وصلوة الجنازة ويرسل
في القومة وبين تكبيرات العيدين ثم يقول سبحانك
اللهم وبحمدك الى اخره وعن ابي يوسف رحمه الله
انه يضم قوله وجهت وجهي الى اخره لرواية علي رضي
الله عنه انه عليه السلام كان يقول ذلك ولهما
رواية انس رضي الله عنه ان النبي عليه السلام كان
اذا افتتح الصلوة كبر وقرأ سبحانك اللهم وبحمدك
الى اخره ولا يزيد على هذا وما رواه محمول على التهجد
وقوله جل ثناؤك لم يذكر في المشاهير فلا يؤتى
به في الفرائض والاولى ان يأتي بالتوجه قبل التكبير
لتتصل النية به هو الصحيح ويستعيذ بالله من
الشيطان الرجيم لقوله تعالى فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان معناه اذا اردت
قراءة القرآن والاولى ان يقول استعيذ بالله
ليوافق القرآن ويقرب منه اعوذ بالله وفي

التاتارخانية نقلاً عن الخانية اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم وهو المختار انتهى فاذا عرفت هذا
فاعلم ان من هذا شانه في الصلوة يكون مفلحاً قال
الله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم
خاشعون فانهم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم
في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذا فبالقدر
الذي يتيسر له ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي
ان يتحسر وكذلك ينبغي ان يذكر الله تعالى في اول
كل عمل وفعل بقلبه ولسانه اذ بذكره يتم الصالحات
والغفلة في كل حال مخطرة الا ان يتغمده الله تعالى
برحمته اذ لا وسيلة الا الاعتراف بالعجز عن القيام
بطاعته

الباب الرابع

في الاعتراف بنعمة الله
تعالى وشكره اعلم ان مقام الشكر اجل والسعي
اليه مشكور وكيف لا وقد قال الله تعالى وقليل
من عبادي الشكور وروي عن عطا قال دخلت على
عايشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمر فقال لها
عبيد بن عمر اخبرينا باعجب ما رأيت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت اي شانه لم
يكن عجباً انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي
او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال
يا ابنة ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت
اني احب قربك فاذنت له فقام الى قربة من ماء
فتوضأ واكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى
سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد
فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء
بلال فاذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله ما
يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و
ما تأخر قال افلا اكون عبداً شكوراً فلم لا افعل
وقد انزل الله تعالى ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
قيل حقيقة الشكر عند اهل التحقيق الاعتراف
بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى هذا يكون
وصف الحق سبحانه بانه شكور توسعاً ومعناه
انه يجازي العباد على الشكر فيسمى جزاء الشكر

شكراً كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها وقيل شكره اعطاؤه الكثير من الثواب
على العمل اليسير ويحتمل أن يقال الحقيقة الشكر
الثناء على المحسن بذكر احسانه فشكر العبد لله
ثناؤه عليه بذكر احسانه اليه وشكر الحق للعبد
ثناؤه عليه بذكر احسانه له وانعامه عليه فشكر
العبد على الحقيقة انما هو النطق واقرار القلب
بانعام الرب فالشكر ينقسم الى اقسام شكر باللسان
وهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر
بالبدن والاركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة
وشكر القلب وهو اعتكاف على بساط القرب بادامة
حفظ الحرمة ويقال شكر هو شكر العالمين يكون
من جملة اقوالهم وشكر هو نعت العابدين يكون
نوعاً من افعالهم وشكر هو شكر العارفين يكون
باستقامتهم له في عموم احوالهم وقال الجنيد
روح الله روحه الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً
للنعمة وروى عن المرتعش انه يقول سمعت الجنيد يقول

كنت بين يدي السري وانا ابن سبع سنين وبين
يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام
ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله بنعمته فقال
يوشك ان يكون حظك من الله لسانك قال الجنيد
فلا ازال ابكي على هذه الكلمة التي قالها السري
وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة
وقيل شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص
على ما يرد على قلوبهم قيل قال داود عليه السلام
الهي كيف اشكرك وشكري لك نعمة من عندك فاوحى
الله تعالى اليه الآن قد شكرتني وقيل ان الشكر
ليس حافظاً للنعم فقط بل هو زعيم بزيادة النعم
واما ان من النعم اعلم ان كل خير وسعادة بل كل
مطلوب يسمى نعمة حقيقة ان كانت تعين على السعادة
الاخروية فالامور كلها بالاضافة الينا تنقسم
الى ما هو نافع في الدنيا والاخرة جميعاً كالعلم
وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما كالجهل وسوء
الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل كالتصر

كاتباع الشهوات والى ما يضره في الحال ويولم ولكن
ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع
في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا والضار فيهما
تحقيقا هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع
في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار
وتظنه الجهال نعمة قالوا في امثاله الجايع اذا
وجد عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا
واذا علمه علم ان ذلك بلاء سيق اليه والضار
في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب
بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال
مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب
الصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه
بلاء والعاقل يعده نعمة فلذلك تمنع الام ولدها
من الحجامة والاب يدعوه اليها والصبي لجهله
يتقلد منة من امه دون ابيه ويأنس اليها والى
شفقتها ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة
صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض

والالام اشد من الحجامة فالصديق الجاهل شر
من العدو العاقل وكل انسان فهو صديق نفسه
ولكنه صديق جاهل فلذلك يعمل به ما لا يعمل به
العدو وايضا ان الاسباب الدنياوية مختلطة
قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو كالمال والاهل
والولد والاقارب والجاه وساير الاسباب ولكن
ينقسم الى ما نفعه اكثر من ضرره في حق اكثر
الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما
يكافي ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص
فرب انسان صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر
فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو نعمة
في حقه مع نعمة التوفيق ورب انسان يستضر
بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من
ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا المرض القلبي
بلاء في حقه فالعاقل يعرف ان الدراهم والدنانير
مما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته فان الحاجات
مثلا لو كانت لا تنقضي بهما لكانتا هما والحصباء

بمثابة واحدة ولكن لما كانتا وسيلتين الى اللذات
صارتا عند الجهال محبوبتين في انفسهما حتى يجمعونهما
ويكنزونهما ويتصارفون عليهما بالرباء ويظنون
انهما مقصودتان ومثال هؤلاء مثال من يحب
شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه
ثم ينسى في محبة الرسول الجامع محبة الاصل فاعرض
عنه بالكلية وهذا غاية الجهل فالنقدان في انفسهما
من حيث هما جوهران لا يوصفان بانهما نعمة بل من
حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد
امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان
مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي
هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر
فكان وجودهما وعدمهما بمثابة واحدة بل ربما
شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء
في حقه ولا يكونان نعمة اعلم ان انواع النعم تنقسم
الى نافع وجميل ولذيذ واللذيذ هو الذي يدرك
راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل

والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال والشرور
ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومولم وكل واحد من
القسمين ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي
اجتمع فيه الاوصاف الثلثة اما في الخير فكالعلم
والحكمة فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل
العلم والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح
ومولم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل
بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم
النقص فينبعث منه شهوة العلم اللذيذ ثم قد يمنعه
الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه
متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تألم بالجهل
ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تألم بترك
الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص
لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني
مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف دون بعض
فرب نافع مولم كقطع الاصبع المتآكلة والسلعة
الخارجة من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه

السلعة زيادة تحدث
في البدن كالغدة
صح

بالاضافة الى بعض الاحوال نافع وقد قيل استراح
من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح
في الحال فرب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء
المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال و
نافع للنفس في نجاتها والنافع ينقسم الى ضروري
كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الاخرة
والدنيا والى ما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا
في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها بما يقوم
مقامه اعلم ان جملة النعم يحتاج الى البعض منها
الحاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية
كحاجة سعادة الاخرة الى الايمان وحسن الخلق
اذ لا سبيل للوصول الى سعادة الاخرة البتة الا
بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الاخرة
الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل
النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق والى صحة
البدن ضروري واما الحاجة النافعة على الجملة
كحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة

مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم تطرق
الخلل في بعض النعم الداخلة وقد سئل انه ما وجه الحاجة
لطريق الاخرة الى النعم الخارجة من المال والاهل
والجاه والعشيرة واجيب بان هذه الاسباب جارية
مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود واما
المال فالعالم في طلب العلم والكمال وليس معه كفايته
كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد
بلا جناح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم
المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على
تقوى الله المال كيف ومن عدم المال صار مستغرق
الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن
وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من
الاذى يشغله عن الذكر والفكر لا يندفع الا بسلاح
المال ثم مع ذلك يحرم من اكثر الفضيلات قال
بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم فقال الغنى فاني
رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني
رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني

رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني
رأيت الهرم لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى
نعم الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الآخرة
فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من اصبح
معافا في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه
فكانما حيزت الدنيا بحذافيرها واما الاهل
والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما
اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين
المرأة الصالحة وقال في الولد اذا مات العبد
المؤمن انقطع عمله الا من ثلث ولد صالح يدعو
له الحديث واما الاقارب فمهما كثروا اولاد الرجل
واقاربه كانوا مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم
من الامور الدنياوية المهمة في دينه ما لو انفرد
به لطال شغله وكلما تفرغ قلبك عن ضرورات
الدنيا فهو معين على الدين فهو اذن نعمة واما
العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل
والضيم ولا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن

يقال فلان آمن في سربه
اي في نفسه
صح

لطيفة دخل بعض الندماء على
بعض الملوك فقال كيف
اصبحت قال ملكت ثلثي الدنيا
فاشار الى خازنه فدفع له حاجته
فقال له الخازن كيف تعطى
من يملك ثلثي الدنيا فقال
له اشار الى الحديث انه امن في
سربه معافا في بدنه غير
القوت يومه صح

عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله
وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما
يندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل
الدين والسلطان توأمان وقال تعالى ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
الآية ولا معنى للجاه الا ملك القلوب كما لا معنى
للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت
له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج
الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة يدفع
عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج
ايضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى
هذا القصد كان الانبياء الذين لا ملك لهم و
لا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم
الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول
من خزائنهم والاستيثار والاستكثار في الدنيا
بمنافعهم فان قلت فقد ادخلت المال والجاه
والنسب والاهل والولد في حيز النعم وقد ذمها الله

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم
يعرض نفسه على القبائل
لاجل اظهار الدين وقال
لوط او اوى الى ركن شديد

وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء
قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة
وقال على كرم الله وجهه الناس ابناء ما يحسنون
وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا
بابيه فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة
شرعا قلنا المال مثال الحية التى فيها درياق
نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذى يعرف
وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج درياقها
النافع كانت نعمة وان اصابها السوادى الغر فهى
عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذى تحته اصناف
الجواهر واللآلى فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة
وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر
فقد ظفر بنعمته وان خاضه جاهل بذلك فقد هلك
فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون
على تقوى الله المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ

قوله المعزم بمكرم اسير الحب والمراد به ما ذكره بعد

قوله السوادى هو المنسوب للسواد وهو المال والغر بالكسر الذى لا تجربة له بالامور

من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بان اظهره
على الدين كله وحببه فى قلوب الخلق وهو المعنى
بالجاه ولكن المنقول فى مدحهما قليل والمنقول
فى ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو مذم
الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى
الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان
الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال
وطريق الغوص فى بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم
يهلكون بسم المال قبل الوصول الى درياقه ويهلكهم
تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا
فى اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد لما
تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليها
الغنى كما كان لسليمان على نبينا وعليه السلام
فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء
والعارفون معزمون فاذن النعم الدنيوية مشوبة
قد امتزج داؤها بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها

بصّرها لمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب
منها متقياً داءها ويستخرج دواءها ومن لا يوثق
فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار
والمعنى فيه تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار
منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى
الدنيا ولذاتها فأما أخذها بقدر الكفاية
وصرف الفاضل إلى الخيرات فليس بمذموم ولما
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الأغنياء
يدخلون الجنة بشدة استأذن عبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه في أن يخرج من جميع ما
يملكه فأذن له فنزل جبرئيل عليه السلام وقال
مره أن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف
الحديث كذا في الإحياء **فصل** اعلم أن الأصل
لجميع النعم خلق الله المكلفين أحياء قادرين وأما
خلق الأرض والسماء فذاك إنما ينتفع به بشرط
حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة وأيضاً
كلما في السماء والأرض من الدلائل على وجود الصانع

فهو حاصل في الإنسان بزيادة الحيوة والقدرة
والشهوة والعقل فإذا اعتبرت وتأملت وجدت
الكل نعم الله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فتأمل أن الأشجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها
للأبنية فانظر إلى الحجر الذي يستخرج منه النار
مع كثرته وانظر إلى الياقوت الأحمر مع عزته ونظر
إلى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا
الخطير ثم تأمل أن البشر استنبطوا الحرف الدقيقة
والصنايع الجليلة واستخرجوا الدرر والسمك من
قعر البحر واستنزلوا الطير من أوج الهواء لكن عجزوا
عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه أن معظم
فائدتهما ترجع إلى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل
إلا عند العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه
الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما باباً مسدوداً
ومن هنا اشتهر في الألسن من طلب المال بالكيمياء
فقد أفلس ثم أن الله تعالى زين السماء بالمصابيح
وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً وكلها

نعم وفي تفسير النيسابوري قال الجاحظ اذا تأملت
في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج
اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة
كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان
كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة
لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه فهذه
جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير
كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير
متناهية انتهى وفي الاحياء اعلم ان نعم الله تعالى
في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة
لان يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعة كثيرة
ولله تعالى في خلقها عجايب كثيرة لا تحصى واسباب
متناهية لا تتناهى فالاطعمة اما ادوية واما فواكه
واما اغذية فلنأخذ الاغذية ومن جملتها حبة
من البر فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها
فنيت وبقيت جايعا فما احوجك الى ان تنمو الحبة
في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك

فخلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما
تغتذى به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك
في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء فانه
ايضا يغتذى بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة
العروق فكما ان الخشب والتراب لا تغذيك بل
يحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي
بكل شيء بل يحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك
لو تركتها في تراب البيت لم تزد ولو تركتها في ارض
لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء
يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة
بقوله فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء
صبا ثم شققنا الارض شقا ثم لا يكفي الماء
والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة
لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في ارض
متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك
اليها بنفسه فيحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه
بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة

بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها
في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض
ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط او شتاء
شاتي فيحتاج الى الحرارة الربيع والصيف
فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر
الى ما ذا يحتاج كل واحد اذ يحتاج الماء لينساق
الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار
والسواقي فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون
واجرى منها العيون ثم الارض مما يكون مرتفعة
والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم
وكيف سلط الرياح عليها تسوقها باذنه الى اقطار
العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف
يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف
على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال الحافظة للمياه
تنفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت
البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في
الجبال والسحاب والبحار والامطار لا يمكن احصاؤها

واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض
وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها
مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت
دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر
عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم
فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن
الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فافتقر
الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من
خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس
التسخين فهو منضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر
الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق
الشمس والقمر وساير الكواكب عليها لكانت فاسدة
ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذا اظلتها
شجرة كبيرة ويعرف ترطيب القمر بان تكشف له
رأسك في الليل فيغلب على رأسك الرطوبة التي
يعبر عنها بالزكام فكما يرطب نفسك يرطب الفواكه
ايضا فقد سخر كل كوكب لنوع فائدة كالشمس للتسخين

والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة
لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان
خلقها عبثا ولم يصح قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا
باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
وكما انه ليس في اعضائك عضو الا لفائدة فليس
في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله
كشخص واحد وآحاد اجسامه كالاعضاء له وهي
متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك
وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان يظن ان الايمان
بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى
في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع
لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن
علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما
ان يصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها
ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا
كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون
عنه من الآثار التي لا تشترك كافة الخلق في دركها

لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم
كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم
فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب
عن الخطاء فاعتقاد كون الكواكب اسبابا لآثار
تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي النبات
والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق ولكن
دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل
قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته
وتريد تجفيفه فقال لك الغير اخرج الثوب وابسطه
فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه
ولا يلزمك الانكار عليه لحوالته حمي الهوى على
طلوع الشمس واذا سألت من تغير وجه الانسان
فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم
يلزمك تكذيبه وقس على هذا سائر الآثار الا ان
الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول
لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم
للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس

وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق
الشمس فان الكواكب ما خلقت عبثاً بل فيها حكم
كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى السماء ثم قرأ قوله ربنا ما خلقت
هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال
ويل لمن قرأ هذه الاية ثم مسح بها سبلته ومعناه
ان يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت
السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب
وذلك مما تعرفه البهائم ايضاً فمن قنع منه بمعرفة
ذلك فهو الذي مسح بها سبلته كذا في الاحياء اللهم
اجعلنا من المتيقظين كذا في مختارات النوازل
واما علم النجوم فهو في نفسه حسن غير مذموم اذ
هو قسمان حسابي وانه حق وقد نطق به الكتاب
قال الله تعالى والشمس والقمر بحسبان اي سيرهما
بحساب والراسخون في العلم ان الشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره والاستدلال بسير النجوم وحركة
الافلاك على الحوادث بقضاء الله تعالى وقدره جائز

السبلة محركة الدائرة في وسط الشفة العليا
او ما على الشارب من الشعر او طرفه او مجتمع
الشاربين او ما على الذقن الى طرف اللحية كلها
او مقدمها خاصة وجمعه سبال كذا في القاموس

كاستدلال الطبيب بالنبض من الصحة والمرض
ولو لم يعتقد بقضاء الله تعالى او ادعى علم الغيب
لنفسه يكفر ثم تعلم علم النجوم مقدار ما يعرف به
مواقيت الصلوة والقبلة لا بأس به انتهى قال حجة
الاسلام ايضاً فلله في ملكوت السموات والارض و
الافاق والانفس والحيوانات والنبات عجايب يطلب
معرفتها المحبون في الله فان من احب عالماً فلا يزال
مشغولاً بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على
عجايب علمه حباً له فكذلك الامر في عجايب صنع الله
تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين
من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده
فان تعجب في تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي
سخر المصنف لتأليفه بما انعم عليه من هدايته و
تسديده وتعريفه فاذن المقصود ان غذاء النبات
لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب
ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها
ولا يتم الافلاك الا بحركاتها ولا يتم حركاتها الا

بملائكة سماوية يحركونها وكذلك لا يتمادى ذلك
الى اسباب بعيدة هذا بعض من اسباب غذاء النبات
ليكون ذكره انموذجا على سائره واما كون اصلاح
الاطعمة من النعم فاعلم ان الذي ينبت من الارض
من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان
يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد لكل واحد من
اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بابقاء البعض
والقاء البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء
ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا
ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى
يستدير ويصلح الاكل من بعد القاء البذر في الارض
فاول ما يحتاج اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض
ثم الثور الذي يثير الارض والفدان وجميع
اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم
تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك
والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل
هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص

الفدان آلة الثور للحرث صح

القائمين بها وعدد الالات التي يحتاج اليها
من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال
الصناع في اصلاح آلة الحراثة والطحن والخبز من
نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد
والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله الجبال
والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا
متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا
واحدا لا يستدير ولا يصلح لاكلك ما لم يعمل عليه
اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي
السحاب لينزل الماء الى اخر الاعمال من الملائكة
حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار
طلبه قريب من سبعة الاف صانع كل صانع
اصل من اصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق
ثم تأمل كثرة اعمال الانسان في تلك الالات
حتى الابرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة
اللباس الذي يمنع البرد عنك لا يكمل صورتها
من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان يمر على يد

الا ترى خمسا وعشرين مرة يتعاطى في كل مرة
منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر
العباد وافتقرت الى عمل المنجل الذي يحصد به
البر مثلا بعد نبات لنفد العمر وعجز عنه افلا ترى
كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة
لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة
ولو لم يكشف الله طريق ايجاده بفضله وكرمه
لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه
بفكرنا ثم الى استخراج النار من الحجر والى تحصيل
الآلات التي بها يعمل الصنايع وعمر الواحد منا
عمر نوح وادى كمال العقول لقصر عمره عن استنباط
الطريق في اصلاح آلة واحدة وحدها فضلا
عن غيرها فسبحان من الحق ذوي البصاير
بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا
البيان فانظر الان لو خلا بلدك عن الطحان مثلا
او عن الحداد او عن الحجام او عن الذي هو اخس
الاعمال او عن واحد من جملة الصنايع ما يصيبك

من الاذى وكيف تضطرب عليك امورك وانظر
كيف الف الله تعالى بين قلوب هؤلاء الصناع
وغيرها وسلط الانس عليهم والمحبة اذ لو تفرقت
آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش
لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل
كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا
يجمعهم غرض واحد ولاجل الالف وتعارف
الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد
ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا
الاسواق والخانات وساير اصناف البقاع مما
يطول احصاؤه ثم هذه المحبة تزول باغراض
يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان
الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدي الى
التنافر والتقاتل فانظر كيف سلط الله تعالى
السلاطين وامدهم بالقوة والعدة والاسباب
والقى رعبهم في قلوب الرعايا وانظر كيف بعث
الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا

وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين
الخلق فاذا عرفت هذا فاعتبر واعترف بان نعم
اي ما ذكر من النعم
الله كثيرة لا تحصى واشكر كما شكر اهل الجنة
قال الله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
وحسبنا الله وهو ولي التوفيق **الباب**
الخامس في الاخلاص في جميع الامور اعلم
ان كل مؤمن يجب عليه الاخلاص وقبول كل عمل
موقوف على الاخلاص قال الله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الا لله الدين
الخالص عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال
حين بعث الى اليمن يا رسول الله اوصني قال اخلص
دينك يكفيك العمل القليل وعن ابي الدرداء
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الدنيا ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله تعالى
وعن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من فارق الدنيا على الاخلاص
لله تعالى وحده لا شريك له واقام الصلوة واتى

الزكوة فارقها والله تعالى عنه راض وعنه
رضي الله عنه ايضا قال قال صلى الله عليه وسلم
ثلث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله
ومناصحة ولاة الامر ولزوم جماعة المسلمين
وعن ابي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قد افلح صح من اخلص قلبه للايمان و
جعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة
وخليقته مستقيمة وجعل اذنه مستمعة وعينه ناظرة
وقد ورد خبر مسند ان النبي صلى الله عليه وسلم
اخبر عن جبريل عن الله سبحانه وتعالى انه قال
الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببت
من عبادي وسئل حذيفة عن الاخلاص ما هو
قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص
ما هو قال سألت جبريل عن الاخلاص ما هو قال
سألت رب العزة عز وعلا عن الاخلاص ما هو قال
سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي
قال سيد الطائفة الجنيد روح الله روحه الاخلاص

سر بين الله تعالى وبين العبد لا يعلمه الا ملك
فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله
قيل الاخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين
والصدق التنقي عن مطالعة النفس فالمخلص
من لا رياء له والصادق من لا اعجاب له وقال
ذو النون المصري الاخلاص لا يتم الا بالصدق
فيه والصبر عليه والصدق لا يتم الا بالاخلاص
فيه والمداومة عليه قيل نقصان كل مخلص في
اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا اراد الله تعالى
ان يخلص اخلاصه اسقط عن رؤيته لاخلاصه
فيكون مخلَصا لا مخلِصا وقال سهل لا يعرف
الرياء الا مخلص قال ابو سعيد رياء العارفين
افضل من اخلاص المريدين وقال ذو النون الاخلاص
ما حفظ من العدو ان يفسده فاذا عرفت هذا فاعلم
ان التحلية بعد التخلية فخل قلبك عن الرياء حتى
يحصل تحلية القلب بالاخلاص والانسان صاحب
النفس مسلط عليه الشيطان ابتلاء من الله تعالى

ليرى صدق مجاهدته وقوته كما ان الله تعالى سلط
علينا الكفار مع قدرته على كفاية امرهم وشرهم
ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر قال الله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وايضا قد يشتبه
علينا خاطر لا ندري انه شر من الشيطان او خير من غيره
فعلينا المحاربة والقهر والدوام على ذكر الله تعالى
ومعرفة وساوسه ومكائده فلا بد اولا من معرفة
منشاء الخواطر وتمييز خيرها من شرها فهي آثار
يحدثها الله تعالى في قلب العبد تبعثه على الافعال
والتروك اما ابتداء فيقال له الخاطر فقط وعلامته
كونه قويا مصمما وفي الاصول (اي العقايد) والاعمال الباطنة
وان يكون خيرا عقيب اجتهاد وطاعة اكراما فيسمى
توفيقا وهداية ولطفا وعناية قال الله تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا
زادهم هدى او شرا عقيب ذنب اهانة وعقوبة
فيسمى خذلانا واضلالا واما بواسطة ملك موكل

اي الاخلاق

مِنَ اللهِ تعالى على ابن ادم يقال له الملهم ولدعوته
الالهام ولا يكون الا الى الخير وعلامته كونه مترددا
بين الفعل والترك وفي الفروع والاعمال الظاهرة
ويكون بلا سبق طاعة او معصية في الاغلب او
بواسطة طبيعة مائلة الى الشهوات يقال لها
النفس ولدعوتها هوى ولا يكون الا الى الشر وعلامته
كونها مصمما ثابتا على حالة واحدة وان لا يضعف
ولا يقل بذكر الله تعالى او بواسطة شيطان
مسلط على ابن ادم يقال له الوسواس الخناس
ولدعوته الوسوسة وعلامته كونه مترددا او
مضطربا وبلا سبق ذنب في الاكثر وان يضعف
بذكر الله تعالى ويكون شرا في الاغلب وقد يكون
خيرا مفضولا ليمنعه عن الفاضل ويجره الى ذنب
عظيم وعلامته ان يكون قلبك فيه مع نشاط
لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن
لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة
وعن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم

اي انه خير او شر

قال ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن
ادم فان ذكر الله خنس وان نسي الله التقم
قلبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال في القلب لمتان لمة
من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة
من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي
عن الخير اعلم ان لمعرفة الخواطر اربعة موازين
على الترتيب المذكور الاول عرضه على الشرع فان
وافق جنسه فخير وان ضده فشر والثاني عرضه
على عالم عامل ومرشد كامل ان وجد فان قال
خير فخير وان شر فشر والثالث عرضه على
الصالحين فان كان في فعله اقتداء بهم فخير
وان بالطالحين فشر والرابع عرضه على النفس
والهوى فان تنفر عنه نفرة طبع فخير وان مال
اليه ميل طبع فشر اذ النفس اذا خليت وطبعها
لامارة بالسوء واما حيل الشيطان ومجادلته
في الطاعة لاصحابها فمن سبعة اوجه الاول

النهي عن الطاعة فإن عصمه الله تعالى رده حسب
التوفيق فيفعل الطاعة والثاني الأمر بالتسويف فإن
عصمه الله تعالى رده بالعمل في وقته فإن لكل وقت
عملا والثالث الأمر بالعجلة ليتفرغ لكذا وكذا فإن
عصمه الله تعالى رده وأتمه فإن قليل العمل خير من
كثيره مع النقصان والرابع الأمر بتمام العمل مع
مراياة الخلق فإن عصمه الله تعالى رده وعلم أن
الناس لا يقدرون على نفع وضر والخامس الإيقاع
في العجب فيعجب بالاغترار بذلك إن لم يعصمه الله فإن
عصمه الله رده وعرف أن المنة لله تعالى وهذا التوفيق
منه تعالى نعمة وفضل والسادس قوله اجتهد
أنت في السر فإن الله تعالى سيظهره ويجعلك شريفا
خطيرا بين الناس وأراد بذلك نوعا من الرياء
الخفي فإن عصمه الله تعالى رده وعرف أنه عبد
وأن التصرف له تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
والسابع قوله في آخر خدعه لا حاجة لك إلى هذا
العمل لأنك إن خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل

وإن خلقت شقيا لم ينفعك العمل ففي أي شيء
تجتهد وتترك راحتك وتضر نفسك فإن عصمه الله
تعالى رده وعرف أنه عبد وعلى العبد امتثال
أمر سيده والرب أعلم بربوبيته يحكم ما يشاء
ويفعل ما يريد وأن العمل ينفعه كيف ما كان
إن كان سعيدا احتاج إليه لزيادة الثواب
وإن كان شقيا فكذلك لئلا يلوم نفسه على
أن الله تعالى لا يعاقب على الطاعة بكل حال ولا
تضره على أنه إن دخل النار وهو مطيع أحب إليه
من أن يدخلها وهو عاص فكيف ووعده حق و
قوله صدق وقد وعد على أهل الطاعات المخلصين
بالثواب فمن لقي الله تعالى على الإيمان والطاعة
الخالصة دخل الجنة بفضله ووعده الصادق
قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
فإذا عرفت هذا فاعلم أن من الناس من يتردد بين
الرياء والإخلاص كالرجل الذي يبيت مع قوم فيقومون
للتهجد جوف الليل وهو ممن لا يقوم أصلا أو يقوم

قليلة من قيامهم فاذا راهم انبعث نشاطه
للموافقة حتى يزيد على معتاده وكذلك قد يقع
في موضع يصوم اهله تطوعا فينبعث له نشا
في الصوم فربما يظن انه رياء وان الواجب ترك
الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل
فان كان نشاطه لزوال الغفلة بمشاهدة الغير
وقد اقبلوا على الله تعالى واعرضوا عن النوم والاكل
واندفاع العوائق والاشغال مثل تمكنه على الفراش
وتمكنه من التمتع بزوجته او امته او المحادثة باهله
واقاربه او عدم النوم لاستنكاره الموضع او
بسبب اخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه
النوم وقد يعسر عليه الصوم في منزله فهذه وامثالها
ليست برياء فعليه الموافقة والعمل وان كان نشاطه
طلبا لمحمدتهم او خوفا من ذمهم ونسبتهم اياه
الى الكسل خصوصا اذا كانوا يظنون انه يقوم بالليل
او يصوم تطوعا فلا يسمح نفسه بان يسقط من
اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته في قلوبهم فلا يجوز

له ان يزيد على معتاده لانه يعصي الله تعالى
بطلب محمدة الناس او دفع ذمهم وسقوط منزلته
عندهم بهذه الطاعة فلا يكون مخلصا لانه رياء
محظور فالعارف يفرق بينهما ويعرض على نفسه انه
لو رأى هؤلاء يصلون ويصومون من حيث لا يرونه
انبعث له هذا النشاط للموافقة فيوافقهم والا
فرياء لا يزيد على المعتاد اذ لا يكون مخلصا حينئذ
ومن ذلك ذكر الله تعالى والاستغفار والاستعاذة
من العامة عند الناس وقد يكون لخاطر خوفه
وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراياة فراقب
قلبك واحفظه وميز بينهما فان كان لله تعالى
فامضه والا فكن على بصيرة ومن ذلك اظهار
الطاعة فان الباعث عليه قد يكون قصدا للاقتداء
فيكون افضل من الاخفاء والله تعالى اعلم بحقيقة
الحال عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال عمل السر افضل من عمل العلانية
والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء وهذا لا يكون

وانما قال من العامة لان اولياء الله تعالى يذكرون الله تعالى في كل وقت ويحاسبون انفسهم قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية نفعنا الله بهم منه

اي مما ذكر من الحال المترددة بين الرياء والاخلاص منه

الا في المقتدى به وقد يكون الباعث في اظهار العمل
الرياء فان اشتبه عليك فعليك الاخفاء الا اذا
يكون الاظهار واجبا او سنة مثل الجماعة و
من الحال المترددة بين الرياء والاخلاص ايضا
التحديث بما فعله من الطاعات بعد الفراغ وحكمه
حكم اظهار عمله الا انه اذا تطرق اليه الرياء
لم يؤثر في افساد العبادة الماضية ولم يحبط ثوابها
بل يكون تحديثه معصية جديدة وهي الرياء وبالجملة
الاخفاء في العبادات التي لا يلزم اظهارها افضل
من الاظهار الا عند المتيقن بقصد التعليم والاقتداء
فالاظهار ح افضل وقس على هذا امثالها اعلم
ان كثيرا من الناس يغلطون في بعض العمل ويظنون
انه رياء كمن يكون له ورد معين كصلوة الضحى
والتهجد فيقع في قوم لا يفعلونهما فيتركهما خوفا
من الرياء ولا رياء فيهما اذ مداومته السابقة
دليل على الاخلاص بمجرد خاطرة الرياء في القلب بلا
اختيار وقبول ليس بضار في صحة عمله ولا رياء

لانه لم يعمل الا لوجه الله تعالى فيكون مخلصا
نعم عليه ان لا يزيد على المعتاد ان لم يجد للزيادة
باعثا دينيا وقد يتركهما لا خوفا من الرياء بل
خوفا ان ينسب الى الرياء هذا الترك عين الرياء
لان الترك خوفا من النسبة الى الرياء خوف من
سقوط منزلته عندهم فلا يكون مخلصا وفيه ايضا
سوء الظن بالمسلمين وقد يقع في خاطره ان تركه
لاجل صيانتهم عن معصية الغيبة لا للفرار عن
ذمهم وسقوط منزلته عندهم وهذا ايضا سوء
الظن بهم وصيانته الغير عن المعصية انما تحسن
في ترك المباحات لا المستحبات والسنن فعلى
هذا يكون قول من قال انما تركت السواك والطيلسان
والمشي حافيا ونحوها صيانة لالسن الناس عن
الغيبة سوء الظن بهم نعوذ بالله من شرور انفسنا
وسيئات اعمالنا فان كنت طالبا للاخلاص وكيف
لا وهو درجة عظيمة فكن على بصيرة في اعمالك روي
عن ابي سليمان انه يقول اذا اخلص العبد انقطع

عنه كثرة الوسواس والرياء وعن مكحول قال
ما اخلص عبد قط اربعين يوما الا ظهرت ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه وروى عن سهل ان عبد
الله قال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم
قليل وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه عليه الصلوة
والسلام قال من احسن الصلوة حيث يراه الناس
واساءها حين يخلو فتلك استهانة استهان بها
ربه تبارك وتعالى وعن ابى لبيد رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف
ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل
اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم
تراؤن فى الدنيا فانظر هل تجدون عندهم جزاء
والايات والاحاديث كثيرة فى ذم الرياء وانت
طالب الاخلاص وهو لا يجتمع به فالعاقل يعرف
ويهتدى الى كون الرياء مذموما بقليل التفات
اذ معنى الرياء جعل عبادة الله تعالى التى هى

موضوعة للتقرب اليه وسيلة الى مدح الغير وفيه
قلب الموضوع وعكس المشروع وعلاجه الاخلاص
بقطع عروقه واستيصال اصوله وذلك بازالة اسبابه
وتحصيل ضده فعليك فى اول كل عبادة ان تفتش
قلبك وتخرج عنه خواطر الرياء واطلاع الخلق
عليه اورجاءه ثم الرغبة فى حمدهم وحصول
المنزلة عندهم وتقرره على الاخلاص وتعزم عليه
الى ان تتم هذه العبادة عارفا بان الله تعالى
رقيب عالم على كل شئ وهو النافع الضار لا احد
الى سواه من الخلق اطلعوا او لم يطلعوا وقد يشرع
العبد فى العبادة على عزم الاخلاص وقطع النظر
عما سوى الله تعالى ثم يرد خاطر الرياء فيقبله
بغتة ولا يحضره ولا يرى له واحدا من وجوه
الرد بسبب عدم التخلية واستيلاء الحرص وحب
المدح وخوف الذم فيغيب عن مرآة قلبه معرفة
الله تعالى ويكدره آفات الرياء فيدنسها فلم
يظهر الاخلاص لانه ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعر

بجلاء التذكر ان الذي خطر له خاطر الرياء وانه
يعرضه لسخط الله تعالى ولكن لا ينتهي لشدة
كدورة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على
ترك لذة الحال فيستلذ بالشهوة ويسوف بصدق
التوبة او يتشاغل عن الفكر في ذلك لشدة الشهوة
واذا لم يكن منه قبول وركون بالاختيار فلا
يضر مجرد خطور الرياء وميل الطبع اليه وحبه
له ومنازعته اياه اذ ليس في وسع العبد دفع
النزغات دائما ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى
الشهوات وقصارى امره ان يقابل شهوته بكراهة
واباء وعدم اجابة استفادها من علم الدين بتوفيق
الله تعالى ويكون مع ذلك وجلا من عمله خائفا
ان يدخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون
مردودا ممقوتا لله ويكون هذا الخوف في دوام عمله
وبعده لا في ابتداء العمل بل ينبغي ان يكون متيقنا
في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى
حتى يوجد النية اذ هي المصمم الباعث فلا يجتمع

مع الشك والاحتمال فاذا شرع على اليقين والاخلاص
ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان جاء
الخوف من شائبة خفية من رياء او عجب فاذا فعل
ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف واما غلبة الخوف
على الرجاء او العكس فقد اختلف اقوال المشايخ
فيها قال بعضهم ينبغي ان يغلب الرجاء لانه استيقن
انه دخل باخلاص وشك في زواله فمن قواعد الشرع
ان اليقين لا يزول بالشك فبغلبة رجاء الاخلاص
يعظم لذته في المناجات والطاعات لربه تعالى وتقدس
وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكون مكفرا لخاطر
الرياء ان كان قد سبق عنه وهو غافل عنه والمنقول
عن اكثر المشايخ غلبة الخوف والمتأخرون قالوا
باختلاف الاحوال والاشخاص ففي وقت من الاوقات
او حال من الاحوال للبعض ينبغي ان يكون الغلبة
للخوف وفي اخر ان يكون الغلبة للرجاء ولبعض اخر
ان يكون الغلبة للرجاء او المساواة والعلم عند
الله تعالى فاذا عرفت هذا عرفت لزوم الاخلاص

وفرقت بين مخلص في جميع اعماله ومخلص في
بعض اعماله ومخلص عند الشروع الى اعماله و
كلهم مخلصون وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين **المقصد الثاني** في النصيحة لكتابه
وهي الايمان بان كلام الله تعالى وتنزيهه بانه
لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله
احد من المخلوقات ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته
واقامة حروفه في التلاوة والتصديق بما فيه
وتفهم علومه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه
والبحث عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه
وسائر وجوهه وفنون علومه وحقيقة هذه
ايضا راجعة الى النصيحة نفسه **وهو على خمسة
ابواب** ايضا **الباب الاول** في الايمان
بان كلام الله تعالى لا يشبهه شيء من كلام
الخلق ولا يقدر عليه احد من المخلوقات وفيه
فصلان **الاول** في الايمان بان كلام الله تعالى
اعلم ان القرآن كتاب الله تعالى المنزل الذي

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد حتى اتسعت على اهل الايمان طرق
الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح
به سلوك المنهج القويم وهدى الصراط المستقيم
بما فصل به من الاحكام وفرق به بين الحلال
والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من
الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من عانده
من الجبابرة اذله الله ومن ابتغى العلم في غيره
اضله الله هو حبل الله المتين من تمسك به
نجا ومن تركه ضل وغوى فهو المحيط بالقليل
والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه
ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند
ارباب البصائر تحديد ولا يخلقه عند اهل
التلاوة كثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين
والآخرين ولما سمعته الجن لم يلبثوا ان ولوا
الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا
عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك

بربنا احدا فكل من آمن به فقد وفق ومن
قال به فقد صدق قال عز وجل الم ذلك الكتاب
لا ريب فيه هدى للمتقين واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى
صراط مستقيم وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه
واتقوا لعلكم ترحمون يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان هذا
القرآن يهدي للتي هي اقوم وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته و
ليتذكر اولوا الالباب الله نزل احسن الحديث

كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر
الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن
يضلل الله فما له من هاد وانه لكتاب عزيز لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد روى عن جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن شافع
مشفع وما حل مصدق من جعله امامه قاده
الى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه الى النار
وعنه صلى الله عليه وسلم قال ما من شفيع
افضل منزلة عند الله يوم القيمة من القرآن
لا نبي ولا ملك ولا غيره وعن علي رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرأ القرآن واستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه
ادخله الله تعالى الجنة وشفعه في عشرة من
اهل بيته كلهم قد وجبت له النار والاحاديث
والاخبار فيه كثيرة لا تحصى قال ابن مسعود رضي

الله عنه اذا اردتم العلم فأثروا القرآن فان
فيه علم الاولين والآخرين وقال ابو هريرة رضي
الله عنه ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله
عز وجل اتسع باهله وكثر خيره وحضره الملائكة
وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا
يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل
خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين
وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية
الاسلام فلا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو
مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق
القرآن ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ علي فقرأ
عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر الاية فقال
له اعد فاعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
وما يقول هذا بشر واما ما ورد في ذم تلاوة الغافلين

فروي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال
رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال بعض العلماء
ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم
يقرأ الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه
الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وفي حديث
ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا
يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد
صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها و
آمرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده منها
ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان
فيقرأ ما بين فاتحة القرآن الى خاتمته لا يدري
ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده
ينثره نثر الدقل ونقل انه قد ورد في التورية
يا عبدي اما تستحيي مني يأتيك كتاب بعض اخوانك
وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق فتقعد
لاجله فتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك
منه شيء وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم وصل

الدقل محركة اردأ التمر

تلك فيه من الهول وكم كررت عليك فيه لتتأمل
طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون
عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك
بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي
الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك
شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا
مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك
عني افجعلتني اهون عليك من بعض اخوانك
اللهم اجعلنا من الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته
فكم من تال لكتاب الله منسلخ من ايات الله
فاذا عرفت هذا عرفت ان الايمان به يستلزم
تصديق الكتب المنزلة وكيف لا وقد قال الله تعالى
امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله الاية
وقال تعالى نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل
هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا

بايات الله لهم عذاب شديد الاية وقال تعالى
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما
انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة
والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر
اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا
داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل
ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما
لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا اعلم ان اهل السنة
والجماعة اتفقوا على ان كلام الله تعالى منزل
واختلفوا في معنى الانزال قال الاصفهاني في اول
تفسيره قال بعضهم الانزال اظهار القراءة وقال

بعضهم ان الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو
في السماء وهو عال من المكان علمه قراءته ثم جبريل
اداه في الارض وهو يهبط في المكان وفي التنزيل
طريقان احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
انخلع من صورته البشرية الى الصورة الملكية
واخذه من جبريل والثاني ان الملك انخلع الى
البشرية حتى يأخذه الرسول منه والاول اصعب
الحالين انتهى وقال الطيبي لعل نزول القرآن على
الرسول صلى الله عليه وسلم ان يتلقفه الملك
من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح
المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه عليه واختلف
في اول ما نزل من القرآن ايضا على اقوال الاول
وهو الصحيح اقرأ باسم ربك القول الثاني يا ايها
المدثر القول الثالث سورة الفاتحة القول
الرابع بسم الله الرحمن الرحيم واختلفا ايضا في
آخر ما نزل فروي عن البراء بن عازب قال آخر اية
نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وآخر

سورة نزلت براءة واخرج البخاري عن ابن عباس
قال آخر اية نزلت اية الربوا والنسائي من طريق عكرمة
عن ابن عباس قال آخر ما نزل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله وروي عن ابي كعب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرأني ايتين لقد جاءكم
رسول من انفسكم الى قوله تعالى رب العرش العظيم
قال هذا آخر ما نزل من القرآن واخرج مسلم عن
ابن عباس رضي الله عنه قال آخر اية نزلت اذا
جاء نصر الله والفتح واخرج الترمذي والحاكم
عن عايشة رضي الله عنها قالت آخر سورة نزلت
المائدة وروي ان آخر اية نزلت من القرآن
فمن كان يرجو لقاء ربه الاية وروي ايضا
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم آخر
ما نزلت واخرج ابن مردويه عن طريق مجاهد
عن ام سلمة قالت آخر اية نزلت هذه الاية فاستجاب
لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم الى آخرها
وفي البرهان لامام الحرمين ان قوله تعالى

قل لا اجد فيما اوحى الي محرما الآية من اخر ما
نزل هذا واشهر الاقوال ان المكي ما نزل قبل
الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة
ام بمكة عام الفتح او عام حجة الوداع ام بسفر
من الاسفار وقيل المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة
والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الواسطة
فما نزل بالاسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني
الثالث ان المكي ما وقع خطابا لاهل مكة
والمدني ما وقع خطابا لاهل المدينة وفي الاتقان
وقد كان القرآن كله كتب في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد
ولا مرتب السور وقال الحاكم في المستدرك جمع
القرآن ثلث مرات احديها بحضرة النبي صلى الله
عليه وسلم الثانية بحضرة ابي بكر رضي الله عنه
والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان رضي
الله عنه قيل فكتب سبعة مصاحف فارسل الى
مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة

والى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا قال في البرهان
سمى الله القرآن بخمسة وخمسين اسما كتابا ومبينا
وكريما وكلاما ونورا وهدى ورحمة وفرقانا
وشفاء وذكرا ومباركا وعليا وحكمة وحكيما
ومهيمنا وحبلا وصراطا مستقيما وقيما وقولا
وفصلا ونبأ عظيما واحسن الحديث ومثاني
ومتشابها وتنزيلا وروحا ووحيا وعربيا و
بصائر وبيانا وعلما وحقا وهاديا وعجبا وتذكرة
والعروة الوثقى وصدقا وعدلا وامرا ومناديا
وبشرى ومجيدا وزبورا وبشيرا ونذيرا وعزيزا
وبلاغا وقصصا وسماه اربعة اسماء في اية
واحدة في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة قال
ابو امامة الباهلي اقرؤا القرآن ولا يغرنكم هذه
المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا وعاء
القرآن فاهل القرآن اهل الله وخاصته امنوا
واخلصوا دينهم في العمل بمقتضاه وروى الترمذي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من

استحلّ محارمه الفصل الثاني في تنزيهه
بانه لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على
مثله احد من المخلوقات اعلم ايدك الله واياناه
بفضله العظيم ان هذه الشريعة لما كانت باقية
على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصّت بالمعجزة العقلية
الباقية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه
وسلم ما من الانبياء نبيّ الا اعطى ما مثله امن عليه
البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله
الىّ فارجو ان اكون اكثرهم تابعا اخرجه البخاري
قيل معناه ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض
اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة
القران مستمرة الى يوم القيمة وخرق العادة في
اسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات فلا يمرّ
عصر من الاعصار الا ويظهر فيه شيء مما اخبر
انه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى ان
المعجزات الماضية كانت حسيّة تشاهد بالابصار
كناقة صالح وعصا موسى ومعجزة القران تشاهد

بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها اكثر لان
الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده
والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من
جاء بعد الاول مستمرا على انه لا خلاف بين العقلاء
ان كتاب الله تعالى معجز لم يقدر احد على معارضته
بعد تحدّيهم بذلك قال الله تعالى وان احد من
المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
فلولا ان سماعه حجة عليه يقف امره على سماعه
ولا يكون حجة الا وهو معجزة وقال تعالى وقالوا
لولا انزل عليه اية من ربه قل انما الايات عند الله
وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم فاخبر ان الكتاب اية من اياته
كاف في الدلالة قائم مقام معجزات غيره وايات
من سواه من الانبياء ولما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم اليهم وكانوا افصح الفصحا ومصاقع
الخطبا وتحداهم على ان ياتوا بمثله وامهلهم طول
السنين فلم يقدروا كما قال الله تعالى فلياتوا بحديث

مثله ان كانوا صادقين ثم تحداهم بعشر سور منه
في قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا
انما انزل بعلم الله ثم تحداهم بسورة في قوله تعالى
ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله الاية ثم
كرره في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله الاية فلما عجزوا عن
معارضته والاتيان بسورة تشبهه مع كثرة الخطباء
فيهم والبلغاء نادى عليهم باظهار العجز واعجاز
القرآن فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ولم ينقل عن احد منهم انه حدث
نفسه بشيء من ذلك ولا رامه بل عدلوا الى العناد
تارة والى الاستهزاء اخرى فتارة قالوا سحر وتارة
قالوا شعر وتارة قالوا اساطير الاولين كل ذلك
من التحير والانقطاع فلو علموا ان الاتيان بمثله

في قدرتهم لبادروا اليه لانه كان اهون عليهم
من تحكيم السيف في اعناقهم واستباحة اموالهم
واملاكهم وقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا الاية يرد على ان يكون
الاعجاز بالصرفة كما زعم النظام المعتزلي يعني
ان الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم
وكان مقدورا لهم لكن عاقهم امر خارجي فصار
كسائر المعجزات فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم
ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم على
ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن
فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة اعجاز بل المعجز
هو الله تعالى حيث اعجزهم على الاتيان بمثله
وايضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الاعجاز
بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الاعجاز
والفضل من حيث انه كلام على غيره وفي ذلك خرق
لاجماع الامة ان المعجزة العظمى باقية قيل
الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع ان

الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره
ان القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى
امر الشاعر التخييل والتصور بالاطراء والافراط
والمبالغة فى المدح او الذم او الايذاء دون اظهار
الحق واثبات الصدق فلاجل شهرة الشعر بالكذب
سمى اصحاب البرهان القياسات المؤدية فى اكثر
الامر الى الكذب شعرية وما وجد فى القرآن مما
صورته صورة الموزون مثل فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر واصنع الفلك باعيننا ليقضى
الله امرا كان مفعولا ويخزهم وينصركم عليهم
ويشف صدور قوم مؤمنين والله يهدى من
يشاء الى صراط مستقيم الى غير ذلك فلا يسمى
شعرا لان شرط الشعر القصد وقيل البيت
الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعرا واقل
الشعر بيتان قيل وذكر الجن فى الآية مع انهم
ليسوا من اهل اللسان العربى الذى جاء القرآن
على اساليبه تعظيما لاعجاز القرآن لان للهيئة

الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد فاذا فرض
اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم بعضا
وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد اعجز
وكيف لا وهو منزه عن مشابهة كلام الخلق
فلا يقدر على مثله احد من المخلوقات الباب
الثانى فى تعظيم القرآن وتلاوته وترجيح تلاوته
واقامة حروفه فى التلاوة والتصديق بما فيه
وتفهم علومه وفيه فصلان الاول فى
تعظيمه وتلاوته وترجيح تلاوته واقامة حروفه فى
التلاوة والتصديق بما فيه اعلم ان تعظيم القرآن
لا يكون الا بالايمان والتصديق والعمل بموجبه
ومراعاة ترجيح رعايته قال الله تعالى ورتل القرآن
ترتيلا ويلزمه التجويد وهو فرض كفاية والعمل
به فرض عين فى الجملة على صاحب كل قراءة ورواية
فتعليمه فرض كفاية وتعلمه فرض وهو اعطاء كل
ذى حق حقه قال البخارى فى صحيحه انزل القرآن
على سبعة احرف وروى فيه ان رسول الله ﷺ

صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل على حرف
فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى
الى سبعة احرف وروى البخاري ايضا عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم
يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ
على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكدت اساوره في الصلوة فتصبرت
حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه
السورة التي سمعتك تقرأ فقال اقرأنيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها على غير ما قرأت
فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت ان هذا يقرأ سورة الفرقان على
حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة
التي سمعته يقرأها فقال كذلك انزلت ثم قال

اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال
صلى الله عليه وسلم كذلك انزلت ان هذا
القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر
منه قال ابن حبان اختلف في معنى الاحرف السبعة
على خمسة وثلثين قولا وهي اقاويل يشبه بعضها
بعضا وكلها محتملة ويحتمل غيرها الاول قول
من قال هي زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم و
متشابه وامثال الثاني حلال وحرام وامر ونهي
وزجر وخبر ما هو كائن وامثال الثالث وعد
ووعيد وحلال وحرام ومواعظ وامثال واحتجاج
الرابع امر ونهي وبشارة ونذارة واخبار وامثال
الخامس محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخصوص
وعموم وقصص السادس امر ونهي وترغيب و
ترهيب وجدل وقصص ومثل وان شئت باقي
الاقوال فعليك بالاتقان قال المرسي هذه الوجوه
اكثرها متداخلة ولا ادري مستندها ولا عمن
نقلت ولا ادري لم خص كل واحد منهم هذه الاحرف

السبعة بما ذكر مع ان كلها موجود في القرآن
فلا ادري معنا التخصيص وفيها اشياء لا افهم
معناها على الحقيقة واكثرها معارضة لحديث
عمر رضي الله عنه مع هشام بن حكيم الذي في
صحيح البخاري فانهما لم يختلفا في تفسيره ولا
احكامه انما اختلفا في قراءة حروفه وقد حكى
كثير من العوام ان المراد بها القراآت السبعة وفي
الاتقان نقلا عن البلقيني قال القراءة تنقسم
الى متواتر واحاد وشاذ فالمتواتر القراآت السبعة
المشهورة والاحاد قراآت الثلثة التي هي تمام
العشر ويلحق بها قراآت الصحابة والشاذ قراآت
التابعين كالاعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير
ونحوهم وهذا الكلام فيه نظر واحسن من تكلم
في هذا النوع ابو الخير بن الجزري قال في اول كتاب
النشر كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت
احدى المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها
فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل

انكارها ووجب على الناس قبولها سواء كانت
عن السبعة او عن العشرة او عن غيرهم من الائمة
المقبولين فلهذا قيل اصوب محمل يحمل عليه هو
ان المراد بسبعة احرف سبعة انحاء من الاعتبار
متفرقة في القرآن راجعة الى اللفظ والمعنى دون
صورة الكتابة واعلم ان الاداب الظاهرة في التلاوة
عشرة الاول ان لا يكون هيئة القاري على هيئة
التكبر بل يكون على هيئة الادب والسكون قائما
او قاعدا وان يكون على وضوء وان قرأه على غير
وضوء وكان مضطجعا في فراشه ففضله دون
الاول قال الله تبارك وتعالى الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن
قدم القيام والثاني تحسين القراءة بترديد
الصوت من غير تمطط مفرط بغير النظم فذلك
هو السنة اذ روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ما اذن الله تعالى لشيء اذنه
لحسن الصوت بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم

قال مغلطاي في الكلام اعلون فيه

لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ
وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري
وكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفيضان وفي التاتارخانية في التغني في القرآن
والالحان هذا الفصل على وجهين ان كانت الالحان
لا تغير الكلمة عن وضعها يؤدي التغني بها الى
تطويل الحروف التي حصل التغني بها حتى لا يصير
الحرف حرفين بل بحته تحسين الصوت وترتيب
القراءة لا يوجب ذلك فساد الصلوة وذلك مستحب
عندنا في الصلوة وخارج الصلوة وان كان يغير
الكلمة عن وضعها يوجب فساد الصلوة لان ذلك
منهي عنه وفي الذخيرة وانما يجوز ادخال المد
في حروف المد واللين والهوائية والمعتل نحو الالف
والواو والياء وفي الخانية والالحاق في حروف المد
واللين لا يغير الا ان فحش وان قرأ بالالحان في غير
الصلوة اختلفوا فيه وعامة المشايخ كرهوا
الاستماع ايضا لانه تشبه بالفسقة بما فعلوه

في فسقهم وكذا الترجيع في الاذان ومراد قوله
عليه السلام زينوا القرآن باصواتكم القراءة بنغمة
العرب انتهى **والثالث** الجهر بالقراءة افضل عند
عدم الخوف على نفسه من الريا والتصنع ولم يكن
في الجهر ما يشوش الوقت على مصل اخر لان العمل
فيه اكثر ولان فائدته ايضا يتعلق بغيره والخير
المتعدي افضل من اللازم ولان الجهر يوقظ قلب
القاري ويجمع همته الى الفكر فيه ويطرد النوم
والكسل ويزيد في نشاطه ويرجو بجهره تيقظ
نائم وغير ذلك وغاية الامر انه راجع الى عمل القلب
فهو النية فبكثرة النيات تزكو وتتضاعف اجور
اعمال الابرار **والرابع** الاستعاذة في مبتدأ
القراءة وليقل بعد فراغه صدق الله وبلغ رسول
الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه واستغفر
للحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر باية تسبيح
سبح وكبر واذا مر باية دعاء واستغفار دعا
واستغفر وان مر بمرجو سأل وان مر باية تخويف

استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول سبحان
الله اعوذ بالله والخامس مراعاة حق الآيات
فاذا مر بآية سجود سجد والسادس البكاء
مستحب مع القراءة قال صلى الله عليه وسلم
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والسابع
الترتيل هو المستحب في هيئة القرآن قال ابن
عباس رضي الله عنه لان اقرأ البقرة وآل عمران
ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن
كله هذرمة يعني مستعجلا والثامن يستحب
تحسين كتابة القرآن وتبيينه والتاسع مقدار
القراءة كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن
في كل جمعة وقد كره جماعة الختم في كل يوم و
ليلة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد
يكتفي في الشهر مرة والعاشر وجه القسمة
اما من يختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة
احزاب فقد حزب الصحابة القرآن احزابا فقيل
احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلث سور

والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث
سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى
عشرة سورة والسادس ثلث عشرة سورة والسابع
المفصل من قاف فهكذا حزبه الصحابة وكانوا
يقرؤنه كذلك وفيه خبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما سوى هذا محدث واما المعارضة
بما نقل من السلف من التشديد في العبادة بالختم
في كل ليلة ويوم مرة او مرتين بل مرات وكذا
القيام في كل الليالي وصيام الدهر والوصال و
الاجتناب عن المشتهيات والطيبات وشدة الرياضات
بكثرة المجاهدات والاجتهاد في العبادات فمدفوعة
بان نبينا صلى الله عليه وسلم ارسل رحمة للعالمين
ومؤيد من عند الله تعالى فيقوى على ما لا يقوى
عليه آحاد عامة الامة وانه اخشى الناس من الله
تعالى واتقاهم واعلمهم بالله تعالى فلا يتصور
منه البخل وترك النصح فلو كان في العبادة طريق
افضل وانفع غير ما هو فيه لفعله او بينه وحث

عليه او نقول في الدفع بان التشديد في العبادة
غالبا اما مفض الى هلاك النفس او اضاعة
الحق الواجب للغير او ترك العبادة او ترك
مداومتها فيحمل ما روي عن السلف على انهم
انما فعلوا ذلك التشديد مداواة لامراض القلوب
ولكون العبادة عادة لهم وطبعا كالغذاء للصحيح
فيتلذذون بها بلا اضاعة حق ولا ترك مداومة
ولا اعتقاد انه افضل عما كان عليه او قاله افضل
المخلوقات صلى الله عليه وسلم فقد بلغ الدرجة
العليا من الكمال وهي ان لا يمنع عن توجه القلب
شيء حتى النوم فالخلطة والعزلة سواء فاقتصاره
عليه الصلوة والسلام على بعض العبادات الظاهرة
لكونه افضل له ولامته وتلذذه لا يختص بالعبادات
الظاهرة بل دائم لهذا فطوبى لمن عظم القرآن وتلاه
حق تلاوته وعمل بموجبه **الفصل الثاني**
في تفهم علومه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه
اعلم ان التفهم بعد التدبر بحضور القلب والتعظيم

يحتاج الى التخلي عن موانع الفهم بفضله تعالى
ولطفه في ايصال معاني كلامه تعالى الى الفهم
اذ لو استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف
لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى
ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولا
يمكن تفهم عظمة الكلام الا بامثلة على حد فهم الخلق
وفي احياء العلوم ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير
عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علو
درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته
وضرب لذلك مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض
الملوك الى شريعة الانبياء فسأله الملك عن امور
فاجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك ارأيت ما يأتي
به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس و
انه كلام الله فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم
انا رأينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب
والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها
وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم

كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه
وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز
البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم
باصوات يصنعونها لائقة بها من النقر والصفير
والاصوات القريبة من اصوات البهائم التي تطيق
حملها وكذا الناس يعجزون عن حمل كلام الله سبحانه
بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما يتراجعون به بينهم
من الاصوات التي يسمعون بها الحكمة كصوت النقر
والصفير الذي به سمعت الدواب من الناس ولم يمنع
ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من
ان يشرف الكلام فشرفت الاصوات لشرفها و
عظمت لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا
والحكمة للصوت نفسا وروحا وكما ان اجساد البشر
تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام
تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع
الدرجة باهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل
وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى

لا طاقة للباطل ان يقوم قدام الحكمة كما لا يستطيع
الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر
ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم
ينالون من عين الشمس ما يحيى به ابصارهم و
يستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك
المحجوب الغائب وجهه الشاهد امره وكالشمس
العزيزة الظاهرة وعنصرها مكنون وكالنجوم
الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها
فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحيوة
الذي من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام
الذي من سقي منه لم يسقم هذا الذي ذكره
الحكيم نبذة من تفهيم معاني الكلام انتهى قال
الامام في التفسير الكبير ومن بعض النكت
المستنبطة من قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
انه مرض موسى عليه السلام واشتد وجع بطنه
فشكى اليه تعالى فدله على عشب بالمفازة فاكله
فعوفي باذن الله تعالى ثم عاوده ذلك المرض في

وقت آخر فأكل من ذلك العشب فاشتد مرضه
فقال يا رب أكلته أولاً فانتفعت به وأكلته ثانياً
فضرني وقال تعالى لا شك في المرة الأولى ذهبت
مني إلى الكلاء فحصلت فيه الشفاء وفي الثانية
ذهبت منك إلى الكلاء فازداد مرضك أما علمت
أن الدنيا كلها سم قاتل ودرياقها اسمي باتت
رابعة ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح
نامت فدخل السارق دارها وأخذ ثيابها وقصد
الباب فلم يهتد إلى الباب فوضعها فوجد الباب
ففعل ذلك ثلث مرات فنودي من زاوية البيت ضع
الثياب واخرج فإن نام الحبيب فالسلطان يقظان
وروي أن فرعون قبل أن ادعى الالهية بنى قصراً
وأمر أن يكتب على بابه الخارج بسم الله فلما ادعى
الالهية وأرسل إليه موسى ودعاه فلم يرفيه
اثر الرسل قال إلهي كم أدعوه ولا أرى فيه خيراً
فقال الله تعالى يا موسى لعلك تريد إهلاكه أنت
تنظر إلى كفره وأنا أنظر إلى ما كتبه على باب داره

والنكتة أن من كتب هذه الكلمة على باب داره
الخارج صار آمناً من الهلاك وإن كان كافراً فالذي
كتب على سويداء قلبه من أول عمره إلى آخره كيف
يكون حاله انتهى وكان بعض السلف إذا قرأ
السورة ولم يكن طلبه فيها أعادها ثانية والحضور
متولد من التعظيم فإن المعظم للذي يتلوه يستبشر
به ويستأنس به ولا يغفل عنه ففي القرآن العظيم
ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلاً لذلك
وكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو متنزه و
متفرج والمتفرج في التنزهات لا يتفكر في غيرها
فقد قيل أن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير
وعرائس وديابيج ورياضات وخانات فالميمات
ميادين القرآن والرآات بساتين القرآن والحامدات
مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحواميم
ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما
سوى ذلك فإذا دخل القاري في الميادين وقطف
من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس

الديابيج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات
استغرق ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه
ولم يفرغ فكره وهذا لا يكون الا بعد التخلي عن
موانع الفهم حسبما تيسر فكل ميسر لما خلق له و
هو ان يستوضح من كل اية ما يليق بها اذ القرآن
يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر افعاله
وذكر احوال الانبياء وذكر احوال المكذبين لهم وانهم
كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة و
النار واذا عرفت هذا تعرف ان الغرض ذكر طرق
طريق التفهم لينفتح بابه حتى لا يكون من جملة الداخلين
في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم والطبع هو
من الموانع فلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت
معاني الكلام اشد احتجاجا وكلما خفت عن القلب
اثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة
والشهوات مثل الصدإ ومعاني القرآن مثل الصور

التي تتراءيا في المرآة والرياضة للقلب باماطة
الشهوات مثل تصيقل الجلاء للمرآة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم
نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف
حرموا بركة الوحي قال فضيل يعني حرموا فهم القرآن
وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر فقال تعالى
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال تعالى وما
يتذكر الا من ينيب وقال عز وجل انما يتذكر اولوا
الالباب والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الاخرة فليس
من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له اسرار الكتاب
قال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة
او نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا
خسارا وكان مالك بن دينار يقول ما زرع
القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع
المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وفي الاحياء
ولقد كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الاحوال

والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة وال عمران من علمائهم ولما جاء رجل من الصدر الاول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلم العلم فلما كان عند باب المسجد سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وبالجملة ان من بادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في جملة من يفسر بالرأي فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم

والله تعالى ولي التوفيق

الباب الثالث في المحكم والمتشابه قال الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الآية واعلم ان في الم وما يجري مجراه من فواتح السور قولا الاول ان هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به والتخاطب بالحروف المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسره في القرآن اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هي من المتشابه القول الثاني ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول

انها اسماء للسور وهو قول اكثر المتكلمين واختيار
الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن
لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين
وللجبل قاف وللحوت نون الثاني انها اسماء
الله تعالى روي عن علي رضي الله عنه انه كان
يقول يا كهيعص يا حم عسق الثالث انها اسماء
القران وهو قول الكلبي والسدي وقتادة
الرابع كل واحد من الحروف دال على اسم من
اسماء الله تعالى او صفة من صفاته الخامس
انها صفات الافعال السادس ان ورودها
مسرودة هكذا على نمط التعديد ليكون كالايقاظ
وقوع العصا لمن تحدى بالقران اي ان هذا
منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم السابع
قول الاخفش الله تعالى اقسم بهذه الحروف
المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات
بها والاقوال فيها كثيرة والمختار منها عند
الاكثرين القول بانها اسماء السور وفي الاتقان

وقد حكى ابن حبيب النيسابوري في المسئلة ثلثة
اقوال احدها ان القران كله محكم لقوله تعالى
كتاب احكمت اياته الثاني كله متشابه لقوله تعالى
كتابا متشابها مثاني الثالث وهو الصحيح انقسامه
الى محكم ومتشابه للاية المصدر بها والجواب عن
الايتين ان المراد باحكامه اتقانه وعدم تطرق
النقص والاختلاف اليه وبتشابهه كونه يشبه
بعضه بعضا في الحق والصدق والاعجاز وقال
بعضهم الاية لا تدل على الحصر في الشيئين اذ ليس
فيهما شيء من طرقه وقد قال تعالى لتبين للناس ما
نزل اليهم والمحكم لا يتوقف بمعرفته على البيان
والمتشابه لا يرجى بيانه وقد اختلف في تعيين المحكم
والمتشابه على اقوال فقيل المحكم ما عرف المراد منه
اما بالظهور واما بالتاويل والمتشابه ما استاثر
الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف
المقطعة من اوائل السور وقيل المحكم ما لا يحتمل
من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل

أو وجهاً وقيل المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه
بخلافه كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان
دون شعبان قاله الماوردي وقيل المحكم ما تأويله
تنزيله والمتشابه ما لا يدرك إلا بالتأويل وقيل
المحكم ما لم يتكرر ألفاظه ومقابله المتشابه وقيل
المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص
والأمثال أخرج ابن أبي حاتم من طريق علي بن
أبي طلحة عن ابن عباس قال المحكمات ناسخه وحلاله
وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل
به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره و
أمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به قال
ابن أبي حاتم وقد روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما
أن المحكم يعمل به والمتشابه الذي يؤمن به ولا
يعمل به وأخرج الفريابي عن مجاهد قال المحكمات
ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك منه متشابه
يصدق بعضه بعضاً وأخرج عبد بن حميد
عن الضحاك قال المحكمات ما لم ينسخ منه والمتشابهات

ما قد نسخ وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن
حيان قال المتشابهات فيما بلغنا الم والمص والمر
والر وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب قال إنه
سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوهم
بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله
قال الطيبي المراد بالمحكم ما اتضح معناه والمتشابه
بخلافه لأن اللفظ الذي يقبل معنى إما أن يحتمل
غيره أو لا والثاني النص والأول إما أن يكون
دلالته على ذلك الغير أرجح أو لا والأول هو
الظاهر والثاني إما أن يكون يساويه أو لا
والأول هو المجمل والثاني المؤول فالمشترك بين
النص والظاهر هو المحكم والمشترك بين المجمل
والمؤول هو المتشابه ويؤيد هذا التقسيم أنه تعالى
أوقع المحكم مقابلاً للمتشابه فالواجب أن يفسر المحكم
بما يقابله ويعضد ذلك أسلوب الآية وهو الجمع
مع التقسيم لأنه فرق ما جمع في معنى الكتاب بأن
قال منه آيات محكمات وأخر متشابهات وأراد

أن يضيف الى كل منهما ما شاء الله فقال اولا
فاما الذين في قلوبهم زيغ الى أن قال والراسخون
في العلم يقولون امنا به وكان يمكن ان يقال واما
الذين في قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم لكنه
وضع موضع ذلك الراسخون في العلم لان الرسوخ
لا يحصل الا بعد التثبت التام والاجتهاد البليغ
فاذا استقام القلب على طرق الرشاد ورسخ القدم
في العلم افصح صاحبه النطق بالقول الحق وكفى
بدعاء الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا الى اخره شاهدا على ان الراسخون
في العلم مقابل لقوله واما الذين في قلوبهم زيغ
وفيه اشارة الى ان الوقف على قوله الا الله تام
والى ان علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى
وقال الراغب في مفردات القرآن الآيات عند اعتبار
بعضها ببعض ثلاثة اضرب محكم على الاطلاق
ومتشابه على الاطلاق ومحكم من وجه متشابه
من وجه فالمتشابه بالجملة ثلثة اضرب متشابه

من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط
ومن جهتهما فالاول ضربان احدهما يرجع الى
الالفاظ المفردة اما من جهة الغرابة نحو الاب
ويزفون او الاشتراك كاليد واللمس وثانيهما
يرجع الى جملة الكلام المركب وذلك ثلثة اضرب
ضرب لاختصار الكلام نحو وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم وضرب لبسطه
نحو ليس كمثله شيء لانه لو قيل ليس مثله كان اظهر
للسامع وضرب لنظم الكلام نحو انزل على عبده
الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما تقديره انزل
على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا والمتشابه
من جهة المعنى اوصاف الله تعالى واوصاف
القيامة فان تلك الصفات لا تتصور لنا اذ كان
لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه او ليس
من جنسه والمتشابه من جهتهما خمسة اضرب الاول
من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو اقتلوا
المشركين والثاني من جهة الكيفية كالوجوب

والندب نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء
والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ
نحو اتقوا الله حق تقاته والرابع من جهة المكان
والامور التي نزلت فيها نحو وليس البر بان تأتوا
البيوت من ظهورها انما النسيء زيادة في الكفر
فان من لا يعرف عاداتهم في الجاهلية يتعذر عليه
تفسير هذه الاية والخامس من جهة الشروط التي
يصح بها الفعل ويفسد كشرط الصلوة والنكاح
قال وهذه الجملة اذا تصورت علم ان كل ما ذكره
المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم
فكن على بصيرة **الباب الرابع** في البحث عن
الناسخ والمنسوخ قال في البزدوي وتقرير دليلنا
على جواز النسخ ووجوده المستلزم لجوازه عقلا ومن
جهة السمع والتوقف ان احدا لا ينكر استحلال
الاخوات في شريعة ادم عليه السلام وقد ورد
في التورية ان الله تعالى امر ادم بتزويج بناته
من بنيه وان احدا لا ينكر الاستمتاع بحوا لادم

عليه السلام وهي خلقت منه فان ذلك نسخ بغير
من الشرائع وكذلك الجمع بين الاختين كان مشروعا
في شريعة يعقوب عليه السلام فانه ذكر في التورية
ان يعقوب عليه السلام خطب الصغرى فقال ابوهما
ليس من سنة بلدنا ان تزوج الصغرى قبل
الكبرى فتزوجهما معا ثم حرم الجمع بين الاختين
في حكم التوراة واما الدليل المعقول فهو ان النسخ
بيان مدة الحكم للعباد فالامر المطلق في حيوته صلى
الله عليه وسلم للايجاب لا للبقاء فيقتضي ان
يكون المأمور به واجبا والبقاء بعد الثبوت
باستصحاب الحال على احتمال العدم بدليل يوجب
العدم فالناسخ الدال على عدم البقاء لا يكون
متعرضا لحكم الدليل الاول انتهى مخلصا اعلم
ان النسخ مما خص الله به هذه الامة لحكم ويرد
بمعنى الازالة ومنه قوله تعالى فينسخ الله ما
يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته وبمعنى التبديل
ويؤيده واذا بدلنا اية مكان اية وبمعنى التحويل

كنسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد
الى آخر وسيجيء بيانه في جواز نسخ الكتاب بالسنة
وبمعنى النقل من موضع الى موضع ومنه نسخت الكتاب
اذا نقلت ما فيه ثم قيل اطلاقه على المعنيين بالاشتراك
فان الاصل في الاطلاق الحقيقة وقيل حقيقة في
الازالة مجاز في الآخر لانه لم يستعمل الا فيهما وقيل
حقيقة في النقل لان في نسخ الكتاب لم يوجد النقل
فتعين ان يكون حقيقة في الآخر وقيل بالعكس
والاول اولى لان نقل المنسوخ الى ناسخه لا يتصور
واما الازالة فمتصورة ومن جملة حكمة النسخ
التيسير وقد اجمع المسلمون على جوازه وانكره اليهود
لانه بيان مدة الحكم كالاحياء بعد الاماتة و
عكسه والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنا
وعكسه فكذلك الامر والنهي قيل لا ينسخ القرآن
الا بقرآن كقوله تعالى ما ننسخ من آية او ننسها
نأت بخير منها او مثلها وقيل بل ينسخ القرآن
بالسنة ايضا لانها ايضا من عند الله تعالى

قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وفي البزدوي وتقريره احتج بعض اصحابنا
منهم الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله في
جواز نسخ الكتاب بالسنة بقوله تعالى اذا حضر
احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين
والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ووجه
الاحتجاج ان هذه الوصية فرضت بموجب هذه
الآية ثم نسخت بقول النبي صلى الله عليه وسلم
لا وصية لوارث وهذا الحديث في قوة المتواتر
اذ المتواتر نوعان متواتر من حيث الرواية ومتواتر
من حيث ظهور العمل من غير نكير فان ظهوره يغني
الناس عن روايته وهو بهذه المثابة لا يقال
ثبت النسخ بآية المواريث لان فيها ايجاب حق
بطريق الارث فلا يكون منافيا فلا يثبت به النسخ
ولا يجوز ان يقال لعل ناسخه انزل في القرآن
لكن لم يبلغنا لانتساخ تلاوته مع بقاء حكمه
لان فتح هذا الباب يؤدي الى الوقف في جميع الاحكام

الشرع اذ ما من حكم الا ويتوهم فيه ان ناسخه
انزل ولم يبلغنا لانتساخ تلاوته وفيه خرق
الاجماع لانعقاده على ان ما وجدناه ثابت ال
حكم هو المثبت وما وجدناه ناسخا لنسخه فهو الناسخ
وان احتمل اضافة الحكم والنسخ الى غير ما ظهر مع
عدم الظفر به بعد البحث التام انتهى قال الشافعي
رحمه الله حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها
قرآن عاضد لها وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن
فمعه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن
والسنة والنسخ لا يقع الا في الامر والنهي ولو
بلفظ الخبر فالنسخ اقسام احدها نسخ المأمور به
قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى
الثاني ما نسخ مما كان شرعا لمن قبلنا كآية شرع
القصاص والدية او كان امر به امرا جمليا كنسخ
التوجه الى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء
برمضان وانما يسمى هذا نسخا تجوزا الثالث
ما امر به لسبب ثم يزول السبب كالامر حين الضعف

والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بايجاب القتال
وهذا في الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسا
كما قال تعالى او ننساها فالمنسي هو الامر بالقتال
الى ان يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم
وجوب الصبر على الاذى قيل سور القرآن باعتبار
الناسخ والمنسوخ اقسام قسم ليس فيه ناسخ ولا
منسوخ وهو ثلث واربعون سورة الفاتحة و
يوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف
والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن
والمرسلات وعم والنازعات والانفطار وثلاث
بعدها والفجر وما بعدها الى اخر القرآن الا التين
والعصر والكافرون وقسم فيه الناسخ والمنسوخ
وهو خمس وعشرون البقرة وثلاث بعدها والحج
والنور وتاليها والاحزاب وسبأ والمؤمن و
الشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة
والمزمل والمدثر وكورت والعصر وقسم فيه الناسخ
فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن

والطلاق والاعلى وقسم فيه المنسوخ فقط وهو
الاربعون الباقية والنسخ في القرآن على ثلثة
اضرب احدها ما نسخ تلاوته وحكمه معا والثاني
ما نسخ حكمه دون تلاوته والثالث ما نسخ تلاوته
دون حكمه واورد بعضهم فيه سؤالا وهو ما الحكمة
في رفع التلاوة مع بقاء الحكم واجيب بان ذلك
ليظهر به مقدار طاعة هذه الامة فيسرعون بايسر
شيء كما سارع الخليل الى ذبح ولده بمنام والمنام
ادنى طريق الوحي وفي الاتقان قال ابو عبيد حدثنا
اسمعيل بن ابرهيم عن ايوب عن نافع عن ابن عمر
رضي الله عنه قال لا يقولن احدكم قد اخذت القرآن
كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير
ولكن ليقل قد اخذت منه ما ظهر وقال حدثنا
ابن ابي مريم عن ابن لهيعة عن ابي الاسود عن
عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت
كانت سورة الاحزاب تقراء في زمان النبي صلى
الله عليه وسلم مائتي اية فلما كتب عثمان المصاحف

لم يقدر منها الا على ما هو الآن قيل من عجيب المنسوخ
قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن
الجاهلين فان اولها واخرها منسوخ ووسطها
محكم وهو وأمر بالعرف وايضا من عجيبه آية
اولها منسوخ وآخرها ناسخ ولا نظير لها وهو قوله
تعالى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
يعني بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا ناسخ
لقوله عليكم انفسكم وفي البرهان يجوز نسخ الناسخ
فيصير منسوخا كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين
نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين ثم نسخ هذه
بقوله تعالى حتى يعطوا الجزية مخصص لا ناسخ
اخرج ابو عبيد وغيره عن ابن عباس قال اول
ما نسخ من القرآن شأن القبلة قيل ولا يعتمد في
النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين
من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لان النسخ
يتضمن رفع حكم واثبات حكم تقرر في عهده صلى
الله عليه وسلم فالمعتمد فيه النقل والتاريخ

دون الرأي والاجتهاد والناس في هذا بين
طرفي نقيض فمن قائل لا يقبل في النسخ اخبار الآحاد
العدول ومن متساهل يكتفي فيه بقول مفسر
او مجتهد والصواب خلاف قولهما انتهى قيل
وما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب
حفظه سورتا القنوت في الوتر وتسمى سورتي
الخلع والحفد وحكى القاضي ابو بكر في الانتصار
عن قوم انكار هذا الضرب لان الاخبار فيه
اخبار آحاد ولا يجوز القطع على انزال قرآن و
نسخه باخبار آحاد لا حجة فيها ومنه ما روي
عن عمر رضي الله عنه من قوله لولا ان يقول
الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها يعني آية
الرجم قال ابن الحصار ان قيل كيف يقع النسخ
الى غير بدل وقد قال تعالى ما ننسخ من آية او
ننسأها نأت بخير منها او مثلها وهذا اخبار
لا يدخله خلف فالجواب ان نقول كل ما ثبت
الآن في القرآن ولم ينسخ فهو بدل مما قد نسخ

تلاوته فكل ما نسخه الله من القرآن مما لا نعلمه
الآن فقد ابدله مما علمناه وتواتر الينا لفظه
ومعناه فاذا عرفت هذا فاعلم انه مما يجب الايمان
به الايمان بالكتب والمراد من الايمان بها العلم
بكونها كلام الله تعالى انزلها على انبيائه وجملتها
مائة واربعة كتب انزل منها على آدم عليه السلام
عشر صحايف وعلى شيث عليه السلام خمسين صحيفة
وعلى ادريس عليه السلام ثلثين صحيفة وعلى
ابرهيم عليه السلام عشر صحايف وعلى موسى
التورية وعلى عيسى الانجيل وعلى داود الزبور
وعلى محمد صلوات الله عليه وعليهم القرآن
فما ثبت بعينه باسمه يجب الايمان به تفصيلاً
وما لم يعرف اسمه يجب الايمان به اجمالاً والله
تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل **الباب
الخامس** في البحث عن عمومه وخصوصه
وسائر وجوهه وفنون علومه اعلم ان العام
لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر نحو كل من

عليها فان فسجد الملائكة كلهم اجمعون للذين
احسنوا الحسنى وزيادة للذين اتقوا عند ربهم
جنات ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره قد افلح المؤمنون فاقتلوا المشركين
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا فلا تقل
لهما اف وان من شيء الا عندنا خزائنه ذلك
الكتاب لا ريب فيه وهو على ثلثة اقسام
الاول الباقي على عمومه نحو والله بكل شيء
عليم ولا يظلم ربك احدا والثاني العام المراد
به الخصوص والثالث العام المخصوص والفرق
بينهما ان الاول لم يرد شموله لجميع الافراد لا
من جهة تناول اللفظ ولا من جهة الحكم بل
هو ذو افراد استعمل في فرد منها والثاني اريد
عمومه وشموله لجميع الافراد من جهة تناول
اللفظ لها لا من جهة الحكم وايضا ان الاول مجاز

قطعا لنقل اللفظ عن موضوعه الاصلي بخلاف
الثاني فان فيه مذاهب اصحها انه حقيقة وعليه
كثير من الحنفية والشافعية وجميع الحنابلة
ونقله امام الحرمين عن جميع الفقهاء وايضا
ان الاول لا يصح ان يراد به واحد اتفاقا وفي الثاني
خلاف قال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم المراد به الخصوص لان
القائل واحد نعيم بن مسعود الاشجعي او اعرابي
من خزاعة كما اخرجه ابن مردويه من حديث ابي
رافع لقيامه مقام كثيرين في تثبيطه المؤمنين
عن ملاقاة ابي سفيان قال الفارسي ومما
يقوي ان المراد به واحد قوله انما ذلكم الشيطان
فوقعت الاشارة بقوله ذلكم الى واحد بعينه
ولو كان المعنى به جمعا لقال انما اولئكم الشياطين
وقال تعالى ام يحسدون الناس اي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجمعه ما في الناس من
الخصال الحميدة اخرج ابن جرير من طريق الضحاك

عن ابن عباس في قوله تعالى من حيث افاض الناس
قال ابرهيم ومن الغريب قراءة سعيد بن جبير من
حيث افاض الناسي واما المخصوص فامثلته
في القرآن كثيرة وهي اكثر من المنسوخ اذ ما من
عام فيه الا وقد خص ثم المخصص له اما متصل
واما منفصل فالمتصل خمسة وقعت في القرآن
الاول الاستثناء نحو والشعراء يتبعهم الغاوون
الا الذين آمنوا كل شيء هالك الا وجهه الثاني
الوصف نحو وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن الثالث الشرط نحو والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان
علمتم فيهم خيرا الرابع الغاية نحو قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الى قوله حتى
يعطوا الجزية الخامس بدل البعض من الكل نحو ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
والمنفصل فاية اخرى في محل آخر او حديث او
اجماع او قياس فان اردت الاتقان فعليك بالاتقان

واختلف في الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم
نحو يا ايها النبي يا ايها الرسول هل يشمل الامة
فقيل نعم لان امر القدوة امر لاتباعه معنى عرفا
والاصح في الاصول المنع لاختصاص الصيغة به
واختلف ايضا في الخطاب بيا ايها الناس هل يشمل
الرسول صلى الله عليه وسلم على مذاهب اصحها
يعم لعموم الصيغة له اخرج ابن ابي حاتم عن
الزهري قال اذا قال الله يا ايها الذين امنوا
فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم وقيل لا يعم
لانه ورد على لسانه لتبليغ غيره ولما له من الخصائص
وقيل ان اقترن بقل لم يشمله لظهوره في التبليغ
وذلك قرينة عدم شموله والا فيشمله والاصح
في الاصول ان الخطاب بيا ايها الناس يشمل الكافر
والعبد لعموم اللفظ وقيل لا يعم الكافر بناء على
عدم تكليفه بالفروع ولا العبد لصرف منافعه
الى سيده شرعا واختلف في الخطاب بيا اهل الكتاب
هل يشمل المؤمنين فالاصح لا لان اللفظ قاصر

واختلف في من هل يتناول الانثى فالاصح عدم
تناوله من غير قرينة فلا يعم خلافا للشافعية
فالاصح عندهم شمولها واستدلوا بقوله تعالى
ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى واختلف
في جمع المذكر السالم هل يتناولها فالاصح لا
وانما يدخلن فيه بقرينة واما المكسر فلا خلاف
في دخولهن فيه اعلم ان من سائر وجوهه وجوه
مخاطبات القرآن فقد قيل ان الخطاب في القرآن
على خمسة عشر وجها وقيل على اكثر من ثلثين وجها
خطاب العام والمراد به العموم مثل الله الذي
خلقكم وخطاب الخاص والمراد به الخصوص كقوله
تعالى يا ايها الرسول بلغ وخطاب العام والمراد
الخصوص كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم
لم يدخل فيه الاطفال والمجانين وخطاب الخاص
والمراد العموم كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء افتتح الخطاب بالنبي والمراد من يملك الطلاق
وخطاب الجنس والنوع كقوله يا ايها الناس سائرة يا بني آدم

وخطاب العين نحو يا ادم اسكن يا ابرهيم قد
صدقت الرؤيا وخطاب المدح نحو يا ايها الذين
امنوا امنوا وخطاب الذم نحو يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا قل يا ايها الكافرون ولتضمنه
الاهانة لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين
وخطاب الاهانة نحو فانك رجيم وخطاب التهكم
نحو ذق انك انت العزيز الكريم وخطاب الجمع بلفظ
الواحد نحو يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
وخطاب الواحد بلفظ الجمع نحو يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات الى قوله فذرهم في غمرتهم فهو خطاب
له صلى الله عليه وسلم وحده اذ لا نبي بعده ولا
معه وكذا قوله وان عاقبتم فعاقبوا الاية خطاب
له صلى الله عليه وسلم وحده بدليل قوله واصبر
وما صبرك الا بالله الاية وكذا قوله فان لم يستجيبوا
لكم فاعلموا بدليل قوله قل فأتوا وخطاب الواحد بلفظ
الاثنين نحو القيا في جهنم والخطاب لمالك خازن
النار وان كان لخزنة النار فيكون خطاب الجمع بلفظ

الاثنين وخطاب الاثنين بلفظ الجمع نحو أن تبوّآ
لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وقد مرّ
عليه خطاب الجمع بعد الواحد وخطاب الواحد بعد
الجمع وخطاب الاثنين بعد الواحد وعكسه وخطاب
العين والمراد به الغير وخطاب الغير والمراد به العين
وغير ما ذكر من الخطابات قال بعضهم خطاب القرآن
ثلثة قسم لا يصلح الا للنبي صلى الله عليه وسلم
وقسم لا يصلح الا لغيره وقسم يصلح لهما قال
العلماء متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه
والا فلا بل يبقى المطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده
لان الله تعالى خاطبنا بلغة العرب والضابط
ان الله اذا حكم في شيء بصفة او شرط ثم ورد حكم
آخر مطلقا نظر فان لم يكن له اصل يرد اليه الا
ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وان كان له اصل
غيره لم يكن رده الى احدهما باولى من الآخر واعلم
ان فنون علوم القرآن كثيرة ومجرد ظاهر التفسير
لا يشير الى فهم القرآن بل كلما اشكل على النظار

واختلف الناس فيه من النظريات والمعقولات
ففي القرآن رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل
الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهر تفسيره
قال في الاحياء فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن
الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه
فهو مخبر في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم
برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه
فالاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعاً
لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يؤتي
الله تعالى عبداً فهماً في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة
المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً ويروى ايضاً
عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو من علماء التفسير فما
معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي رضي الله
عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة
الكتاب فما معنى ذلك وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار
وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن

وجوهًا وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف
فهم وما بقي من فهمها أكثر وقال بعضهم القرآن
يحوي سبعة وسبعين ألف علم إذ لكل كلمة علم
ثم يتضاعف ذلك أربعًا لكل واحد ظاهر وباطن
وحد ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه
وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون
إلا لتدبره باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها
ظاهر لا يحتاج مثله صلى الله عليه وسلم إلى
تكريره وقول ابن مسعود رضي الله عنه من أراد
علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا
يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها
داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته وفي القرآن شرح
ذاته وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن
إشارات إلى مجامعها ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم في حديث علي رضي الله عنه والذي بعثني
بالحق لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على
اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون

إلى النار فإذا كان كذلك فعليكم بكتاب الله فإن
فيه بيان ما كان قبلكم وبيان ما يأتي بعدكم وحكم
ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن
ابتغى العلم في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين
ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك
به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم
لا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الرد الحديث
وفي حديث حذيفة لما أخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت
يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك قال
تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك
قال فأعدت عليه ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل
بما فيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله وجهه
من فهم القرآن فسر جمل العلوم أشار به إلى أن
القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها وقال ابن
عباس رضي الله عنه من قوله تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا يعني الفهم في القرآن

وقال ايضا فى الاحياء ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعا لابن عباس رضى الله عنه فقال
اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فان كان
التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما
معنى تخصيصه بذلك وان الله عز وجل قال
لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل
العلم استنباطا ومعلوم ان الاستنباط
وراء السماع انتهى ولا مطمع فى الوصول الى
اسرار الباطن قبل احكام الظاهر فمن ادعى
فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر
فهو كمن يدعى البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة
الباب اذ البحث عن عمومه وخصوصه وسائر
وجوهه وفنون علومه بعد التوفيق من الله الملك
الوهاب **المقصد الثالث** فى النصيحة لرسوله
صلى الله عليه وسلم وهى التصديق على الرسالة
والايمان بجميع ما جاء به وطاعته فى اوامره و
نواهيه ونصرته باتباع سنته واعظام حقه

واحياء سنته والتلطف فى تعلمها وتعليمها
والتخلق باخلاقه والتأدب باذابه ومحبته اكثر
من الاهل والولد والوالد والناس اجمعين ومحبة
اهل بيته واصحابه وهو خمسة ابواب ايضا
الباب الاول فى تصديقه فيما اتى به
ووجوب الايمان به قال الله تعالى فامنوا بالله
ورسوله والنور الذى انزلنا وقال تعالى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله
ورسوله وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبى
الامى الاية وقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وروى عن ابى هريرة
رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا
الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا
منى دماءهم وحسابهم على الله وكذا قال صلى
الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لا يسمع
بى احد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم

واموالهم الا بحقها

يموت ولم يؤمن بما ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه ابو هريرة ايضا وليس المراد بالامة ههنا امة الاجابة بدليل كون اليهود والنصارى مذكورا فيه بل المراد بها امة الدعوة فعلى هذا يدخل فيه جميع اهل الملل الباطلة وتخصيص اليهود والنصارى بالذكر ليعلم انهما مع كونهما اهلى كتاب وصاحبي شريعة اذا كانا من اهل النار بترك الايمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فغيرهما ممن لم يكن له كتاب ولا شريعة اولى بذلك فكان عليه الصلوة والسلام قال اقسم بالله الذي نفسي بقدرته ان كل من يسمع نبوتي ولا يؤمن بما جئت به من عند الله تعالى حتى يموت يكون من اهل النار وبالجملة ان من اراد ان يكون مؤمنا وقال بلسانه لا اله الا الله محمد رسول الله وصدق معناه بقلبه يكون مؤمنا وان لم يعرف الفرايض والمحرمات ثم اذا قيل له الصلوات الخمس في كل يوم وليلة فرض عليك والخمر حرام وكذا ما علم بالتواتر انه من دينه

عليه الصلوة والسلام فان صدقها وقبلها يكون ثابتا على ايمانه وان انكرها ولم يقبلها يكون خارجا عن الايمان به فان اشكل عليه مسئلة من مسائل الايمان يجب عليه في الحال ان يعتقد على الاجمال ما هو الصواب عند الله تعالى بان يقول اعتقدت ما هو الصواب عند الله تعالى وهذا القدر يكفي الى ان يجد عالما يعلم مسائل الايمان فيسأله عما اشكل عليه ولا يجوز له تاخير الطلب لقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ولا يكون معذورا بالتوقف فيما اشكل عليه اذ كان ما اشكل عليه من ضروريات الدين لان التوقف في المؤمن به يمنع التصديق قال الفاضل ابو الفضل والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه في جميع ما اتى به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق

ثم الايمان بر والتصديق كما ورد في هذا الحديث
نفسه من رواية عبد الله بن عمر قال امرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم
سأله عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان بر
محتاج الى العقد بالجنان والاسلام له مضطر
الى النطق باللسان فهذه الحال المحمودة التامة
واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون
تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم فهم لا يعتقدونه
فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان
ولم يكن لهم في الآخرة حكمه ولحقوا بالكافرين

في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار الشهادة باللسان في احكام الدنيا المتعلقة
بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر
بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر
سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك
وقال هل شققت عن قلبه وللفرق بين القول والعقد
ما جعل من حديث جبريل الشهادة من الاسلام
والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان
بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم
قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه
فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة
بر ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله
صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب
وهذا هو مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك
غيره الثانية ان يصدق بقلبه وعلم ما يلزمه

من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في
عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مومن
لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو
عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمومن حتى يقارن
عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام
ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق
مع المهلة الا بها فاذا عرفت هذا فاعلم ان التصديق
والايمان به صلى الله عليه وسلم قد يتاكد مع اختلاف
صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد
ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب ولكن على
بصيرة **الباب الثاني** في وجوب طاعته
صلى الله عليه وسلم في اوامره ونواهيه ونصرته
باتباع سنته قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله ورسوله قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا
فان الله لا يحب الكافرين واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم

الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى
الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر
ذلك خير واحسن تاويلا ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك
رفيقا فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا
تسليما اي ينقادون لحكمك من يطع الرسول فقد
اطاع الله وان تطيعوه تهتدوا وما اتيكم الرسول
فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر
لكم ذنوبكم واتبعوه لعلكم تهتدون وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فليحذر الذين يخالفون عن امره

ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الاخر وذكر الله كثيرا يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا ومن يطع الله ورسوله
فقد فاز فوزا عظيما قال الله تعالى عز شانه وعظم
برهانه جعل طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته
بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على
مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب
نهيه قال المفسرون طاعة الرسول في التزام سنته
والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من رسول
الا اوجب طاعته على من ارسله اليه وقالوا من
يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل
سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما
اتيكم الرسول فخذوه وقيل يقال اطيعوا الله في
فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما
حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله

بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له
بالنبوة وعن الزهري انه قال ابو سلمة بن عبد الرحمن
انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري
فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني
فطاعة الرسول من طاعة الله تعالى اذ امر
بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به و
طاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات
النار يوم تقلب وجوههم في النار يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا
طاعته حيث لم ينفعهم التمني وقال عليه
الصلوة والسلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي
حديث ابي هريرة رضي الله عنه عليه الصلوة والسلام
كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن
يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني

فقد ابى وفى الحديث الاخر عنه صلى الله عليه
وسلم قال مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل
اتى قوما فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى
وانا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة
من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا
وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم
الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من
اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى
وكذب ما جئت به من الحق وفى الحديث الاخر
هكذا كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة و
بعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل
من المادبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار و
لم يأكل من المادبة فالدار الجنة والداعى محمد
صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا صلى الله
عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد
عصى الله ومحمد فرق بين الناس فاذا عرفت هذا
عرفت ان طاعته صلى الله عليه وسلم نصتى به

باتباع سنته قال غير واحد من المفسرين ومحمد
ابن على الترمذى فى قوله تعالى لقد كان لكم
فى رسول الله اسوة حسنة الاية الاسوة فى
الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك
مخالفته فى قول وفعل وقال سهل فى قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة
فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء
باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين
الحق يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى فى
الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على
اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وروى عن الحسن
رضى الله عنه ان اقواما قالوا يا رسول الله
انا نحب الله فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعونى يحببكم الله الاية قال الزجاج معنى
ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا
ما امركم به اذ محبة العبد لله طاعته له ورضاه

بما أمر ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم
برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن
العباد طاعة ويقال محبة العبد لله تعظيمه له
وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادة
الجميل له وبالجملة فاتباع السنة حتم لازم
على كل حال وعن العرباض بن سارية في حديثه في
موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور
فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في
حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن
تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت
امتي ان يأخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا
سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن وما آتاكم

الرسول فخذوه الآية وقال صلى الله عليه وسلم
من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس
مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب
الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة
بالسنة تمسك بها وعن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احيى
سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وسأل
رجل من آل خالد عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد
الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر في القرآن
ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي
ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا
نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن
عبد العزيز سن رسول الله وولاة الامر بعده سننا
الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة
الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها

ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد
ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير
سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم
وساءت مصيرا وعن الحسن بن ابي الحسين عمل
قليل من سنة خير من عمل كثير في بدعة قيل بلغنا
عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة
نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعلم
السنة والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا
يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب
السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصنع وعن علي كرم الله وجهه حين
قرن فقال له عثمان رضي الله عنه تراني انهى
الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول
الله لقول احد من الناس وعنه قال الا اني لست
بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن

مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد
في البدعة وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة
فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر
الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا
وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر
الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان
مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها
ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحاتت عن الشجر ورقها فان اقتصادا في سبيل
الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه بحال بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على
البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق
فلا اصلحهم الله وعن عطا في قوله تعالى فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي

رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه ونظر
الى الحجر الاسود انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا
اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك
ما قبلتك ثم قبله قال ابو سليمان الخطابي من امر
السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر
الهوى على نفسه نطق بالبدعة وجاء في تفسير قوله
تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء بالنبي
صلى الله عليه وسلم وحكي عن احمد بن حنبل رحمه الله
قال كنت اليوم مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت
الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل
الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا
يقول لي ابشر يا احمد فان الله قد غفر لك باستعمالك
السنة وجعلك اماما يقتدى بك وروى انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رغب
عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا هذا
ما ليس منه فهو رد وقال ابو بكر الصديق رضي الله

عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت
شيئا من امره ان ازيغ قال الله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من امة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة
الا اضاعت مثلها من السنة فاذا عرفت هذا
تعرف ان ليس المراد من قول الفقهاء وهو ان
البدعة قد تكون مباحة كاستعمال المنخل والمواظبة
على اكل لب الحنطة والشبع منه وقد تكون مستحبة
كبناء المنارة والمدارس وتصنيف الكتب بل قد
تكون واجبة كنظم الدلائل لدفع شبهة الملاحدة
ونحوها من الفرق الا غير البدعة القبيحة لانهم
قالوا بان البدعة في الاعتقاد بعضها كفر وبعضها
اكبر من كل كبيرة في العمل نعوذ بالله تعالى فلا
يمكن ان تكون مباحة فضلا عن ان تكون مستحبة
او واجبة والبدعة القبيحة ما تضمن مخالفة امر

الرسول صلى الله عليه وسلم او اضاعة مثله من
السنة وكل ما تضمن مخالفة امر الرسول صلى الله
عليه وسلم او اضاعة مثله من السنة ضلالة
ومنكر مستوعد من الله تعالى بالعذاب سواء كان
في الاعتقاد او في العبادة فيكون معنى كل بدعة
ضلالة كل بدعة قبيحة لتضمنه المخالفة او الاضاعة
ضلالة كيف ولو لم يكن كذلك لكانت البدعة تتناول
ما كانت في العادات في الملابس والمآكل والمشارب
وغيرها من اللوازم الضرورية وغير الضرورية فيكون
ضلالة ولباس البلاد الحارة غير لباس البلاد
الباردة مثلا وليس فيه ما يتضمن المخالفة والاضاعة
فليست تتناول العادات اصلا بدليل قوله عليه
الصلوة والسلام انتم اعلم بامور دنياكم وقوله
عليه الصلوة والسلام من احدث من امرنا هذا
الحديث بل تقتصر على بعض الاعتقادات وبعض صور
العبادات الذين وجد فيهما اما المخالفة او الاضاعة
ولو تتبعت كل ما قيل فيه بدعة حسنة من جنس

العبادة وجدته مما ذونا فيه من الشارع اشارة
او دلالة وعدم الوقوع في الصدر الاول اما
لعدم الاحتياج او لعدم القدرة بعدم الاسباب
او لعدم التفرغ له بالاشتغال بالاهم او بنحو ذلك
قال سهل بن عبد الله التستري اصول الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم في ثلثة في الاخلاق
والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في
جميع الاحوال واعلم ان من اراد الخلاص من ظلمات
الحجاب وكشف النقاب عليه بالتزام ما بينه و
عينه ظاهرا وباطنا واستحكام قواعد مهدها
باديا وكامنا فلا يمكن الوصول ولا يتيسر التقرب
اليه تعالى الا بمتابعته صلى الله عليه وسلم و
اتباع شريعته فلا يشم رايحة المحبة الا بمحبته
واتباع طريقته فانه صلى الله عليه وسلم بين
كيفية طاعة العبد لربه وعين كمية العبادات
والطاعات من الفرايض والنوافل والمستحبات وبين
كيفية معاملته مع بني نوعه في المصاحبات والمبايعات

والمناجاة وسائر ما يقع بينهم من أنواع المقالات
وبين ما يصلح به معاشه في ملاذه ومشاهيه وما
يجوز وما لا يجوز منه التصرف فيه فما خلّى شيئاً
مما يقوده إلا أوضح ببيانه ولا مما يكدره إلا سمح
تبيانه فمن اقتفاه في جميع ما يصدر عنه من الأقوال
والأفعال عادة وعبادة فهذا كما أمر ونصح باتباع
سُنّته **الباب الثالث** في إعظام حقّه وحمى
سُنّته والتلطّف في تعلمها وتعليمها قال الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر
بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون
إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر
عظيم إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم
لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان
خيراً لهم والله غفور رحيم إنا أرسلناك شاهداً و
مبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه

وتوقروه الآية وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضاً الآية فأوجب جل وعلا
تعزيره وتوقيره وألزم إكرامه وتعظيمه قال
ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد وتعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصرونه
وقال الطبري تعينونه وقرئ من العز وتعززوه
بزائين ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء
الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره
وقال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول
وإذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم
والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه هذه الأقوال
في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا
الله إن الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني
في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في إهمال
حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له

بالقول كما يجهر بعضكم لبعض وبرفع صوته وقيل
أي لاتسنا بقوه في الكلام ولا تنادوه باسمه نداء
بعضكم بعضا ولكن عظموه ووقروه ونادوه
بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي
الله وهذا كقوله في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد
التأويلين وروى صفوان بن عسال بينا النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت
له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من
صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت فاذكر
هذا فاعلم أن عادة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين
كانت يهتمون في تعظيمه وتوقيره وإجلاله صلى
الله عليه وسلم فروى الترمذي عن أنس رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم
جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه
بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه

وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما
وروى أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير
وفي حديث صفته عليه الصلوة والسلام إذا
تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير و
وعن أنس رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به
أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل
واعلم أن حرمة النبي وتعظيمه صلى الله عليه و
سلم بعد موته وتوقيره وإجلاله لازم كما كان
حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم
وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه الشريف
وسيرته ومعاملة أهله وعترته وتعظيم أهل
بيته وصحابته وروى غير واحد من الثقاة قالوا
أنبأنا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين
مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك

في هذا المسجد فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما
فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول
الله الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته
حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله
أأستقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وادعو فقال لم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه
وعلى نبينا السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله
واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وكان عبد الرحمن بن
مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم
امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي ويتأول انه يجب له من الانصات
عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله
وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده حديث النبي

صلى الله عليه وسلم خشع وقال محمد بن عبد الله
كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ويلبس ثيابه ثم يحدث
قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى
الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول
لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا
المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله
واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجة

اي كساء مخطط كذا في القاموس

وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة
فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود
حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن اويس فقيل لمالك في ذلك فقال اني احب
ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا احدث به الا على طهارة متمكنا وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه الصلوة
والسلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها

شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثيرة من قبل فيها فقال لم اصلها بسبب القلنسوة بل
لما تضمنته من شعره عليه الصلوة والسلام لئلا
اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين ولهذا كان مالك
رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي
من الله ان اطاء تربة فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحافر دابة وروى ابن وهب ان الشافعي كراعا
كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة
فاجابه مثل هذا الجواب وقد افتى مالك فيمن قال
تربة المدينة ردية بضرب ثلثين درة وامر بحبسه
وقال لما اخرجه بضرب عنقه تربة دفن فيها النبي
صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة قال
عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث
الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء و
لا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان
يحدث وهو على غير وضوء تيمم ومن توقيره صلى الله

والكراع مثل الغراب من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو لطيف مستدق الذراع والساق من الخيل والابل وغيرها منه

عليه وسلم توقير آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه كما سلكه السلف الصالح رضي الله عنهم
قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا الاية وقال تعالى وازواجه
امهاتهم وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا لزيد
من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل
العباس قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم
من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك
عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن
ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة
وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره
ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا **الباب الرابع** في محبته
صلى الله عليه وسلم اكثر من الاهل والولد والناس
اجمعين قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم

واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
فكفى بهذا دلالة وحجة على الزام محبته وعظم خطرها
واستحقاقها له صلى الله عليه وسلم اذ قرع سبحانه
وتعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من
الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي
الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن
ضل ولم يهده الله تعالى وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت
احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل
عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين
جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا
عمر وعن انس رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه

وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
والده وولده والناس اجمعين وعن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن انس
رضي الله عنه عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله
وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في
النار قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه
وسلم في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لا يذوق
حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
الحديث وفي صحيح البخاري عن انس بن مالك
رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت
لها قال ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم
ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع

من احببت وروى صفوان بن قدامة قال هاجرت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني
يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع
من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى
وانس وعن ابي ذر رضي الله عنهم بمعناه
وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضي الله
عنهما وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وروى ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي
وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع
النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن
يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي
حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم
ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي
اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك
الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس من
احبني كان معي في الجنة وسئل علي بن ابي طالب
كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا
وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظماء فظهور
صدق محبته صلى الله عليه وسلم علامات
فاولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله
وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب
بادابه في عسره ويسره وايثار ما شرعه وحض عليه
على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة

مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة الآية وعن سعيد بن المسيب قال
قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي و
ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني
وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني
ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة
فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض
الامور كان هو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها
حتى استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم للذي
حد في الخمر فلعنه بعضهم فقال صلى الله عليه
وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامات
محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له
فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى
لقائه وكل حبيب يحب لقاء حبيبه وكان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا
خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين

ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو من آل بيته وصحابته من المهاجرين و
الانصار وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم
وسبهم فالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه
وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات
النفس وقد قال انس رضي الله عنه حين رأى
النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ و
كان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة
اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك
ومنها بغض من ابغض الله تعالى ورسوله ومعاداة
من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في
دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله
تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله الآية وهؤلاء اصحابه
صلى الله عليه وسلم وقد قتلوا احباءهم وقاتلوا
اباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن

ابى لو شئت لا يتلع برأسه يعنى اباه ومنها ان
يحب القرآن الذى اتى به عليه الصلوة والسلام
وهدى به واهتدى وتخلق به اذ كان خلقه صلى الله
عليه وسلم القرآن وحبه للقرآن تلاوته مع العمل
به وتفهمه وان يحب سنته ويقف عند حدودها
كما عرفت ومعنى المحبة للنبى صلى الله عليه وسلم
فيه اختلاف فقال سفيان المحبة اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم كأنه التفت الى قوله تعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وقال بعضهم محبة
الرسول اعتقاد نصرته وعدم الذب عن سنته و
الانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة
دوام الذكر للمحبوب وقيل ايثار المحبوب وقيل مواطاة
القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقيل
ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة
فى الظاهر الميل الى ما يوافق الانسان ويكون موافقته
له اما باستلذاذه بادراكه او باستلذاذه بحاسته

عقله وقلبه معانى باطنة شريفة مما يمكن
التكلم بها وما لم يمكن او يكون حبه اياه لموافقته
له من جهة احسانه له وانعامه عليه اذ قد جبلت
النفوس على حب من احسن اليها فاذا عرفت هذا
عرفت ان النبى صلى الله عليه وسلم جامع لهذه
المعانى الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة
والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فكلاهما فى الظهور
والشيوع كالشمس فى رابعة النهار واما احسانه
وانعامه على امته فكذلك شايع ذايع ومعلوم مما
وصف الله تعالى له من رأفته لهم وهدايته اياهم
وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين
رؤف رحيم رحمة للعالمين مبشرا ونذيرا وداعيا الى
الله باذنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فكان صلى الله
عليه وسلم ذريعتهم الى الهداية وداعيهم الى الفلاح
والعناية ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم
عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم

السرمد فانظر اى الاحسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واى افضاله
اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه صلى الله عليه
وسلم على كافة المؤمنين على ان مقام المحبة اعلى
مما وصفناه وارفع الدرجات ولهذا قيل كما عرفت
انها هى مواطاة القلب لما يحب المحبوب ويكره فلا
يقول لم فعلت كذا لم قلت كذا قال انس بن مالك رضى
الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لى لشىء فعلته لم فعلته ولا
لشىء لم افعله لم لم تفعله لانه كان صلى الله عليه
وسلم يرى تصريف محبوبه فيه وتصريفا المحبوب
فى المحب لا يعلل بل يستلذ لان المحب مصطلم بنار
تحرق كل شىء يجده فى قلبه ما سوى محبوبه غيرة
وهذه المحبة اكثر من محبة الناس اجمعين **الباب
الخامس** فى محبة اهل بيته واصحابه صلى الله
عليه وسلم قال تعالى محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال

تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا
عنه واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى لقد رضى
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم
ما فى قلوبهم وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال تعالى
وازواجه امهاتهم الاية وعن سعد بن ابى وقاص
لما نزلت اية المباهلة دعا النبى صلى الله عليه
وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم
هؤلاء اهلى وقال النبى صلى الله عليه وسلم
فى على من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك
الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال
للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل
الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى عمى

فقد آذانی وقال للعباس اغد علی مع ولدك فجمعهم
وجللهم بملاءة وقال هذا عمی وصنو ابی وهؤلاء
اهل بیتی فاسترهم من النار کستری ایاهم فامنت
اسکفة الباب وحوائط البیت آمین آمین وقال
ابو بکر رضی الله عنه ارقبوا محمدا فی اهل بیته
وقال ایضا والذی نفسی بیده لقرابة رسول الله
صلی الله علیه وسلم احب الی ان اصل من قرابتی
وقال صلی الله علیه وسلم من اهان قریشا اهانه
الله وقال قدموا قریشا ولا تقدموها وقال علیه
الصلوة والسلام لام سلمة لا تؤذینی فی عایشة
رضی الله عنهما وروی عن عبد الله بن حسن قال
اتیت عمر بن عبد العزیز فی حاجة فقال لی اذا کانت
لك حاجة فارسل الی او اکتب فانی استحیی من الله
ان یراك احد علی بابی وعن الشعبی صلی زید بن ثابت
علی جنازة امه ثم قربت له بغلته لیرکبها فجاء ابن
عباس فاخذ برکابه فقال زید خل عنك یا ابن عم
رسول الله فقال هکذا نفعل بالعلماء فقبل زید ید

ابن عباس وقال هکذا امرنا ان نفعل باهل بیت
نبینا ولما فرض عمر بن الخطاب رضی الله عنه
لابنه عبد الله فی ثلثة الاف ولاسامة بن
زید فی ثلثة الاف وخمسمائة قال عبد الله لابیه
رضی الله عنهما لم فضلته فوالله ما سبقنی الی
مشهد فقال له لان زیدا کان احب الی رسول الله
صلی الله علیه وسلم من ابیك واسامة احب
الیه منك فاثرت حب رسول الله صلی الله
علیه وسلم علی حبی وقیل لابن عباس رضی
الله عنهما ماتت فلانة لبعض ازواج النبی
صلی الله علیه وسلم فسجد فقیل له اتسجد
فی هذه الساعة فقال الیس رسول الله صلی الله
علیه وسلم قال اذا رأیتم آیة فاسجدوا لها وای
آیة اعظم من ذهاب ازواج النبی صلی الله علیه
وسلم فاذا عرفت هذا وعرفت فیما تقدم ان
حسن الثناء علیهم راجع الی توقیر النبی صلی الله
علیه وسلم فاعلم ان الامساك عما شجر بینهم

ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار
المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين
القادحة في احد منهم توقير النبي صلى الله عليه وسلم
ايضاً منه فلو نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم
من الفتن للزم ان يلتمس لهم فيما نقل احسن التاويلات
ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا
يذكر احد منهم بسوء ولا يغمض عليه امر بل تذكر
حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت
عما وراء ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر
اصحابي فامسكوا وعن حذيفة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا
به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضاً
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي

ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني
فقد اذى الله تعالى ومن اذى الله يوشك ان
ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم
مثل احد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا
عدلاً وفي حديث جابر رضي الله عنه ان الله اختار
اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال
من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد
ابغضني وقال مالك بن انس وغيره من ابغض
الصحابة وسبهم فليس له في المسلمين حق ونزع
باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية وقال
من غاظ اصحاب محمد فهو كافر وقال تعالى ليغيظ
بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب النبي

صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من
احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد
اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء
بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة
الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن
انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة
والسلف الصالح فمن لم يكن قلبه قاسيا بل
كان سليما يحبهم جميعا وفي حديث خالد بن سعيد
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس
اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس
اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وعن
طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن
عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله قد
غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني
في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد
منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا

وقال رجل للمعافى ابن عمر بن عبد العزيز من
معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره
وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله
عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال
كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه الصلوة
والسلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا
عن محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري
من حفظني فيهم يحفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى
الله منه يوشك ان ياخذه وقال سهل بن عبد الله
التستري من لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه
ولم يعزز اوامره والحاصل ان المحب لمن يحب مطيع
المقصد الرابع في النصيحة للائمة وهي معاونتهم
على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم برفق وترك
الخروج عليهم ودفعهم عن الظلم بالتي هي احسن
ونحوه والصلوة خلفهم والجهاد معهم واداء

الصدقات اليهم هذا على المشهور من ان المراد
منهم الخلفاء واما على التأويل بعلماء الدين فصحتهم
قبول ما رووه وتقليدهم فى الاحكام واحسان الظن
بهم وهو على مسلكين لما عرفت من القولين
اما المسلك الاول فرتبته على مقدمة
وثمانية ابواب المقدمة اعلم ايدك الله تعالى
بفضل منه ان عقول الملوك والسلاطين وان كانت
كبارا لكنها مستغرقة بكثرة الاشغال فتستدعى
من النصايح ما يتولج ويتغلغل فى مكامن الاسرار
حتى ترتفع الاستار ويظهر منهم الاخلاق الحسنة
والملكات المستحسنة فينتظم دولتهم ويستمر ملكهم
وسلطنتهم واتخاذ الامام واجب شرعا مع كون
طلب نصب الامام موجودا فى فطرة العالم فان قلت
فما نص الشارع بالامر على اتخاذ الامام فمن اين يكون
واجبا قلنا ان الله تعالى قد امر باقامة الدين
بلا شك ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامام
فى نفس الناس على انفسهم واموالهم واهليهم من تعدى

بعضهم على بعض وذلك لا يكون ابدا ما لم يكن ثمة
من يخاف سطوته ويرجى رحمته يرجع امرهم اليه
ويجتمعون عليه فاذا تفرغت قلوبهم من الخوف تفرغوا
لاقامة الدين الذى اوجب الله عليهم اقامته وما
لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام
واجب اعلم ان فى وجود السلطان فى الارض حكمة
لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد جزيلة عميمة لان
الله تعالى جبل الخلق على حب الانتصاف وعدم
الانصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحوت فى الماء
يزدرد الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر
لم ينتظم لهم امر ولم يستقم لهم معاش ولم يتهنوا
بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لو رفع السلطان
من الارض ما كان لله تعالى فى اهل الارض من حاجة
ومن الحكم التى فى اقامة السلطان انه من حجج الله
تعالى على وجوده ومن علامات على توحيده لانه
كما لم يمكن استقامة امر العالم واعتداله بغير مدبر
ينفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه

فى القاموس زرد اللقمة كسمع
بلعها كازدردها

وما فيه من الحكمة ودقايق الصنعة بغير خالق
خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم
سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم
والعالم باسره في سلطان الله تعالى كالبلد الواحد
في يد سلطان الارض ولهذا قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه امران جليلان لا يصلح احدهما الا
بالتفرد ولا يصلح الاخر الا بالمشاركة وهما الملك
والرأي فكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم
الرأي بالتفرد فمثال السلطان القاهر لرعيته
ورعية بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير
وحوله خلق يعالجون صنايعهم فبينا هم كذلك
طفي السراج فقبضوا ايديهم للوقت وتعطل جميع
ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وحشحش الهوام تفرقوا
الحسيس فدبت العقرب من مكمنها وكسعت الفارة صوت يحسن
من جحرها وخرجت الحية من معدنها وجاء اللص بحيلته
وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت المنافع و
استطارت فيهم المضار كذلك السلطان اذا كان

قاهرا لرعيته كانت المنفعة به عامة فكانت
الدماء في اهبها محقونة والحرم في خدورهن
مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان
الفاضل ظاهرا والمرافق حاصلة والحيوان الشرير
من اهل الفسوق والدعارة خاملا ثم اذا اختل
امر السلطان دخل الفساد على الجميع وفي منثور
الحكم سلطان جائر اربعين عاما خير من رعية
مهملة ساعة من النهار واذا عدل السلطان صلح
له ما بعد منه قال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم
خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة
تدوم قال الفضيل بن عياض جور ستين سنة
خير من هرج ساعة فلا يتمنى زوال السلطان الا
جاهل مغرور او فاسق يتمنى كل محذور فحقيق على كل
رعية ان ترغب الى الله في صلاح السلطان وان
تبذل له نصحها وتخصه في الاوقات الخمسة بصالح
دعائها فان في صلاحه صلاح البلاد والعباد وكان

في الصحاح [illegible] واصله [illegible] والفسوق والخبث
الدعارة الفساد [illegible] والداعر [illegible]

العلماء يقولون ان استقامت لكم امور السلطان
فاكثروا احمد الله تعالى و شكره وان جاءكم
ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبون بذنوبكم
وتستحقون باثامكم واقيموا عذر السلطان
لانتشار الامور عليه وكثرة ما يكابده من
ضبط جوانب المملكة وارضاء الاولياء واستئلاف
الاعداء وقلة الناصح وكثرة المدلس والطامع
قال الحكماء لا تستوطن الا بلدا فيه سلطان
قاهر وقاض عادل وسوق قائم وطبيب عالم
وقالوا ايضا مثل السلطان مثل الغيث الذى هو
سقى الله تعالى وبركات السماء وحياة الارض
ومن عليها وقد يتاذى به المسافر ويتداعى به
البنيان ويكون فيه الصواعق وتدر سيوله
فيهلك ما يهلك من الدواب والذخاير ويموج
له البحر فيشتد بليته على اهله ولا يمنع ذلك
اذا نظروا الى اثار رحمة الله تعالى فى الارض
التى احياها والنبات التى اخرج والرزق الذى

الجوابي جمع الجابي

118

بسط والرحمة التى نشر ان يعظموا نعمة ربهم و
يشكروها ويلغوا ذكر خواص الاذية التى دخلت
خواص الخلق وايضا مثاله مثال الرياح التى
يرسلها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته فيسو
قها السحاب ويجعلها لقاحا للثمرات وارواحا
للعباد ويتنشقون منها ويتقلبون فيها وتجرى
بها مياههم وتقدبها نيرانهم وتسير بها فى البحر
فلكهم وقد يضر بكثير من الناس فى برهم وبحرهم
فيشكوها الشاكرون وقد يتاذى بها كثير من
الناس فلا يزيلها ذلك عن منزلتها من كونها
قوام عباده وتمام نعمه وهكذا كل جسيم من امور
الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فالغيث
لا يخلو من العيب مثلا ولو كان نعم الدنيا من
غير كدر وميسورها من غير معسور لما كانت
الدنيا دنيا بل تكون هذه الحالة فى الجنة التى
لا تعب فيها ولا نصب والحاصل ان منزلة السلطان
من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فكما ان

الجوارح تابعة ومطيعة الى الروح كذلك الرعية
مطيعة في كل حال الى السلطان فالروح اذا
صفت من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وجرت
في جميع اجزاء الجسد فامن الجسد واستقامت
الجوارح والحواس وانتظم امر الجسد وان تكدرت
الروح او فسد مزاجها فيا ويح الجسد فيسري
الى الحواس والجوارح كدرة منحرفة عن الاعتدال
فاخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فمرضت
الجوارح وتعطلت فبطل نظام الجسد وجرى الى
الفساد قيل ما شيء واحد يعز به السلطان قال
الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى
الخاصة والعدل على العامة فالامانة معقل
الطاعة والطاعة زينة الملة وكان يقال الطاعة
للسلطان على اربعة اوجه على الرغبة والرهبة
والمحبة والديانة طاعة الائمة فرض على كل الرعية
اتقوا الله بحقه والسلطان لطاعته طاعة السلطان
مقرونة بطاعة الله تعالى من اجلال الله تعالى

اجلال السلطان عادلا كان ام جائرا الطاعة
تؤلف شمل الدين وتنظم امر المسلمين الطاعة
ملاك الدين الطاعة معاقل السلامة وارفع
منازل السعادة الطاعة الطريقة المثلى
والعروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة
بطاعة الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة
من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن لجأ اليها
وحرز لمن دخل فيها ليس على الرعية ان تعترض
الائمة في تدبيرها وان سولت لها انفسها بل
عليها الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة
تقام الحدود وتؤدى الفرائض وتحقن الدماء
وتامن السبل اولى الناس بطاعة السلطان ومنا
اهل الدين والنعم والمروات اذ لا يقوم الدين الا
بالسلطان ولا يكون النعم والحرم محفوظة الا به
الامامة عصمة للعباد وحياة للبلاد وجعل الله
تعالى طاعته لمن خصه بفضلها فقرنها بطاعته
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها

الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء بنورها
ومأمن لمن حافظ عليها طاعة الائمة حبل الله
المتين ودينه القويم وجنته الواقية وكفايته
العالية اياكم والخروج من انس الطاعة الى وحشة
البغي والعاهة ولا تضمروا غش الائمة و
عليكم بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى
السلطان ليذلوه الا اذلهم الله تعالى قبل ان يموتوا
الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة افضل من
طاعة الهيبة حق الرعية على السلطان الاستصلاح
لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم والعدل
عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة
والاستقامة والشكر والمحبة روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله ليزع بالسلطان ما لا
يزع بالقرآن معناه ليدفع وعن حكيم يا بني الملك وفي القاموس يزع يزجر
والدين اخوان لا غنى باحدهما عن الاخر فالدين اس
والملك حارس وما لم يكن له اس فمهدوم وما لم

يكن له حارس فضائع وكان يقال الدين والسلطان
توأمان وقال كعب مثل الاسلام والسلطان والناس
مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد لا يصلح
بعضهم الا ببعض قال الله تعالى ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا
ان الله تعالى اقام السلطان في الارض لدفع القوي
عن الضعيف وانصاف المظلوم من الظالم لاهلك
القوي الضعيف فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر
بهم قرار فيفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله
على الخلق باقامة السلطان فقال ولكن الله ذو
فضل على العالمين يعني في اقامة السلطان فيأمن
الناس به ويكون فضله على الظالم كف يديه وفضله
على المظلوم امانه وكف يد الظالم عنه وروى ابو
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة
لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر
ودعوة المظلوم وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل

الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله
عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا
في الله تعالى اجتمعا عليه وتفرقا ورجل دعته امرأة
ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق
بصدقة فاخفاها لا يعلم شماله ما انفقت يمينه
ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وروى كثير
ابن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
السلطان ظل الله يأوي اليه كل مظلوم من عباده
فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا
جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر وفي الخبر
عن ابي هريرة مرفوعا انه قال لعمل العامل في رعيته
يوما افضل من عبادة العابد في اهله مائة سنة
او خمسين سنة وقال قيس بن سعد ليوم من امام
عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة
وقال مسروق لان اقضي يوما بالحق احب الي من
ان اغزو سنة في سبيل الله وقال وهب بن منبه
اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله النقص في

اهل مملكته بذلك قال الامام الطرطوشي شهدت
انا بالاسكندرية والصيد بالخليج مطلق للرعية
والسمك يعلو الماء كثرة ويصيده الاطفال بالخرق
ثم حجره السلطان ومنع الناس من صيده فذهب
السمك منه حتى لا يكاد يوجد منه الا الواحد
بعد الواحد الى يومنا هذا وهكذا يتعدى سرائر الملوك
وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية وروى
اصحاب التواريخ قالوا كان الناس اذا اصبحوا في
زمن الحجاج فتلاقوا يتساءلون من قتل البارحة
ومن صلب ومن جلد وامثال ذلك وكان الوليد
صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس
يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع والضياع
وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان
ابن عبد الملك كان صاحب نكاح وطعام وكان
الناس يتخذون الاطعمة ويتوسعون في الانكحة
والسراري ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان الناس
يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك في

كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يصوم من الشهور و
امثال ذلك انتهى قال الامام في التفسير الكبير
يروى ان انوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع
عن عسكره واستولى العطش عليه فوصل الى
بستان فلما دخل البستان رأى اشجار الرمان
فقال لصبي حضر في ذلك البستان اعطني رمانة
واحدة فاعطاه رمانة فشقها واخرج حبها و
عصر فخرج منه ماء كثير فشربه واعجبه ذلك
الرمان فعزم على ان يأخذ ذلك البستان من مالكه
ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه
فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا
موذيا فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا
فقال الصبي لعل ملك البلد عزم على الظلم فلاجل
شوم ظلمه صار الرمان هكذا فتاب انوشروان
في قلبه عن ذلك الظلم وقال للصبي اعطني رمانة
اخرى فعصرها فوجدها اطيب من الرمانة الاولى
فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال الصبي

لعل ملك البلد تاب عن ظلمه فلما سمع انوشروان
هذه القصة من ذلك الصبي وكانت مطابقة
لاحوال قلبه تاب بالكلية عن الظلم فلاجرم
بقي اسمه مخلدا في الدنيا بالعدل حتى ان من
الناس من يروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال ولدت في زمن الملك العادل انتهى
وفي التفسير النيسابوري في سورة الفاتحة في
قوله تعالى مالك يوم الدين ملك يوم الدين
قال ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرع
على الاولى فقراءة المالك ارجى من قراءة الملك
لان اقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف
وان ينجو الانسان منه رأسا برأس والمالك
يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية
والانعام يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته
فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا
من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطمع فيك
والمالك انت تطمع فيه الملك لا يختار من العسكر

الا قوى سوى ويترك من كان مريضاً عاجزاً والمالك
ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه الملك له هيبة
وسياسة والمالك له رأفة ورحمة واحتياجنا الى
الرأفة والرحمة اشد من احتياجنا من الهيبة
والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في
الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفي الآخرة لا مالك
الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملكه لا
يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم
ونفذت ذخايرهم وانه سبحانه وتعالى كلما كان اكثر
عطاء كان اوسع ملكاً فان اعطاك عشرة اولا
وزاد في ملكه عشرة اعبد من لوازم ملكه كمال الرحمة
فلهذا قرن بقوله ملك يوم الدين قوله رب العالمين
الرحمن الرحيم ومثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل
اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة
من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله في الارض لكن
سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق

الارض وتخر الجبال هداً ان دعوا للرحمن ولداً
والطاعة تتضمن صلاح المعاش والمعاد من عمل صالحاً
من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى
الناس ان يطيعوا ملوكهم وعلى الملوك ان يطيعوا
مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم
لانه وصف نفسه بانه ملك يوم الدين اظهاراً للعالمين
كمال عدله بنفي الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد
وثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم
القيمة فلا خلة للملك اعم نفعاً واتم دفعاً من
ان يكون عادلاً ومن هنا تظهر البركة في العالم
او ترتفع ان كان السلطان عادلاً او جائراً انتهى
فبالسلطان صلاح الانسان بل بالسلطان العادل
صلاح الدارين وليس فوق السلطان العادل منزلة
الا نبي مرسل او ملك مقرب فاتخذ عظم قدر السلطان
عندك حجة الله تعالى على نفسك وناصحه على قدر
ما نفعك وليس نفعه مقصوراً على محاله من حطام

الدنيا ولكن الصيانات في حقك مثلا حفظ حريمك
وحراسة مالك عن البغاة وهكذا اعم نفع لك ان عقد
فبالسلطان العادل يصلح البلاد والعباد وينال
الزلفى الى الله تعالى والفوز بجنة المأوى الباب
الاول في معاونتهم على الحق اعلم ان معاونتهم
على الحق انما تكون بنصيحة دينية وكل نصيحة دينية
من اهلها انما تظهر ثمرتها بقبول حسن فثمرة المعاونة
لا تظهر الا في شجرة القبول فلا بد لك من معرفة فصلين
الفصل الاول في بيان النصيحة لظهور ثمرة
المعاونة قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله وقال عز وجل ولينصرن الله
من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ثم
سمى المنصورين واوضح شرايط فقال عز من قائل
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله
تعالى النصر للملوك وشرط عليهم اربع شرايط كما

ترى فما تضعضعت قواعدهم وانتقص عليهم شيء
من اطراف مملكتهم او ظهر عليهم عدو باغي فتنة او
حاسد نعمة او اضطربت عليهم الامور ونحوها فليعلموا
انهم قد اخلوا بشيء من الشروط الاربع التي
شرطت في النصر وليلجؤوا الى الله الملك التواب
باقامة الميزان القسط الذي شرعه الله تعالى
لعباده وركوب سبيل العدل والحق الذي به قامت
السموات والارض واظهار شعائر الدين ونصر
المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف بر القوي عن
الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة
ذوي الخصاصة والمستضعفين روى مسلم في صحيحه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ
يلي امر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح الا لم يدخل
معهم الجنة وقال معقل بن يسار سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه
الله رعية فلم يحفظها بنصيحة الا لم يدخل الجنة
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والرجل
راع على اهل بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة
راعية على اهل بيت زوجها وولدها وهي مسئولة
عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول
عنه الا وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
وروي عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة
لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة
اعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها
وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة و
ستكون ندامة يوم القيمة فنعم المرضعة وبئست
الفاطمة وفي الحديث من ولي من امر المسلمين شيئا
ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط اهل بيته فليتبوأ
مقعده من النار وعن ابي سعيد الخدري انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيمة الامام الجائر وقال علي بن ابي

يعني ان اعطى الله سبحانه وتعالى من غير سؤال فانك اعانك الله على تلك الامارة وحفظك عن الآثم فيها لان عملك يكون لطاعة الامام منه

وكلت اليها بتخفيف الكاف وعلى بناء المجهول يعني لا يعينك الله عليها لاعتمادك على نفسك فتكون انت مفوضا الى تلك الامارة وفي [illegible] محذوف منه

المخصوص بالمدح محذوف وهي الامارة [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] الموصلة الى المنافع الفاطمة والفاطمة وهي التي انقطع لبنها [illegible] منه

قال الطيبي نعم [illegible] فعل غير منصرف [illegible] الحاق [illegible] وتركها منه

لان الامارة لا تجري على العدل الا نادرة منه

125

طالب كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض الا
يؤتى يوم القيمة حتى يوقف به بين يدي الله تعالى
على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤنها على
رؤس الخلائق فان كان عدلا نجاه الله تعالى بعدله
وان كان غير ذلك انتقض به الصراط انتقاضة
صار بين كل عضو من اعضائه مسيرة سنة ثم يخرق
به الصراط فما يلقى قعر جهنم الا بحره وجبينه وفي
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان
من امتي لا تنالهم شفاعتي يوم القيمة امام ظالم
غشوم وغال في الدين مارق منه وقال حذيفة بن
اليمان من اشراط الساعة امراء فجرة ووزراء كذبة
وامناء خونة وعلماء فسقة وعرفاء ظلمة وقال
طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا امير
المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم القيمة فقال
سليمان قل فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم القيمة
من اشركه الله تعالى في ملكه فجار في حكمه فاستلحق

سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام
عنه جلساؤه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال القضاة ثلثة اثنان في النار وواحد
في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى
بعلم فجار فهو في النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنة
وذكر السلطان اعرابي فقال والله لئن عزوا في الدنيا
بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل وبقليل فان رضوا
من كثير باق وانما يكون الندم حيث لا ينفع الندم
وقال ابو ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الا
تستعملني قال فضرب بيده على منكبي وقال يا ابا ذر
انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيمة خزي و
ندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال
بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن و
انا حديث السن فقلت يا رسول الله اتبعثني الى قوم
شيوخ ذوي اسنان ولا علم لي بالقضاء فقال ان
الله سبحانه هاد قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان

فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الآخر فانك اذا
عرفت كلامه عرفت كيف تقضي فانظر كيف نهى صلى
الله عليه وسلم ابا ذر رضي الله عنه عن القضاء
لمعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء مما كان ضده في
علي رضي الله عنه من استجماع شرايط القضاء
وقوته عليه وكيف عاب جهلة بني اسرائيل طالوت
فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه بخصلتين
الفقر وانه ليس من بسط المملكة فقال لهم النبي ان
الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
فبين شروط الولايات واعلمنا لذلك انها تفتقر الى
العلم الذي به يحكم والى القوة التي بها ينفذ الاحكام
دون ما طلبته بنو اسرائيل فعلم مما ذكر عدم جواز
طلب الولاية والقضاء فان قال قائل اليس سليمان
ابن داود عليهما السلام قال رب هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي فهو مع كونه نبيا طلب الامارة
وسألها وظاهره يؤذن بان سؤال الامارة وطلبها

ممدوح لا يمنع منه ثم زاده على ذلك بان لا
يؤتى مثله احداً بعده فالكلام على هذه الاية
من وجوه احدها انه انما سال هذا بعد ان سلبه
الله ملكه ثم اعاده عليه فصح طلباً للملك فكانه
قال هذا الملك الذي جددته لي هبه لي على صفات
لا اعصيك فيه فتسلبني اياه يدل عليه انه بدأ
بالمغفرة فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد فلا اعصيك فيه فتواخذني والدليل على
ذلك قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك
بغير حساب حيث اجاب دعاءه فقال تصرف كيف
شئت فلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت اجرت
وان امسكت فلا تبعة عليك وهذه خصوصيه
لسليمان بن داود عليهما السلام لم يخص بها احد
من ولد ادم عليه السلام سواه لان الله تعالى
قال للخلايق اجمعين فوربك لنسئلنهم اجمعين
عما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد من
بعدي فقال عطا معناه لا اسلبه في باقي عمري

فيصير لغيري كما سلبته فيما مضى من عمري و
قيل انما سأل ذلك ليكون علما على المغفرة و
قبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له
وقيل انما سأل ذلك ليكون اية لنبوته وعلما على
معجزته وقال مقاتل بل كان سليمان ملكاً ولكنه
اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح
والطير يدل عليه ما بعده قوله فسخرنا له الريح
الى اخر الايات وروى البخاري في صحيحه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن
جعل يتفلت على البارحة ليقطع على صلوتي وان
الله سبحانه امكنني منه فصرعته فلقد هممت ان
اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون
اليه كلكم فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا واما معنى
قول يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
فقالوا انه يستفاد من الاية ان من حصل بين يدي
ملك لا يعرف قدره او امة لا يعرفون فضله فخاف

وقال انما اراد به ملك النفس وقهر الهوى بدليل
عليه ما روى عن سليمان انه بلغني ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما رايتم سليمان وما اتاه الله
من ملكه فانه لم يرفع راسه طرفة عين الى
السماء تخشعا لله تعالى حتى قبضه الله ع
وزاد غيره فقال الاية اراد ملك النفس وقهر
الهوى لئلا تغتر ولهذا اقدم سؤال المغفرة
على طلب الملك منه

على نفسه جاز ان ينبئهم على مكانه وما يحسنه
دفعاً للشر عن نفسه وفيه فائدة اخرى وهو انه
اذا رأى الامور في ايد الخونة واللصوص ومن لا يؤدي
الامانة ويعلم من نفسه اداء الامانة مع الكفاية
جاز ان ينبه السلطان على كفايته وامانته هذا
واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها الا اصحاب
العزم والديانة وان القول الغليظ يسمع لفضل
عاقبته كما يتكاره على شرب الدواء المر لفضل مغبته
اى لجود نفعه ق
كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله
امرأ اهدى الي عيوبي وحكي عن عمر بن عبد العزيز
انه قال لبعض اصدقائه قل لي في وجهي ما اكره فان
الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره
وقال تلك النصيحة لله في ارضه هي التي بعث الله
بها انبياءه عليهم السلام فمن اهم الامور النصيحة
لعباد الله تعالى في امورهم سيما النصيحة للملوك
فان الملوك كالماء الصافي وكالمرآة في صفوة قلوبهم
بغير كدورة فينعكس وينطبع ما في قرنائهم وجلسائهم

ان خيراً وان شراً فينبغي للملك ان يجالس اهل
الادب والعقل واهل الفكر وذوي الرأي والتجارب
والعبر واعلم ان الاهل لنصيحة السلطان وزيره
العاقل المدبر لجميع مصالحه المتدين العامل
بقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
فاذا كان كذلك يظهر ثمرة المعاونة واما اذا لم
يكن كذلك لا بل يظهر الكدورة فان مثال الملك الجيد
والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم
من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا
يستطيع المرء دخوله وان كان سابحاً وكان الى الماء
محتاجاً وايضاً مثال السلطان مثال الطبيب ومثال
الرعية مثال المرضى ومثال الوزير كالسفير بين
المرضى والطبيب فان لم يكن السفير متديناً وكذب
بطل التدبير وكما ان السفير اذا اراد ان يقتل احداً
من المرضى وصف الطبيب نقيض دائه فاذا سقاه الطبيب
على ما وصفه السفير هلك العليل وان كان صادقاً
متديناً فلا يزيد شيئاً من مقتضى نفسه فلو كان

السلطان يستغني عن الوزير لكان احق الناس
بذلك كليم الله موسى بن عمران على نبينا وعليه
الصلوة والسلام قال الله تعالى في قصته
واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي ثم ذكر
حكمة الوزارة فقال اشدد به ازري واشركه في
امري دلت الاية على ان موضع الوزارة ان يشبه
قواعد المملكة ثم قال كي نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا دلت هذه الكلمة على ان نصيحة العلماء اهل
الخبرة والمعرفة تنظم نصيحة الدنيا والاخرة وكما
ان اشجع الناس يحتاج الى السلاح كذلك اعظم
الملوك واجل السلاطين يحتاج الوزير فالوزارة
من الوزر وهو الثقل يعني انه يحمل ما هو من اصول
المملكة واعبائها مثل الاثقال فاسعد الملوك ملك
له وزير صادق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه واول
ما يستفيد الملك من الوزير امران علم ما كان يجهله
ويقوى عنده علم ما كان علمه فنزول مثله قال
وهب بن منبه قال موسى عليه السلام لفرعون

آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى اشاور هامان
فشاوره في ذلك فقال له هامان بينا انت تعبد
اذ صرت تعبد فانف واستكبر وكان هامان من
امره واشرف منازل الادميين النبوة ثم الخلافة
ثم الوزارة فالوزير عون على الامور وشريك
في التدبير ظهير على السياسة ومفزع عند النازلة
الوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه
وقلبه اول ما يظهر قوة تميز السلطان وجودة عقله
في استنخاب الوزراء واستنقاد الجلساء ومحادثة العقلاء
فهذه الخلال الثلث تدل على كماله وبهذه الخلال يحمد
في الخلق ذكره ويجل في العيون قدره ويرسخ في
النفوس عقله وكماله والمرء موسوم بقرينه فان
السلطان اذا كان وزيره عاقلا متدينا لا جرم
ايضا يصير قرناؤه عقلاء فالوزير يعلم ما يلزمه
على الكل من التعظيم والاجلال الذي يجوزه الشرع
وما لم يجوزه فلا يرضى عما وضعته الجبابرة
ولا يتألم لمن ترك خوفا من الله تعالى لكونه مخالفا

للتشرّع قال في الظهيرة واما تقبيل الارض فهو
قريب من السجود الّا انه اخفّ من وضع الخدّ او
الجبين على الارض وقال ايضاً سلطان عطس فقال
رجل يرحمك الله فقال له رجل آخر لا يقال للسلطان
هكذا يكفر انتهى وفي بعض الكتب لا يصحّ السلطان
الا بالوزير وهما الا بالمودّة والنصيحة ولا المودّة
والنصيحة الا بالرأي والعفاف فاعظم الاشياء
ضرراً على الناس عامّة وعلى الولاة خاصّة ان
يحرموا من صالحي الوزراء فيكون اعوانهم غير
ذي مروءة قيل لكلّ ملك بطانة يجمع جميع المملكة
فاذا اقام الملك بطانة على حال الصواب اقام كلّ
منهم بطانة على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح
عامّة الرعيّة قال شريح بن عبيد لم يكن في بني
اسرائيل ملك الا وله رجل حكيم فاذا رآه غضباناً
كتب له صحائف ارحم المسكين واخش الموت واذكر
الآخرة فكلّما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن
غضبه ولهذا شرط ان يكون الوزير صدوقاً في

لسانه عدلاً في دينه مأموناً في اخلاقه بصيراً بامور
الرعيّة ويكون بطانة الوزير ايضاً من اهل الامانة
والبصيرة ولا يكون لئيماً لان اللئيم اذا ارتفع
جفا اقاربه وانكر معارفه واستخفّ بالاشراف
وتكبّر على ذوي الفضل والانصاف وكان بعض الملوك
قد كتب ثلث رقاع وقال لوزيره اذا رأيتني غضباناً
فارفع الىّ رقعة في الواحدة انك لست باله وانك
تموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضاً وفي
الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء
وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا
يصلحهم الا ذلك قال انوشروان لا يتمّ للملك امره
حتى يرفع رأسه عن كلّ عيب وموقع الوزارة من
المملكة كموقع المرآة من البصر كما ان من لم ينظر في
المرآة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان
اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته من عيوبها
وكما ان المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها
وجودة صيقلها ونقائها من الصداء كذلك الوزير

لا يكمل امرؤ الا بجودة عقله وصحة فهمه وصفاء
نفسه ونقاء قلبه وكيف لا والوزير الموفق العاقل
حالئذ مستغن عن كل الاشياء سوى امور المملكة
متنعم بنعمة من خلاق العالم محتاج الى شكره حسبما
امكن ومن الشكر سعيه وخدمته الى ولي نعمته
على ما ينبغي فيكون مكين الرحمة للخلق ليأنسوا برحمته
ما يخرجه السلطان بشدته وينبغي ان يكون نقي
الجيب ناصح الغيب لا يقبل دقيقة ولا يكتم نصيحة
وان يكون كليل تهامة لا حر ولا برد موضع صلاح
الوزير من الملك موقع صلاح الملك من العامة كما
ان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا فسد فسدت
كذلك الوزير اذا صلح صلح وكان يقال آفة العقل
الهوى وآفة الملك سخافة الوزير وقال واحد من
الخلفاء لوزيره اتق الله يعطفني عليك ولا تعصه
يسلطني عليك وقال بعض الملوك لوزيره اعط من
اتاك بما تكره كما تعطي من اتاك بما تحب فان من
انذرك كمن بشرك فالسلطان كالدار والوزير بابها

فمن اتى الدار من بابها ولج ومن اتاها من غير
بابها ازعج فالوزير مستقر اسراره وكاتبه
ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته وللكاتبه
على الملك ثلث خصال يرفع الحجاب عنهم واتهام الوشاة
عليه ويفشي اليه سره فهو قوام الخلافة وعمود
المملكة هو المخصوص بقربه ولزومه دون نظرائه
واعلم انه ليس للوزير ان يكتم عن السلطان نصيحة و
لو استثقلها فموقع الوزير من المملكة كموقع العينين
من الانسان واليدين فانه اذا صح قبضهما وضبطهما
واذا سقم ادخل النقص على الجسد وللسلطان ان
يقبل النصيحة من غير ان يعدها قليلة فان كان
السلطان على خلقته الصافية الحسنة وفطرته
الوافية المستحسنة وكان موفقا بوزير صالح
ناصح على ما ينبغي فله القبول الحسن وبالنصيحة
وقبولها استراح الجميع وبالله التوفيق ومنه
العون والعناية **الفصل الثاني** في بيان
ظهور ثمرة المعاونة بقبول حسن اعلم ارشدك

الله تعالى أن الخلق كلهم مستمدون من السلطان
مفتقرون اليه في الاحكام وقطع التشاجر و
فصل الخصام ومعلوم أن أحوج الناس الى
النفقة اكثرهم عيالا واتباعا وحشما واصحابا
هو ووزيره أحوج خلق الله الى معرفة العلوم
لاجراء الاحكام الشرعية فشخص بلا علم كبلد
بلا اهل قالوا والمستمع حق الاستماع داخل في
المتعلم في قوله صلى الله عليه وسلم الناس رجلان
عالم ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيهم والفضل
ما في السلطان ووزيره خصوصا وفي الناس
عموما محبة العلم اذ به يحصل الدين والتشوق
الى سماعه والتحلي به والتعظيم لحملته خصوصا
للعاملين بعلمهم وهذا من اوكد ما يتحبب به الى
الرعية واذا كان الانسان خاليا من العلم ولم
يتشوق الى سماعه ولم يتقيد بقيد التحلي به ركب
هواه واضر برعية قواه كالدابة بلا رسن تمر
في غير طريق وقد تتلف ما تمر عليه فما ظنك

بالسلطان ووزيره فليس احد من اهل الدرجات
السنية والمراتب العلية احوج الى مجالسة العلماء
وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم والحكم و
مطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء من الملك
والوزير وانما يكون ذلك كذلك لوجهين احدهما
أن كل واحد منهما نصب نفسه لممارسة اخلاق
الناس وفصل خصوماتهم وتعاطي حكوماتهم
وكل ذلك محتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة
بالعلم قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله عند
الله وعند الناس ان لم يعد لهذه الامور عدتها
ولم يقدم لها أهبتها والثاني انه لا يجالسه الا رفيع
درجته وعلو شأنه الا معظم لقدره ومبجل لشأنه
وساتر لمساويه ومادح له بما ليس فيه فلا يقدر
احد ان يعارضه ويذكر له مساويه ويخالفه فيكون
ذلك سببا للسقطة وبالجملة فكما ان الوزير في
تعاطي الحكومات وفصل الخصومات يحتاج الى
العلماء كذلك الملك في كل الاحوال للاعانة والاعلام



يحتاج الى الوزير فالوزير مشير السلطان والسلطان
مستشيره واعلم ان المستشير وان كان افضل
رأيا من المشير فانه يزداد رأيه رأيا كما يزداد النار
بالسليط ضوءا فلا يقدحن فى نفسك وهمك انك اذا
استشرت ظهر منك الحاجة الى رأى غيرك فيقطعك
ذلك عن المشاورة فانك لا تريد الفخر به ولكن
الانتفاع به والامتثال لامره تعالى قال عمر بن
الخطاب رضى الله عنه الرأى الفرد كالخيط السحيل
والرأيان كالخيطين والاراء الثلثة لا تكاد
تنقطع وكان يقال من كثرت استشارته حمدت
اماراته قال المأمون لطاهر بن الحسين صف لى
اخلاق الامين فقال كان واسع الصدر ضيق
الادب يبيح من نفسه ما تأنفه همم الاحرار ولا
يصغى الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برأيه
فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما يهتم به
قال فكيف كانت حروبه قال كان يجمع الكتائب
بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المأمون

اى العاب ق

لذلك حل بهما ما حل اما والله لو ذاق لذات النصائح
واختار مشورات الرجال وملك نفسه عند شهواتها
ما ظفر به وفى التفسير الكبير ان يوسف عليه السلام
لما صار ملكا احتاج الى وزير فسأل ربه عن ذلك
فقال جبرئيل ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فرآه
يوسف عليه السلام فى سوء الحال فقال لجبرئيل
انه كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال
جبرئيل ان ربك عينه لذلك لانه ذب عنك حين
قال ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من
الصادقين والنكتة ان الذى ذب عن يوسف
استحق الشكر فى مملكته فمن ذب عن الدين القويم
بالبرهان المستقيم كيف لا يستحق من الله تعالى
الاحسان والتحسين انتهى قال سليمان بن داود
عليهما السلام الرحمة والعدل يحرزان الملك
وقال زياد ملاك السلطان ثلثة اشياء الشدة
على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول
سئل عن بعض الملوك وقيل بم نلت هذه المرتبة

فانك قد بلغت في السياسة ما لم يبلغه ملك فلما
سمع اجاب وقال اني لم ازد في السياسة على ثمان
خصال لم اهزل في امر ولا نهي ولم اخلف من وعد
ولا وعيد ووليت اهل الكفاية واثبت على الغنى لا
على الهوى وضربت للادب لا للغضب واودعت
قلوب الرعية المحبة من غير جرءة والهيبة من غير
ضغينة وعممت بالقوت وكان ابن هبيرة امير البصرة
يقول اللهم اني اعوذ بك من صحبة من غايته خاصة
نفسه والانحطاط في هوى مستشيره ومن الحكم ان
من التمس من الاخوان الرخصة عند المشورة ومن
الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة ٥
اخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر قال بعض
الحكماء لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود
مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاها ولا خائفا
ولا من يرهقه احد السبيلين وقال ابو الدرداء
ان شئتم لانصحن لكم ان احب عباد الله الى الله
تعالى الذين يحببون الله الى عباده ويعملون في الارض

نصحا وكتب الوليد الى الحجاج ان يكتب اليه بسيرته
فكتب اليه اني ايقظت رأيي وانمت هواي وادنيت
السيد المطاع في قومه ووليت الحرب الحازم في
امره وقلدت الخراج الوفي لامانته وقسمت لكل
خصم من نفسي قسما يعطيه حظا من نظري ولطيف
عنايتي وصرفت السيف الى النطف المسيء فخاف المذنب
صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب
وقال ابو عبيدة رضي الله عنه اذا كان الملك
محصنا لسره بعيدا من ان يعرف ما في نفسه
متخيرا للوزراء مهيبا في نفس العامة مكافيا
بحسب البلاء لا يخاف البر ولا يامنه المجرم كان
خليقا ببقاء ملكه وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه للمغيرة بن شعبة لما ولاه الكوفة يا مغيرة
ليأمنك الابرار وليخفك الفجار قالوا ظفر الملك
بعدوه على حسب عدله في رعيته ونكوبه في حروبه
على حسب جوره في عساكره واصلاح الرعية انفع
من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك عفافه وحصنه

انضا فر وسلاحه كفا فر وما له رعيته وقيل لا ظفر
مع بغي ولا صحة مع نهم ولا غناء مع كبر ولا شرف
مع سوء ادب ولا بر مع شح ولا اجتناب محرم مع
حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سودد مع
انتقام ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراء
ولما ولي ابو بكر الصديق رضي الله عنه خطب فقال
يا ايها الناس انه لا احد اقوى من المظلوم حتى آخذ
له بحقه ولا اضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه
قيل للاسكندر بم نلت ما نلت قال باستمالة الاعداء
والاحسان الى الاصدقاء وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول ان هذا الامر لا يصلح له الا
اللين من غير ضعف والقوة من غير عنف وقال
ابو جعفر المنصور ما كان احوجني ان يكون على بابي
اربعة لا يكون على بابي اعف منهم قيل منهم يا امير
المؤمنين قال هم اركان الملك ولا يصلح الملك الا
بهم كما ان السرير لا يصلح الا باربع قوايم فان نقص
قايمة واحدة عابه احدهم قاض لا تاخذه في الله لومة

النهم بفتحتين افراط الشهوة

لائم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي
وصاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية فاني غني
عن ظلمهم ثم عض على اصبعه السبابة ثلث مرات
تأوه في كل مرة قيل ما هو يا امير المؤمنين قال
وصاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا
باربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح امره قوة
على جمع المال من ابوابه ووضعه في حقه وشدة
لا جبروت فيها ولين لا ادهن فيه قال ابن المقفع
اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك
ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن يعجبك ان
اكرموك لعلم او ادب او دين وبالجملة ان شجرة
النصيحة التي اصلها ثابت في الدين وفرعها مقارن
بالاخلاص والتمكين يظهر ثمرتها كل حين وبحسن
القبول يتقبلها عباد الله تعالى الى يوم الدين
جعلنا الله تعالى بالقبول من عباده المكرمين آمين

الباب الثاني في طاعتهم في الحق اعلم ان

اسباب الطاعة كثيرة الا ان خصلة الجود والسخاء
جليل قدرها عظيم موقعها شريف موردها ومصدرها
وهي احدى قواعد المملكة واساسها وتاجها وجمالها
تعنو لها الوجوه وتذل لها الرقاب وتخضع لها الجبابرة
وتشرف بها الاحرار وتستمال لها الاعداء وتستكثر
بها الاولياء وتحقن بها الدماء ويملك بها القرباء
والبعداء ويسود بها في غير عشائرهم الغرباء فكلهم
مغرمون بجمالها فكم كافر ترك دينه ابتغاء عرض قليل
من الدنيا وكم مسموع من مسلم ارتد في ارض الشرك
افتتانا بيسير من عرض الدنيا فتخلق بخصلة
يترك لها الانسان ما عنده ويبذل جهده حتى تكون
جليل القدر عظيم الخطر واحوج خلق الله اليها احوجهم
على عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم
الملوك والولاة وهذه الخصلة لزومها للملوك
اكثر من غيرهم بل واجبة في حقهم اعني الكرم والجود
والسخاء قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد
قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجهل الكريم المجالسة

لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره وقال ابن
عباس رضي الله عنه لا يتم المعروف الا بثلث
تعجيله وتصغيره وتيسيره فاذا عجله فقد هناه
واذا صغره فقد عظمه واذا يسره فقد تممه
وقال المغيرة في كل شيء سرف الا في المعروف
قيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا
سرف في الخير وقال زيد بن اسلم وكان من
الخاشعين يا ابن ادم امرك الله ان تكون كريما
وتدخل الجنة ونهاك ان تكون لئيما فتدخل النار
وقال ابو علي الثقفي المعروف كنز لا ينفد من
بر ولا فاجر وكان الزبير رضي الله عنه من اجود
الناس واشجعهم ولما مات وجد عليه مائتا
الف دينار واعلم ان خصلة الجود والسخاء لا
تجمع مع البخل والشح فاجتهد بتخلية قلبك عنهما
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني
اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها
وروى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم
على ان يسفكوا الدماء ويستحلوا محارمهم قالوا
الشح اشد من البخل فان البخل اكثر مما يقال في
النفقة وامساكها قال الله تعالى سيطوقون ما
بخلوا به يوم القيمة وقال عز من قائل ومن يبخل
فانما يبخل عن نفسه وقال في الشح اشحة على
الخير اولئك لم يؤمنوا وقال ومن يوق شح نفسه
فاولئك هم المفلحون وروى انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح
من ادى الزكوة وقرى الضيف واعطى في النائبة
وقال ابن زيد من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه
ولم يدعه الشح الى ان يمنع شيئا امره الله به فقد
وقاه شح نفسه وحكى عمن كان يطوف ويقول
اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فسئل عن ذلك
فقال ان وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افز
فاذا هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قيل
الشح اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد تمتع

والشحيح لا يشبع ابدا ولما قدم الشافعي من
صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار
فقالوا له تشتري بها ضيعة فضرب خيمة خارج
مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه
قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب و
لم يبق شيء وروى ان رجلا اراد ان يؤذي عبد الله
ابن عباس رضي الله عنه فاتى وجوه الناس وقال
يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عنده فاتوه
فملؤا الدار فقال لهم ما الخبر فاخبر الخبر فامر ان تشترى
الفواكه في الوقت وامر بالخبز والطبيخ فاصلح امره
فلما صير قال للوكلاء اموجود هو هذا كل يوم قالوا
نعم قال فليتغد هؤلاء عندنا الى الشهر كل يوم
وبالجملة ان الكرم والجود في محله ممدوح كما ان
البخل والشح في جميع الاحوال المذموم واما الاعطاء
والبذل الى غير محله فاسراف وتبذير وهو ممنوع
قال الله تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن
السبيل ولا تبذر تبذيرا وقال تعالى ولا تجعل

يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسورا فعليك الاعتماد على ملا
الاقتصاد **فصل** في بيان سيرة السلطان
في بيت المال روى ابو داود في السنن ان النبي صلى
الله عليه وسلم صلى العشاء الاخيرة ثم دخل حجرته
وخرج مسرعا وبيده خرقة فيها ذهب فقسمها
ثم قال النبي صلعم ما ظن ال محمد لو ادركه الموت
وهذا عنده ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بيت
مال ولا للخلفاء الراشدين وانما كانت الخلفاء
تقسم الاموال التي يجيء من حلها بين المسلمين
وربما كان يفضل منها فضلة تجعل في بيت المال
او يكون في الناس غنى عنها في ذلك الوقت وفي اخبار
بعض الملوك ان بعض اصحابه اشار عليه بجمع
الاموال واقتناء الكنوز وقال ان الرجال ان تفرقوا
عنك اليوم فمتى احتجت اليه عرضت اليهم الاموال
فتهافتوا عليها قال له الملك هل لهذا من شاهد
قال نعم هل تحضرنا الساعة من ذباب قال لا فامر

باحضار جفنة فيها عسل مخضوت فتساقطت عليها
الذباب لوقتها فاستشار السلطان وزيره الرشيد
الامين فنهاه عن ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال
فليس في كل وقت اردتهم يحضرون قال هل لذلك
من دليل قال نعم اذا امسينا ساخبرك فلما اظلم
الليل قال للملك هات الجفنة مخضوت فلم تظهر ذبابة
واحدة وقال انما عمارة خزائن السلطان بالعدل
والاحسان وقد روي عن سيرة بعض السلاطين
في ارض مصر انه كان يجمع الاموال ولا يحفل بالرجال
فقال له بعض اصحابه ان امير الجيوش بالشام ه
يتواعدك وكانه به قد قدم عليك فاستعد الرجال
وانفق عليهم الاموال فاومى الى الصناديق موضوعة
وقال الرجال في الصناديق فغزا امير الجيوش ذلك
في مصر وغلبه ولم يسلم الصناديق وكان الرأي
فاسدا لان رجالا لا يقيمهم الملك لوقته ويجمعهم
لحاجته انما يكونون اجنبا فا مجتمعين وشرذمة
مؤلفين ليس فيهم غناء ولا عندهم دفاع ولا

مما رسة للحروب ومن السنة المروية في هذا الباب
لما افتتحت العراق جيء بالاموال الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال لصاحب بيت المال ادخله بيت
المال قال ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت
حتى نقسمه فغطى في المسجد بالانطاع وحرسه
رجال من المهاجرين والانصار فلما اصبح نظر
الى الذهب والفضة والياقوت والدر يتلألأ
فبكى عمر رضي الله عنه فقال له العباس وعبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنهما يا امير المؤمنين
والله ما هذا بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور
فقال اني والله ما ذهبت حيث ذهبتما ولكنه و
الله ما كثر هذا في قوم الا وقع بأسهم بينهم ثم
اقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم اني اعوذ
بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ثم قال اين سراقة فاتي به
اشعر الذراعين فاعطاه سواري كسرى وقال البسهما
ففعل فقال قل الله اكبر قال الله اكبر قل الحمد لله الذي

النطع المتخذ من الاديم المعروف وفيه
فتح النون وكسرها ومع كل واحد
فتح الطاء وسكونها والجمع انطاع
كذا في المصباح المنير
منه

سلبهما كسرى والبسهما سراقة اعرابيا من بني مدلج
ثم قلبهما ان الذي ادى هذا لامين فقال له رجل
انا اخبرك انت امين الله تعالى هم يؤدون اليك
ما اديت الى الله تعالى فاذا رتعت رتعوا قال صدقت
وانما البسهما سراقة لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لسراقة ونظر الى ذراعيه كأني بك وقد لبست
سواري كسرى ولم يجعل له الا السوارين وروى
البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو بكر الصديق
رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر رضي الله
عنه اين تريد قال السوق قال قد جاءك ما يشغلك
عن السوق قال سبحان الله يشغلني عن عيالي قال
نفرض بالمعروف قال فانفق في سنتين وبعض اخرى
ثمانية الاف درهم ووصى ان ترد من ماله في
بيت المال وجاء مال من العمال في اوائل تولية
ابي بكر الصديق رضي الله عنه فصبه في المسجد
ثم امر فنادى من كان له عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم دين او عدة فليحضر قال ابو ايوب

الأنصاري رضي الله عنه فقلت يا خليفة رسول
الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاء
مال أعطيتك هكذا وهكذا وأشار بكفيه فسكت
فانصرفت عنه ثم عاودته فقلت اما ان تعطيني
واما ان تبخل عني فقال ما أبخل عنك فذهبت
فحفنت حفنة قال عدها فعددتها فوجدت فيها
خمس مائة دينار قال عد مثلها فعددت مثلها و
انصرفت بالف دينار وابو ايوب رض من أغنياء
الأنصار وهو نزيل النبي صلى الله عليه وسلم
دل الحديث على ان بيت المال للغني والفقير ودل
ايضا على انه لا يجب ان يتساوى فيه جميع المسلمين
بل ذلك موكول الى اجتهاد الامام والدليل عليه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له العباس اعطني
من هذا المال فقال له اذهب فخذ فبسط ثوبه وحثا
فيه فلما جاء يحمله عجز عنه فقال يا رسول الله
مر من يحمله علي قال لا افعل منه ثم حمله على
عاتقه وفي التفسير الكبير ان ابا يوسف اتاه ذات

الحفن أخذ الشيء براحتي الكفين والاصابع مضمومة والحفنة القليل والعطاء كذا ملء الكف في القاموس

ليلة رسول الرشيد يستعجله فخاف ابو يوسف
على نفسه فلبس ازارا ومشى خائفا فلما دخل
سلم عليه فرد الجواب وادناه فعند ذلك سكنت
روعته فقال ان حليا لنا غابت من الدار فاتهمت
فيها جارية من جواري الدار من الخاصة فحلفت
لتصدقني او لاقتلنك وقد ندمت فاطلب لي
وجها فقال ابو يوسف رحمه الله فأذن لي في
الدخول عليها فاذن له فرأى جارية كأنها فلقة
قمر فاخلى المجلس ثم قال لها امعك الحلي فقالت لا
والله فقال احفظي ما اقول لك ولا تزيدي
عليه ولا تنقصي عنه فاذا دعاك الخليفة وقال
لك اسرقت الحلي فقولي نعم فاذا قال لك هاتها
فقولي ما سرقتها ثم خرج ابو يوسف الى مجلس الرشيد
وامر باحضار الجارية فحضرت فقال للخليفة سلها
عن الحلي فقال الخليفة اسرقت الحلي فقالت نعم
فقال لها فهاتها قالت لا سرقتها والله قال ابو
يوسف قد صدقت يا امير المؤمنين في الاقرار

وخرج من اليمين وسكن غضب الرشيد وامر
ان يحمل الى دار ابي يوسف مائة الف درهم فقالوا
ان الخزان غيب فليؤخذ ذلك الى الغد فقال ان
القاضي اعتقنا الليلة فلا يؤخر صلته الى الغد
فامر حتى حمل عشر بدر مع ابي يوسف الى منزله
وفي التفسير الكبير ايضا اعرابي قصد الحسين بن
علي رضي الله عنهما فسلم عليه وسأله حاجة قال
سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسألوها
من احد اربعة اما اعرابيا شريفا او مولى كريما
او حامل القرآن او صاحب وجه صبيح فاما
العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدأبكم وسيرتكم
واما القرآن ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين
فقال الحسين ما حاجتك فكتبها على الارض فقال
الحسين سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرئ ما يحسن
وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة فاسألك

عن ثلث مسائل ان في جواب واحدة فلك ثلث ما
عندي وان اجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندي
وان اجبت عن الثلثة فلك كل ما عندي وقد حمل
اليه صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة
الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي
الايمان بالله قال فما نجاة العبد من الهلكة قال
الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم
قال فان اخطأه ذلك قال فمال معه كرم قال
فان اخطأه ذلك قال ففقر معه صبر قال فان اخطأ
ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك
الحسين رضي الله عنه ورمى بالصرة اليه وقال
النخعي بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مصدقين
فابطأوا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاؤا
بالصدقات فقام فيها متزرا بعباءة يختلف في
اولها واخرها يقول هذه لآل فلان وهذه لآل
فلان حتى انتصف النهار وقال الحسن ان عمر بن
الخطاب بينما هو يعس في المدينة بالليل اتى على امرأة

من الانصار تحمل قربة فسألها فذكرت ان لها
عيالا وان ليس لها خادم وانها تخرج بالليل فتسقيهم
الماء وتكره ان تخرج بالنهار فحمل عمر رضي الله عنه
القربة عنها حتى بلغ منزلها وقال اغد على عمر غدوة
يخدمك خادما قال لا اصل اليه قال انك ستجدينه
ان شاء الله فغدت عليه فاذا هي به فعرفته انه الذي
حمل القربة وقيل لما طاف عمر رضي الله عنه مملكة
الاسلام حتى نزل حمصا فقال اكتبوا الى فقراءهم
فرفعوا اليه الرقعة فاذا فيها سعيد بن عامر قال
من سعيد بن عامر قالوا اميرنا فتعجب عمر وقال
كيف يكون اميركم فقيرا قالوا انه لا يمسك شيئا
فبكى عمر وبعث اليه بالف دينار يستعين بها في
حاجته فجعل يسترجع فعرض جيشا من جيوش المسلمين
فامضاها كلها وروى ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه صر اربعمائة دينار وقال للغلام اذهب
بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تلكأ في البيت ساعة
حتى ترى ما يصنع فذهب بها الغلام اليه وقال

يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في بعض
حاجتك قال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي
يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه
الخمسة الى فلان حتى انفدها ورجع الغلام الى
عمر واخبره ووجده قد اعد مثلها لمعاذ بن
جبل فقال اذهب بها اليه وقال ان امير المؤمنين
يقول لك اجعل هذه في حاجتك فقال رحمه الله
ووصله ثم قال يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا
والى بيت فلان بكذا فقالت امرأته ونحن والله
مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران
فرمى بهما اليها فرجع الغلام فاخبر بذلك عمر
فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض وكان
ابن ابي داود الوزير واسع النفس مبسوط اليدين
يعطي الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤالا و
يبتدئ بالنوال فقال له الواثق يوما قد بلغني
بسط يديك بالعطاء فهذا يتلف بيوت الاموال
فاطرق ساعة ثم قال يا امير المؤمنين ذخائر

اجودها واصلة اليك ومفاتيح حسناتها موصولة
لديك وانما يسعى في ايصال الثناء اليك
فقال الواثق لله انت جد بالعطاء واكثر الشكر
والثناء واعلم ان الحق احق ان يتبع وتفكر
ان في الخيرات والحسنات عز الدنيا وشرف
الاخرى وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانك
لم تجد شيئا تبقى على الدهر الا الذكر حسنا
كان او قبيحا فانتهز فرصة الدهر ومساعدة
الدنيا وفوز الامر وقدم لنفسك كما قدم من
تقدمك بالحسنات تذكر بالصالحات كما ذكروا
وادخر لنفسك في الاخرى كما ادخروا فان
المأكول المرغوب لبدنك والموهوب المحبوب
لمعادك فبناء ما يحتاج اليها في معمورة الارض
من الخيرات الحسان كالقناطر والخانات
والعيون والرباطات لزهاد طلبة العلم باحسن
بنيان مرفوع قدره عظيم اجره وبانيه مذكور
وسعيه مشكور واهاليه يمشون فيه ويستريحون

ويتقلبون ففي مثل هذا فليتنافس المتنافسون
ولمثل هذا فليعمل العاملون الباب الثالث
في تذكيرهم برفق وفيه فصلان الفصل
الاول في الكلمات النافعة اعلم ان الكلمات
النافعة المستحسنة عند العقلاء كالجواهر النفيسة
فكما ان الجواهر النفيسة مرغوبة ومطلوبة في
اي محل وجدت كذلك الكلمات النافعة المستحسنة
مرغوبة ومطلوبة من اي متكلم صدرت يحكى
انه مر بعض الملوك بغلام يسوق حمارا غير منبعث
وقد عنف عليه في السوق فقال يا غلام ارفق
فقال الغلام ايها الملك في الرفق به مضرة عليه
قال ولم قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفي
العنف احسان اليه يخف حمله ويطول اكله
فاعجب الملك كلامه فقال له قد امرت لك بالف
درهم قال رزق مقدور وواهب مشكور قال
وقد امرت لك باثبات اسمك في حشمي قال كفيت
مؤنة ورزقت لها معونة وتكلم معه كثيرا

وقال لولا انك حديث السن لاستوزرتك
قال لن يعدم الفضل من رزق العدل والعقل
قال فهل يصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم
بعد التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها
قال فاستوزره فوجد ذا رأي صيب وفهم وجيد
ومشورة تقع مواقع التوفيق وقال الفضل
كان عندي رسول ملك الخزر فكان يحدثني
عن اخت الملك العاقلة الرشيدة قال اصابتنا
سنة احتزم علينا شواظها بحرارة المصائب
وهتوف الآفات ففزع الناس الى الملك فلم يدر
ما يجيبهم به قالت له اخته ايها الملك ان
الحزم علق لا يخلق جديده ولا يمتهن عزيزه و
هو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجره
عن استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك
بفضل العجز عن الالتجاء الى من لا تزيده الاساءة
الخلقة عزا ولا ينقصه العود بالاحسان
اليهم ملكا وما احد اولى بحفظ الوصية من الموصى

الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة كذا في القاموس

ولا بركوب الذلالة من الدال ولا يحسن الرعاية
من الراعي ولم تزل في نعمة لم تغيرها نقمة وفي دعة
لم يكدره سخط الى ان جرى القدر بما غشى عنه البصر
وذهل عنه الحذر فسلب عنه الموهوب والسالب
هو الواهب فعد اليه بشكر النعم وعذر من جميع
النقم فمتى تنسه ينسك ولا تجعلن الحياء من التذلل
للمعز المذل شكرا منك ومن رعيتك فتستحي
مذموم العاقبة ولكن مرهم ونفسك بصرف القلوب
الى الاقرار له بكنه القدرة وتذليل الالسن بالدعاء
بمحض التشكر له فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه
من سيء فعل الى صالح عمل او ليبعثه على دؤب
شكر يحوز به فضل آخر فامرها الملك ان تقوم فيهم
فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه
وقد علم الله قبول الوعظ في الامر والنهي فحال عليهم
الحول وما منهم مفتقد نعمة كان سلبها الا وتوفر
عليهم الزيادات بجميع الصنع فاعترف الملك لها
بالفضل فقلدها الملك وجمع الرعية على الطاعة

لها في المحبوب والمكروه فهكذا فعل الله باعدائه
لما شكروه اعادهم من نعمته ما كان استرجع
وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف من يوحده و
يؤمن به لو صدقت النيات وصحت الاقوال مع مطابقة
الافعال فالله تبارك وتعالى ينظر الى السرائر المستورة
ويعلم رجوع الضمائر المستترة ويحكى ان وجه انو
شروان رسولا الى ملك قد اجمع على محاربته وامره
ان يتعرف بسيرته في نفسه ورعيته فرجع اليه
وقال وجدت عنده الهزل اقوى من الجد والكذب
اكثر من الصدق والجور اوقع من العدل فقال انو
شروان رزقت الظفر به سر اليه ولكن عملك في
محاربته بما هو عنده اضعف واقل واوضع فانك
منصور وهو مخذول فسار اليه فظفر فاستولى على
مملكته وقال بعض الحكماء المزاح آفة الجد والكذب
عدو الصدق والجور مفسدة الملك فاذا استعمل الملك
الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب الكذب استخف
به واذا اظهر الجور فسد سلطانه وكان نقش خاتم

بعض الملوك الهزل مبغضة والكذب منقصة
والجور مفسدة وقيل لبعض الحكماء ما قيمة
الصدق قال الخلد في الدنيا قيل فما قيمة الكذب
قال موت عاجل قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد
قال فما قيمة الجور قيل ذل الحياة قيل سأل ملك
الهند الاسكندر وقد دخل بلاده ما علامة الملك
ودولته قال الجد في كل الامور قال فما علامة
زواله قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال
الرضاء بما رزقت قال فما غمها قال الحرص على
ما لعلك تناله وقال الاسكندر لبعض الحكماء
واراد سفرا ارشدني لاحزم امري قال لا تمكن
قلبك محبة الشيء ولا يستولي عليك بغضه واجعلهما
قصدا فان القلب كاسمه يتقلب وله خاصية من التقلب
ينزع ويرجع واجعل وزيرك التثبت وسميرك التيقظ
ولا تقدم الا بعد المشورة فانها نعم الدليل وقال
الفضل بن مروان سألت رسول ملك الروم عن
سيرة ملكهم فقال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت

عليه القلوب رغبة ورهبة لا ينهض جنده ولا يخرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان في يده قلت فكيف حكمه قال يرد الظلم ويروع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب فتغضي له العيون قال فحدثت المأمون بهذا الحديث فاستحسنه وامر له بعطية وسئل واحد من الحكماء عن العقل قال ترك ما لا يعني قيل فما الحزم قال انتهاز الفرصة قيل فما الحلم قال العفو عند القدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مفرط وبغض مفرط وسئل آخر عن الحزم قال سوء الظن قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض وقوله الحزم سوء الظن انما اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره و اوصى حكيم ابنه ودعا له فقال يا بني رزقك الله

جدا يخدمه ذوو العقول ولا رزق عقلا تخدمه ذوو الجدود فانظر كيف يخدم بالاحسان ذوي الجدود الى ذوي العقول وكيف يصير احرار الانسان عبيد الاحسان ولا تظنن ان الاعطاء والاحسان يخالف الطلب والاخذ ونحوه اذ الاحسان انواع تارة يكون بالطلب فيما يستحسنه الشرع وتارة بالمنع وتارة بالاخذ وتارة بالاعطاء على حسب ما يقتضيه الشرع فزمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض اقل من التوفيق فكن على كل حال طالبا التوفيق من الله تعالى قال بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه صائر الى اخلاق الحشرات من الحيوان ثم جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما ارجح مما حمل في الاخر سقط في حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا فيه مثلا عجيبا وقالوا ان اعمى

ومقعدًا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى
ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل
يوم احتسابا قوتهما من الطعام والشراب فلم
يزالا في عافية الى ان غاب المحتسب فلبثا بعده
اياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده
فاجمع رأيهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله
المقعد على الطريق ببصره ويستقل الاعمى بحمل
المقعد فيدوران في القرية يستطعمان اهلها ففعلا
فصح امرهما ولو لم يفعلا لهلكا فكذلك القدر سببه
الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما
معين لصاحبه هذا قيل لا تدعن الطلب اتكالا
على القدر ولا تجهدن نفسك في الطلب معتمدا عليه
مستهينا بالقدر واما ما ورد في القرآن العظيم
والاحاديث الرسول من الامر بالتوكل على الله والتسليم
والتفويض فالمراد منه عدم الاعتماد على الاسباب
ومن ذلك ان سليمان الخواص تلا يوما قوله تعالى
وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال لما ينبغي لاحد

بعد هذه الاية ان يلجأ الى احد غير الله تعالى
فمعناه لا يلجأ الى الاسباب اعتمادا على الاسباب
ولكن يلجأ اليها واثقا بان الله تعالى يفعل ما
يشاء كما امر النبي صلى الله عليه وسلم بعقل
الناقة ولبس صلى الله عليه وسلم درعين الا
ترى ان من يطلب الزرع والولد ثم قعد في بيته
ولم يطأ زوجته ولا بذر ارضه معتمدا على
الله تعالى واثقا به ان تلد امرأته من غير وقاع
وتنبت ارضه الزرع من غير بذار كان عن المعقول
خارجا وفي تيه الجهل والحمق قال انس رضي الله
عنه جاء رجل على ناقة له فقال يا رسول الله
ادعها واتوكل فقال اعقلها وتوكل فمن رام امرا
من الامور فليس الطريق في تحصيله ان يغلق بابه
عليه ويفوض امره الى ربه وينتظر حصول ذلك
الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي
شرعه الله تعالى من المشاورة باهله وغيرها
وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين

والبز الثياب والسلاح ودرع الحديد
كالبزة بالكسر ويقال للسلاح
ايضا بزة بالكسر

واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويحترس
من العدو واقام الرماة يوم احد يحفظوه من
خالد بن الوليد وكان يبعث الجيوش ويأمرهم و
ينهاهم بما فيه مصالحهم وتداوى وامر بالمداواة
وقال انزل الله الدواء الذي انزل الداء واما ما روي
من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى
واكتوى فقد برئ من التوكل فقالوا ان معناه من
استرقى واكتوى متوكلا على الرقية والكي وان البرء
من قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل ان كان
هذا على سبيل الغفلة لا على الاعتقاد وكيف يعتقد
المؤمن وهو مؤمن بمثل هذا الاعتقاد فالمؤمن
باشر الاسباب والادوية وتعاطى تدبير الامور
بنفسه واعوانه وماله على ما جرت به سيرة الله
تعالى في ارضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء
من ذلك بل هو واثق القلب ان ما حصل فبتقديره
وما تعسر فبتدبيره ومعتمده في ذلك على المسبب
لا على الاسباب فهذا هو التوكل لكن من شرطه

ان يمشي في ذلك كله مع الامر المشروع ولا يسلك
طريقا فيه معصية فليس يستدر ما عند الله
بمعاصيه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من
ابتغى امرا بمعصية الله كان ابعد لما رجا و
اخوف لمجيء ما اتقى وقال صلى الله عليه وسلم
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فلم تحمل
اليه ارزاقها في اوكارها بل الهمها طلبها بالغدو
والرواح فالرجل العاقل يتوكل على الله تعالى على
ما ينبغي ولا يسند شيئا مما يفعله الى نفسه
قال رجل من الخوارج لعلي بن ابي طالب كرم الله
وجهه ارايت من جنبني سبل الهدى وسلكني في
سبيل الردى احسن الي ام اساء فقال علي ان
كنت قد استوجبت عليه حقا هو يفعل ما يشاء
وروي ان نبيا من انبياء الله تعالى مر بفخ
منصوب واذا طائر قريب منه فقال الطائر
متفخرا بادراكي واعتمادا عليه يا نبي الله هل رأيت

اقل عقلاً من هذا نصب هذا الفخ ليصيدني
فيه وانا انظر اليه قال فذهب ثم رجع فاذا
الطائر في الفخ قال له عجباً لك الست القائل
انفاً كذا وكذا فقال يا نبي الله اذا جاء الحين
لم يبق اذن ولا عين

الفصل الثاني

في حكم منثورة اعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب
وللايام غدرات فكن على حذر وللاقدار لفتات
فاستعد لها وللزمان منقلب لواتي فاحذر دولته
وخف سطوته فاترك ما لا يعنيك ان التمس الراحة
لنفسك اذ لم يكن وهو علك من شيء اضر عليك
من لسانك ولا تعص ربك وتب حتى لا يأتيك
مضرة وداء وافر واطفئ نار غضبك فان احد
اذا تمكن منك ولا يزاحمك مضايق سوء الخلق
فاعدى الاعداء اليك نفسك اذا جهلت فاحترس
لنفسك بنفسك واجعل واعظك شيبتك وناصحك
فكرتك ولا تكن عبداً لهواك واستضئ بنور الهدى
فتكون حراً فاذا عرفت هذا تعرف ان من لم يداو

نفسه من سقام الآثام في ايام حياته فما ابعده
من الشفاء ومن اذل حواسه واستعبدها فيما
تقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر نبله ومن
لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه
وهي خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها صعب
عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم فكانت عامة
الرعية في اقاصي البلاد واطراف المملكة ابعد
من الضبط فليبدأ الملك بسلطانه على نفسه فليس
من عدو احق ان يبدأه بالقهر من نفسه ثم يشرع
في قهر حواسه الخمس لان قوة الواحدة منهن
دون صواحباتها وقد تأتي على النفس القوية
الحذرة فكيف اذا اجتمعت خمس على نفس واحدة
فان لكل واحدة منهن شراً ليس للاخرى فمن
قهرها سلم من شرها ثم الرعية تستظهر الى الملك
العادل الغوث استظهار اهل الجدب الى الغيث
ويتعيشون بطاعته عليهم كانتعاش النبت بما
يناله من القطر بل الرعية بالملك العادل اعم

نفعاً منها بالغيث لان منفعة الغيث وقتاً معلوماً
وعدل الملك على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن
بالملك ان يشبه تصاريف تدبيره بطباع ثمانية
اشياء منها الغيث والشمس والقمر والريح والنار
والارض والماء والمجازاة بعد الموت اما شبهه
بالغيث فتواتره في اربعة اشهر من السنة ومنفعته
لجميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطي عبيده و
اعوانه في اربعة اشهر تقديراً لتتمة السنة فيجعل
رفيعهم ووضيعهم في الحق الذي يستوجبونه بمنزلة
واحدة كما يسوي المطر لسنة بين كل اكمة مشرفة
وغائص وينمو كله من مائه على قدر حاجته ثم يستجبي
الملك في الثمانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم
كما يجتذب الشمس بحرها وحدته فعلها نداوة الغيث
في الاربعة اشهر واما شبهه بالريح فان الريح
لطيفة المداخل فتولج بواطن الابدان فينبغي للملك
ان يكون له جواسيس فيتولج على قلوب الناس
بجواسيسه وعيونه لا يختفون عنه بشيء حتى

يعرف ما يأتمرون به في بيوتهم واسواقهم واما
شبهه بالقمر فان القمر اذا استهل لتمامه فاضا
واعتدل نوره على الخلق وعم الناس بضوءه
فينبغي ان يكون بهجة الملك وزينته واشراقه
في مجلسه وايناسه رعيته في نشره ولا يخص
شريفاً دون وضيع ببذله واما شبهه بالارض
ففي كتمانه السر والاحتمال والصبر واما شبهه
بالنار فعلى اهل الفساد واما شبهه بعاقبة
الموت ففي المجازات حيث يكون عقابه لا يقصر
عن اقامة حد ولا يتجاوزه واما شبهه بالماء
ففي لينه لمن لاينه وهدمه البيوت واقلاعه
الصخر لمن خادبه واعلم انه يكتفي السلطان ان
يستتبع من شرار الناس والاعوان على الحاجة
اليهم فيقتلهم بسطوته وينتفع بهم اذ لا يقرب
منه الاعداء كالحيات تكتنف الصندل فيقتلها
الصندل بطيب رائحته وبرده ويبسه وينتفع
الصندل بها اذ لا يقرب منه من يريد قطعه

وفي مثل هذا قال العرب لا تكن حلواً فتؤكل
ولا مراً فتلفظ واجعل لكل طبقة من اعدائك
اشباههم من اعوانك تسوسهم فانهم كالماء
في الاذن لا حيلة في اخراجه ادفق من الماء الذي
هو من جنسه فالسيف القاتل من جنس الدرع
الواقي فتدبير الملك الحازم لسلطانه كتعاهد
صاحب البستان يخرج باجل عيدانه وشوك شجره
فيحيط به ثمره وزرعه ليقيه من الشر والفساد
كما ينتخب الملوك لاهل الشكيمة والبسالة فيجعلهم
في اقاصيه وحدوده رداً للهلكة ومن تدبيره
ايضاً المعاملة بالمجاملة والعدل والاحسان
وليس بسلطان من ليس له اعوان ومن تدبيره استماع
الحكم وقبولها ومن الحكم ان من الكرم لين الشيم
اياك والخديعة فانها خلق اللئيم اكرم الصنايع
سلامة الصدر فلن تسلم من الناس حتى يسلموا
منك من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب
لم يجز صدقه اغتفر زلة صديقك تكن مغتفراً

ليس الرجل من كان يعبد هواه من خاف دبر
كف ظلمه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل
مصادقة الكرام غنيمة ومصادقة اللئام ندامة
من كان الناس عنده سواء لم يكن له اصدقاء
من سالم الناس غنم ومن سفه يقطع مودة لم
تزل ويكسب عداوة لم تكن فلا قوي اقوى ممن قوي
على نفسه ولا عاجز اعجز ممن عجز عنها فاعلم
ان الله سبحانه وتعالى قد يعامل اولياءه
واصفياءه باعدائه ويضطر اولياءه واحبّاءه
الى اعدائه تمحيصاً لهفوات اوليائه ورفعة و
ذخيرة لهم عنده وزلفى لديه قال الله تعالى
تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم لعظم ما كان
يلقاه من سطوة اعدائه وكذلك جعلنا لكل
نبي عدواً من المجرمين وقال سبحانه جل شانه
وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس
والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غروراً فما ابتليت به من المكاره اما لرفع درجة

وتمحيص سيئة وبلوغ فضيلة واما العقوبة لانها
حرمة واقتراف معصية وكان جعفر بن محمد
اذا وقع في شيء يكرهه قال اللهم اجعله ادبا
ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم لو كان المؤمن في رأس جبل لقيض الله
له منافقا يؤذيه قال بعض العرفاء الذي رأينا
ما نحب في ما نكره اكثر مما رأينا ما نحب فيما نحب
فاسعد الناس من كان القضاء له مساعدا وكان
لساعدته اهلا وكان انجح ما في هذا الانسان قلبه
ولله موارد من الحكمة واضداد من خلافها فان
سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع
اهلكه الحرص وان تملكه اليأس قتله الاسف
وان عرض له الغضب استبد بالغيظ وان استعد
بالرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر
وان استعلى له الامر استلبته العزة وان حدثت له
النعمة اخذته العزة وان امتحن بمصيبة فضحه الجزع
وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة

شغلته وان جهد به الجوع قعد به الضعف و
ان افرط في الشبع لظته البطنة فكل تقصير
وتفريط به مضر وكل افراط له مفسد علامة
العلم التعلم لا تفخروا حتى تفعلوا ولا تأنفوا حتى
تعلموا قصص الاولين مواعظ الاخرين ليس
مع الطمع عزة ولا مع الحسد سرور ولا مع
الحرص راحة ولا مع السخط غنا ويروى ان امرأة
العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك
خزائن الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا
الملوك عبيدا والصبر والتقى صيرا العبيد ملوكا
فقال يوسف عليه السلام قال الله عز وجل
انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
قال جعفر الصادق عجبت لمن ابتلي باربع كيف
يغفل عن اربع من ابتلي بالضر كيف يذهب عنه
ان يقول رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
والله تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به من
ضر وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف يذهب عنه ان

يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم
وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن خاف كيف يذهب
عنه ان يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله
تعالى يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم
يمسسهم سوء وعجبت لمن يكربه امر فكيف يذهب عنه
ان يقول وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد
والله تعالى يقول فوقيه الله سيئات ما مكروا
وعجبت لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها
كيف يذهب عنه ان يقول ما شاء الله لا
قوة الا بالله فمن لم يقدر على جمع الفضائل
فلتكن فضائله ترك الرذائل ان لم تكن مليحا
تصلح فلا تكن ذئبا تفسد استصلاح بعض
العدو افضل من هلاكه من سعادة المرء ان
يطول عمره ويرى في عدوه ما يسره خير الكتب
ما اذا اعاد قارئ النظر فيه زاد حسنه او وقف
على ضده اذا فقد المتفضلون هلك المتحملون

اصلاح الرعية انفع من كثرة الجند فاذا عدل
الملك ملك قلوب الرعية واذا جار لم يملك منهم
الا الرياء والتصنع خير ما لك ما اغناك
وخير منه ما وقاك القليل من الملك كالكثير
من غيره عطاء الملك زينة وسؤاله شرف
فاستدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو و
الطاعة بالتالف والنصر بالتواصل لله وارحم
للخلق واعتبر فلم يحكم العقول حاكم كالدهر ولم
يحكمها محكم كالتجربة فمن عاب سائلا فقد فجعه
ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه بالكلام يعرف
فضل العقل كما بالرسول يعرف قدر المرسل
فملاك امركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم
الادب وحصون اعراضكم الحلم الاشرار يتبعون
مساوي الناس ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع
الذباب المواضع المعتلة من الجسد العقل افقر
الى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام والشراب
الظرف فطنة مازجها عبارة مع حذر وملق

شر العيوب ما كان مظنة للعيوب وشر العيوب
ما كان علة للذنوب عامة الاشرار من خالطهم
لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفون عنه شرهم
واما الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن خالفهم
ترك رشده فما عدمنا اهل الحجا من كان من اهل
الهوى ولا من اهل التقى من حاد عن سبيل الهدى
الحكمة ربيع القلوب الخصومة تكشف العورة
وتورث المعرة قد يكون اليأس ادراكا اذا كان
الطمع هلاكا لا تغترن بقول الجاهل ان في يدك
لؤلؤة وانت تعلم انها جلجلة فالكريم لا يستحي
من اعطاء القليل من اعظم الناس محنة من قل
ماله وكثر مجده الكرم حسن العطية والعفاف
زينة الفقر واللؤم سوء التعامل والطمع لمساوي
العيوب يجمع وهو زمام يقاد به الى كل سوء
ليست البركة من الكثرة لكن الكثرة من البركة
قيل لحكيم ما لكم لا تعاقبون الجهال قال لانا
لا نريد من العميان ان يبصروا ومن بذر عداوة

الحجب الحرص الضغن والامر الغضب
والغباء العظيم
المساوي مرتب

154

حصد ندامة اياكم وطلب الامور بغير وجهها
فيعيبكم طلبها ولا تدركوا حظا منها قيل لحكيم
اخرج الهم من قلبك قال ليس باذني دخل من عز
بحاله قصر في احتياله قال الشعبي رحمه الله ما
رأيت الله سبحانه وتعالى اعطى عباده اجل من
العلم ما اعتق من الذم من ملكه الجهل ولا ظفر
بالعز من احتمل ما في المعصية من الذل ولا خرج
عن الدناءة من جمع عقله الى الدنيا حاول الامور
بالنصفة وانا زعيم لك بالظفر افسد الدين رجلان
جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو الناس الى
جهله بنسكه وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه
فمن لزم الصحة والاستقامة لزمته الغبطة
والسلامة العمل النافذ بالرجل المدرك كبهاء
الياقوت واللؤلؤ في تيجان الملوك اذا صح القلب
مع العمل كان التوفيق والتوفيق خير قائد فالتوفيق
ادرك من رفق في استتمام الحظ ما ابتغى فلو
تنظر الى احد في الموضع الذي رتبه فيه زمانه

ولكن انظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانة
الطبيعي قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمس
من لم تكن فيه فلا ترجه لشيء من امر الدنيا
والاخرة من لم يعرف بالوثيقة في ازومته والديانة (اي شدة)
في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه والمخافة
عند ربه فانظر كيف يكون ما قاله رضي الله عنه
وفقا في التذكير وكيف يكون جامعا في الموعظة
لمن كان كريما بالطبع فاجتهد ان تكون متعظا
به وبما سبق من المواعظ والحكم والله تعالى يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم **الباب**
الرابع في ترك الخروج عليهم روى البخاري عن
عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيما اخذ
علينا ان بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا
ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وان لا ننازع الامر
اهله الا ان تروا كفرا بواحا يكون عندكم فيه برهان
من الله ومنه قال ابن مسعود رضي الله عنه
من البخاري

قال النبي صلى الله عليه وسلم انكم سترون
بعدي اثرة واموراً تنكرونها قالوا فما تأمرنا
يا رسول الله قال ادوا اليهم حقهم واسئلوا الله
حقكم وفي سنن ابي داود يطلبون منكم ما لا يجب
عليكم فاذا قالوا ذلك فاعطوهم ولا تسبوهم
ولتدعوا لهم قال صاحب الكشاف في تفسير
قوله تعالى قل اللهم مالك الملك وفي بعض الكتب
انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة
وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة
فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى
اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه الصلوة
والسلام كما تكونوا يولى عليكم وقال مالك بن
دينار وفي بعض الكتب ابن آدم تدعو على من ظلمك
ويدعوا عليك من ظلمته فان شئت اجبناك
واجبنا عليك وان شئت اخرت الامر الى يوم
القيمة فيسعكم العفو فاذا قال المظلوم في دعائه

اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه وساير
الرعية لان من قلة توفيقه ظلمك ولو كان
موفقا لما ظلمك وان استجيب دعاؤك او ظلمه
وقد روى عن السلف الصالحين قولهم لو كانت
لنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا فى السلطان
وروى عن الفضيل رحمه الله انه قال لو ظفرت
ببيت المال لاخذت من حلاله وصنعت اطيب
الطعام ثم دعوت الصالحين والفضلاء من الاخيار
والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندع ربنا
فى ان يوفق سلطاننا وساير من يلى علينا وجعل
اليه امرنا فكل عالم عامل خير بل كل عاقل متمكن
فى مملكته ومن يأكل من بيوت اموال المسلمين
يفعل هكذا فى كل يوم وروى ان رجلا من العقلاء
غضب بعض الولاة ضيعته فاستعدى عليه المنصور
فقال اصلحك الله اذكر لك حاجتى ام اضرب قبلها
مثلا قال بل اضرب مثلك قال اصلحك الله ان
الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانما يفر الى

يقال استعداه اى استغاثه واستنصره منه

امه اذ لا يعرف غيرها فطالما ترى منه انه لا ناصر
فوقها فاذا ترعرع واشتد فاوذى كان فراره
وشكاؤه الى ابيه لعلمه ان اباه اقوى من امه
فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه امر شكا الى الوالى
لعلمه بانه اقوى من ابيه فاذا زاد عقله واشتد
شكيمته شكا الى السلطان لعلمه بانه اقوى ممن
سواه فان لم ينصفه السلطان شكا الى الله جل جلاله
لعلمه بانه اقوى من السلطان وقد نزلت بى نازلة
وليس فوقك احد اقوى منك الا الله تعالى فان
انصفتنى والا رفعت امرى الى الله تعالى فى الموسم
فانى متوجه الى بيته وحرمه اذ ليس فوقك
احد الا الله تعالى قال ننصفك وامر ان يكتب
الى واليه رد ضيعته اليه وكان يقال لما انكرت
من زمانك فانما افسده عملك وقال واحد
من العلماء لم ازل اسمع الناس يقولون اعمالكم
عمالكم كما تكونوا يولى عليكم حتى ظفرت بها
فى القرآن قال الله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين

بعضا بما كانوا يكسبون قال عبد الملك بن مروان
انصفونا يا معشر الرعية تريدون منا سيرة
ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا تسيرون فينا
وفي انفسكم بسيرتهما فنسأل الله تعالى ان يعين
كلا على كل وقال قتادة اوحى الله تعالى الى بعض
انبيائهم اذا استعملت عليكم خياركم فقد رضيت
عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت
عليكم وقال عبيدة السلماني لعلي بن ابي طالب
كرم الله وجهه يا امير المؤمنين ما بال ابي بكر
وعمر انطاع الناس لهما والدنيا عليهما اضيق
من شبر واتسعت عليهما ووليت انت وعثمان
الخلافة فلم ينطاعوا لكما فصارت عليكما اضيق
من شبر فقال لان رعية ابي بكر وعمر كانوا مثلي
ومثل عثمان ورعيتي انا اليوم مثلك وشبهك
وكتب واحد من هؤلاء الكبار في جواب مكتوب بلغني
كتابك تذكر ما انتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية
ان ينكر العقوبة وما ارى ما انتم عليه الا من شوم

الذنب والسلام **فصل** في بيان الخصلة
التي بها تصلح الرعية فاقوى خصال السلطان
اثرا في تمسكهم باديانهم وحفظهم لمروآتهم
اصلاح السلطان نفسه وتنزيهه عن سفساف
الاخلاق بان يبعد عن اصحابه وترفيعه نفسه
عن استصحابهم ومن اصحابه اهل البطالة و
المجون واللعب واللهو وقد كان اطلق السنة
الخلق بالثناء القبيح عن نفس الخليفة الامين
لصحبته بابي نواس فكانت وصمة عظيمة عليه
حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتنكرت عليه
وجوه الورى فمتى اراد السلطان اصلاح رعيته
وهو متماد على الاخلاق المنعكسة من اصحاب
سفساف الاخلاق كان اراد استقامة الجسم
مع عدم صحة رأسه وكمن اراد تقويم الظل مع
اعوجاج الشخص وكيف يحيى النون مع فساد
الماء قال بعض الحكماء بم ينتقم الانسان من
عدوه قال باصلاح نفسه وقديما قيل من اصلح نفسه

ارغم انف اعاديه ومن اعمل جده بلغ كنه اماناته
فصحبة الاشرار والاسافل تورث الشر كالريح
اذا مرت على النتن حملت نتنا واذا مرت على الطيب
حملت طيبا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
فمحال استصلاح رعيتك وانت مع المفسدين
وارشادهم وانت مع الغاوين وهدايتهم وانت
مع الضالين وقد سبق المثل ومن العجايب اعمش
كحال والعرب يقول يا طبيب طب نفسك وكيف
يقلد الاعمى على ان يهدى والفقير على ان يغنى
والذليل على ان يعز قيل لن يبلغ الف رجل في صلاح
رجل واحد بحسن القول دون حسن الفعل ما
يبلغ رجل واحد في اصلاح الف رجل بحسن الفعل
دون القول ولكن اقوى الاسباب في صلاحهم
عند فوت صلاحه استعمال اولى الامر والولاة
عليهم الخاصة من ذوى الاحلام الراجحة والمروات
القائمة فهو الطريق الى حفظ اديانهم ومرواتهم
وتماسكهم عن الانهماك في المحظورات وملابسة

المحرمات ويقال خلتان في السلطان اقرب
الى اصلاح الرعية من سواهما انفة الرأى
وشدة الرحمة وما احق السلطان ان يسلك
بالرعية كل مسلك يصلحون عليه ويسيرون
معه ثم يكون رئيس الرؤساء واميرا على السادة
الفضلاء وان اهملهم في ركوب شهواتهم و
توسط لذاتهم ذهبت اديانهم وسقطت مرواتهم
وبقوا في الجماعة المذمومة كما جاء المثل يقول
العرب في قوم لا رؤساء فيهم ولا سراه بينهم
هم سواسية كاسنان المشط ولان تكون اميرا
على الفضلاء والرؤساء خير من ان تكون اميرا
على الرمادية والذباب وقد قال عبد الملك بن
مروان يوما وقد استقام له الامر من بعد دني
من عبد الله بن عمر فانه ابى ان يدخل في سلطانه
فقال لبعض جلسائه تستحضره وتضرب عنقه
وتستريح منه فقال له عبد الملك ويلك ان قتلت
ابن عمر فعلى من اكون اميرا قيل للاسكندر اتصلح

الرعية واذهب شرهم تكن رئيسا لاخيار محمودين ولا تكن رئيسا لاشرار مذمومين فتكون كراعي البقر ولما استولى تبع على ملك الهند بغير طاعة قال له قد وهبتك لقومك ووهبتهم لك فانزلهم منازلهم وبلغهم مراتبهم فكل امة لم تبلغ مراتبها وغلت صدورها ووغرت قلوبها فاستحقت فتكها وبان عليها اعمارها وملك امورها شرارها وانت تعلم بهم فمن اطناب المملكة وقواعدها ان لا يسلب عمن يستحق الرياسة رياسته ويلقى على كل ذي عز عزه وينزل كل ذي منزل منزلته فح تامن من نوائب الاعداء التي هي نتايج الضغائن والاحقاد اعلم ان الرعية اذا قدرت ان تقول قدرت على ان تفعل فاجتهد ان لا تقول تسلم من ان تفعل يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشيء وما احسن ما قال عبد الملك ابن مروان يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم

والظليم ذكر النعام قاموس

الرائح على فراخه ينفي عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم من الضباب ويحرسهم من الذباب ويا اهل الشام انتم العدة والحذا وانتم الجنة والرداء ويروى ان سليما مولى زياد فخر بزياد عند معاوية رضي الله عنه فقال معاوية اسكت فما ادرك صاحبك بسيفه الا ادركت اكثر عنه بلساني

الذى يتفتح الامور كذا في القاموس

فصل في بيان سيرة السلطان مع الجند اعلم ان الجند عدو الملك وحصونه ومعاقله واوتاده وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين فينبغي للملك ان يتفقد جنوده كتفقد صاحب البستان بستانه ويقلع العشب الذي لا ينفعه ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار ارزاقهم وسد حاجاتهم والمكافاة لهم على قدر غنائهم

وبلائهم قال بعض الملوك لابنه في نصيحته
له لا توسعن على جنودك فيستغنوا عنك و
لا تضيق عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء
قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع عليهم
في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء ولما
افضى الامر الى ابي جعفر المنصور انفذ جيشا
وقال لقواده سيروا على هذه السيرة ثم قال
صدق الاعرابي في قوله اجع كلبك يتبعك
فقام ابو العباس الطوسي فقال يا امير المؤمنين
اخاف ان يلوح له غيرك برغيف فيتبعه و
يدعك فالسمن الى عدم القدرة على الحركة
مضر كما ان الجوع المفرط مضر فعليك بميزان
العدل وكان بعض سلاطين المغرب يسير يوما
وبين يديه الوزير اذ نظر الى جماعة من التجار
فقال لوزيره اتحسب ان اولئك ثلاث طوايف
طائفة لهم الدنيا والاخرة وطائفة لهم دنيا
بلا آخرة وطائفة لا دنيا لهم ولا اخرة

فقال وكيف ذلك ايها الملك فقال اما الذين
لهم الدنيا والاخرة فهؤلاء التجار يكتسبون
اقواتهم من الحلال ويصلون صلاتهم ولا
يؤذون احدا واما الذين لا دنيا لهم ولا اخرة
فهؤلاء الشرطة والاعونة الذين بين ايدينا
واما الذين لهم الدنيا بلا اخرة فانا وانت
وسائر السلاطين الذين اتبعوا الشهوات و
تركوا العدل فخرجوا عن الصراط المستقيم فحق
على جميع الوزراء ان يمدوا السلطان بالمناصحات
ويخصوه بالدعوات ويعينوه في ساير المحاورات
والمحاولات ويكونوا له عينا ناظرة وايدي باطشة
وجنبا واقية والسنة ناطقة وقوادم ينهضه
وقوائم تقله ولما حج هرون الرشيد لقيه عبد
الله العمري في الطواف فقال له يا هرون قال
لبيك يا عم قال كم ترى ههنا من خلق قال لا
يحصيهم الا الله سبحانه وتعالى فقال اعلم ايها الرجل
ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه و

وانت وحدك تسأل عنهم فانظر كيف تكون فبكى
هرون فجعلوا يعطونه منديلا للدموع ويقال
ان هرون كان يقول والله انى لاحب ان احج
فى كل سنة وما يمنعنى الا رجل من ولد عمى يسمعنى
ما اكره وروى عن عبد الملك بن مروان انه لما
ولى الخلافة اخذ المصحف ووضعه فى حجره وقال
هذا فراق بينى وبينك والحاصل ان وجود السلطان
فى الارض نعمة على عباد الله تعالى جزيلة عظيمة
فشكر هذه النعمة لازم وواجب على كل مسلم ٥
بالدعاء له فى اكثر الاوقات وبطاعته ونصحه
ودلالته على الخير ان كان ذلك المسلم اهلا لذلك
وذلك لا يصلح الا باصلاح نفسه اولا بالعلم
والديانة والتقوى وينبغى للسلطان ان يستمر
على فطرته الاصلية فيلازم العدل والاحسان
ويتضرع الى الله سبحانه وتعالى فى الصباح ٥
والمساء ويدعو بالادعية المأثورة وفى احياء
العلوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا فاطمة ما يمنعك ان تسمعى ما اوصيك به ان
تقولى يا حى يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلنى
الى نفسى طرفة عين واصلح لى شانى كله وفيه
ايضا دعاء ابى بكر الصديق رضى الله عنه
علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر
الصديق رضى الله عنه ان تقول اللهم انى
اسألك بمحمد نبيك وابرهيم خليلك وموسى
كليمك وعيسى نجيك وروحك وبتوريه موسى
وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى
الله عليه وسلم وبكل وحى اوحيته وبكل قضاء
قضيته او سائل اعطيته او غنيا فقرته او — افقرته نخ
فقير اغنيته او ضال هديته واسألك باسمك
الذى تنبت به ارزاق العباد واسألك باسمك
الذى وضعته على الارض فاستقرت واسألك
باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت
واسألك باسمك الذى وضعته على الجبال
فرست واسألك باسمك الذى استقل به عرشك

وَاسألك باسمك الطّاهر الطّاهر الاحد الصمد
الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين
واسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار
وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور
وجهك ان ترزقنى القرآن والعلم وتخلطه بلحمى
ودمى وسمعى وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك
وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بك يا ارحم
الراحمين

الباب الخامس

فى دفعهم
عن الظلم بالتى هى احسن اعلم بان الظلم قبيح عقلاً
وشرعاً فما كان قبيحاً فى نفس الامر يكون سيئ
العاقبة فهو سيئ العاقبة البتة قال الله تعالى
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون فالكفر موقوف على
خلاف العقيدة وقال الله تعالى ولا تحسبن الله
غافلاً عما يعمل الظالمون وروى مسلم فى الصحيح

وفى المشارق روى مسلم عن ابى هريرة رض يا ابن ادم مرضت فلم تعدنى قال رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال ان عبدى فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتنى يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقنى قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى قال بعض الشارحين انما قال فى العيادة لوجدتنى وفى الاطعام والسقى لوجدت عندى اشارة الى ان الله تعالى قريب المنكسر المسكين انتهى

عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن
ربه سبحانه انه قال انى حرمت الظلم على نفسى
وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادى
كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى اهدكم
يا عبادى كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعمونى
اطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته
فاستكسونى اكسكم يا عبادى انكم تخطئون
بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعاً ه
فاستغفرونى اغفر لكم يا عبادى انكم لن تبلغوا
ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى
يا عبادى لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم
كانوا على اتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك فى
ملكى شيئاً يا عبادى لو ان اولكم واخركم وانسكم
وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد ما نقص
ذلك من ملكى شيئاً يا عبادى لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى
فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما

روى البخارى فى صحيحه انى حرمت الظلم على نفسى وعلى عبادى الا فلا تظالموا اى تقدست عن الظلم فى حقى لان الظلم هو التصرف فى ملك الغير او مجاوزة الحد وهذا محال فى حق الله تعالى لان العالم كله ملكه والمعنى تقدست وتعاليت عن الظلم فان قيل الحديث ينافى قوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة اجيب بان المراد من الحديث وصفهم بما كانوا عليه قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وانهم لو تركوا على الضلالة ونحو ان يكونوا ضالين لا انهم خلقوا على الضلالة ثم صاروا مهتدين كما ... ولدوا على الفطرة ثم على الفطرة قال ابن الملك والاوجه ان يراد انهم بعد ما ولدوا على الفطرة لو تركوا بما فى طباعهم من الشهوة واهمال النظر ضلوا

وقال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها

والضمير في انما هي للقصة يعني انما جزاء اعمالكم محفوظا عندي لاجلكم اوفيكم يعني اوديكم وافية اليكم [illegible] النقصان منه

واعلم ان التشبيه للمبالغة في [illegible] وادخال ما عند الله تعالى لا ينقص اصلا وعدم المخيط لا يخلو عن نقص بل في عدم ظهور النقص عليه عرفا وانما ضرب المثل به تقريبا للحال الى الافهام [illegible] من باب [illegible] كذا في شروح المشارق منه

عندي الا كما نقص المخيط اذا دخل البحر يا
عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم
اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير
ذلك فلا يلومن الا نفسه وقال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه يوم العدل على الظالم اشد من
يوم الجور على المظلوم وقال وهب بن منبه اوحى
الله تعالى الى داود اذا لم تكن ظالما فلا تصحب
الظالمين فتهون في عيني وقال الشعبي دخلت
يوما على يزيد بن هبيرة فوالله لقد اردت كلمة
ارضي بها اميري ولا اسخط خالقي فما قدرت
عليها وروي ان مالك بن دينار دخل على هلال
ابن ابي بردة فقال له هلال ادع الله لي يا ابا يحيى فقال
وما ينفعك دعائي وبالباب مأتان يدعون عليك
الله تعالى ومثل ذلك قول سليمان بن عبد الملك
لابي حازم ادع الله لي فقال انا ادعو الله لك
ههنا ومظلوم بالباب يدعو الله عليك فاي
الدعوتين احق بالاجابة وروي ان انوشروان

كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق
في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه
فحقد انوشروان عليه فلما ولي الملك قال له ما
حملك على ضربي يوم كذا وكذا ظلما قال لما
رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد ابيك
فاحببت ان اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم اذا
وليت وفي التفسير الكبير واعلم ان الواجبات
على قسمين حقوق الله تعالى وحقوق العباد
وحقوق الله تعالى مبناها على المسامحة لانه
تعالى غني عن العالمين اما حقوق العباد فهي
التي يجب الاحتراز عنها روي ان ابا حنيفة رضي
الله عنه كان له على بعض المجوس مال فذهب
الى داره ليطالبه به فلما وصل الى باب داره
وقع نعله على نجاسة فنفض نعله فارتفعت النجاسة
عن نعله ووقعت على حائط دار المجوسي فتحير
ابو حنيفة رحمه الله وقال ان تركتها كان ذلك
شيئا يقبح جدار ذلك المجوسي وان حككتها انحدر

التراب من الحائط فدق الباب فخرجت الجارية
فقال لها قولي لمولاك ان ابا حنيفة بالباب
فخرج اليه فظن انه يطالبه بالمال واخذ يعتذر
فقال ابو حنيفة رضي الله عنه ههنا ما هو اولى
وذكر قصة الجدار وانه كيف السبيل الى تطهيره
فقال المجوسي فانا ابدأ بتطهير نفسي فاسلم في الحال
والنكتة فيه ان ابا حنيفة رضي الله عنه لما
احترز عن ظلم ذلك المجوسي في ذلك القدر القليل
من الظلم فلاجل تركه ذلك انتقل المجوسي من الكفر
الى الايمان فمن احترز عن الظلم كيف يكون حاله
عند الله تعالى انتهى فانظر كيف يتحاشى من كان
صاحب المذهب عن الظلم وكيف يلزم التحاشي عن
الظلم فكن على بصيرة وقال عمرو بن دينار
نادى رجل من بني اسرائيل من رآني فلا يظلمن
احدا فسئل عن حاله فقال كنت اسيرا على شاطئ
البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطي قد
صاد سبعة الوان فاخذت منها لونا وهو كاره

بعد ان ضربت رأسه فعض اللون ابهامي عضة
شديدة فوقعت الاكلة في الابهام فاتفق الاطباء
على قطعه فقطع فوقعت في الكف ثم في الساعد
ثم في العضد فمن رآني فلا يظلمن احدا فخرجت
اسيح في البلاد وانا اريد قطع العضد اذ رفعت
لي شجرة فاويت الى ظلها فنعست فقيل لي في المنام
لاي شيء تقطع اعضاءك رد الحق الى اهله
فجئت الصياد فقلت يا عبد الله انا مملوكك فاعتقني
فقال لما اعرفك فاخبرته فبكى وتضرع وقال انت
في حل فلما قلتها تناثر الدود من عضدي وسكن
الوجع فقلت له بما ذا دعوت علي قال لما ضربت
رأسي واخذت السمكة مني نظرت الى السماء و
بكيت وقلت يا رب اشهد انك عدل تحب العدل
وهذا منك عدل وانت حق تحب الحق وهذا
منك حق وخلقتني وخلقته وجعلته قويا
وجعلتني ضعيفا فاسئلك بالذي خلقتني وخلقته
ان تجعله عبرة لخلقك فاذا عرفت هذا فاعلم

آذى اذا فعلت باحد مكروها او سعيت سعاية
الى سلطان او الى ذي مكنة فذلك ظلم يحتاج
الى توبة فادع الله تعالى واستغفر له واذا
سمعت من احد مكروها فلا تبادر الى جزائه
قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فالسعاية الى
السلطان او ذي [illegible] اشد فسادا من فعل المكروه
فهي المهلكة لانها تجمع [illegible]مة الغيبة ولؤم النميمة
والتغرير بالنفوس و[illegible]ال والقدح في المنازل
والاحوال وتسلب العزيز عزة وتحط المكين عن
مكانه والسيد عن مرتبته فكم من دم اراق سعي
ساع وكم من حريم استبيح بنميمة نمام وكم من
صفيين تقاطعا ومن محبين تباغضا ومن متواصلين
تباعدا ومن الفين تهاجرا ومن زوجين افترقا
فليتق الله دبر رجل ساعدته الايام وتراخت عنه
الاقدار ان يصغي لساع او يسمع من نمام وقال

كعب اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى
عليه السلام فخرج موسى يستسقي ببني اسرائيل
فلم يسقوا ثم خرج فلم يسقوا ثم خرج الثالثة
فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك
فان فيكم نماما قال موسى عليه السلام يا رب
من هو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله تعالى
اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما
فتابوا فارسل الله عليهم الغيث قيل ومعنى المثلث
السعاية فيما قيل من ان ابغض الناس الى الله
المثلث قال الاصمعي ان الرجل يسعى باخيه عند
الامام فيهلك نفسه واخاه وامامه وروى
ان ساعيا سعى برجل الى الفضيل بن سهل فوقع
على ظهر كتابه نحن نرى ان قبول السعاية شر من
السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة
وليس من دل على شيء كمن قبل واجاز لان من هذا
شر ممن قال قيل احذروا اعداء العقول ولصوص
المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص

المتاع سرقوهم الموذات وقيل اياك والسعاة
فانهم اعداء عقلك ولصوص عدلك يفرقون
بين قولك وفعلك وفي المثل الساير من اطاع
الواشين ضيع الصديق فالغاقل يبعد عمن
كان قوله او فعله سببا للظلم فيأمن من الاقتصاص
خرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له لاخيه
مظلمة فليتحلل منها فانه ليس ثمه دينار ولا درهم
من قبل ان يؤخذ من حسنات لاخيه فان لم يكن
له حسنات اخذ من سيئات اخيه فزيدت عليه
فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى فكيف يؤاخذ الظالم بذنب اقترفه
المظلوم قلنا معنى الاية انه لا يعاقب بذنب
احد ابتداء واما في مسالتنا فمظلمة بقيت عنده
وليس له وفاؤها فهو الذي اكتسب هذا الوزر
وهو معنى قوله تعالى وليحملن اثقالهم و
اثقالا مع اثقالهم وروي ان النبي صلى الله

عليه وسلم قال قبل موته من كانت له عندي
مظلمة فليأت حتى اقتصه فقام سواد بن عزية
فقال يا رسول الله انك ضربتني على بطني ليلة
العقبة فاوجعتني فقال النبي صلى الله عليه
وسلم دونك فاقتص فقال يا رسول الله انك
ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي صلى الله
عليه وسلم بطنه فاكب عليه يقبله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا
فقال يا رسول الله اردت ان يكون آخر عهدي
بك ان اقبل بطنك هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقتص من نفسه مع ان الله تعالى
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلمه ان
الله تعالى لا يدع القصاص في المظالم بين العباد
لان الله تعالى عدل من ان يدع مظلمة لاحد
عند نبي ولا غيره وروى ابو سعيد ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من
النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص

لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا
حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة
فوالذي نفس محمد بيده لاحدكم اهدى لمنزله
في الجنة منه لمنزله في الدنيا وفي صحيح مسلم
روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا من
لا متاع له ولا درهم فقال ان المفلس من امتي
من يأتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام و
يأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا و
سفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي
ما عليه اخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم القي
في النار وقال مالك بلغني ان ابا بكر الصديق رضي
الله عنه لما ولي ضرب رجلا ثم ندم وقال مالي
ولهذا الا رددتها عليهم فسمعته عايشة رضي الله
عنها فارسلت الى عمر رضي الله عنه فجاء عمر فقال
اني ضربت رجلا وقد كنت معافا من هذا ان اضرب

قال عمر كذلك الامام قال فما المخرج قال ان
تأتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فان اباه فاستحله
وكان عمر يقول رضي الله عنه انما ابعث امراء
ليعلموا الناس دينهم ويقسموا بينهم فيئهم
ويعدلون فيهم فمن ظلمه اميره فلا امرة له عليه
ودني حتى آخذ له بحقه فقال عمرو بن العاص رضي
الله عنه يا امير المؤمنين ان ادب رجل رجلا من رعيته
يقتص له منه فقال عمر انا اقص منه وقد
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه
فدلت الاثار على ان الامير والمأمور من الاقتصاص
سواء اذا جنى احدهما على الآخر وان الامير اذا ظلم
المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير
في ذلك المعنى كبعض المؤمر عليه حتى يتحاكما الى
السلطان الاعظم فاذا عرفت هذا فاعتبروا ان امر
الاقتصاص عظيم حتى ان ظواهر الادلة الى انهم
عميم واعلم ان السلطان متى كان على فطرته الاصلية
كمل فيه الخصال الحميدة والسير المستقيمة وملك

نفسه وقهر هواه ووضع الاشياء مواضعها
فلم يظلم نفسه فضلا عن رعيته وروي ان الحجاج
اخذ واحدا ليقتله فقال لا تقتلني قال ولم قال
بخروج اخيك علي قال ان معي كتابا من امير المؤمنين
ان لا تأخذني بذنب اخي قال هاته قال فان معي
اوكد منه قال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فعجب من جوابه وخلى سبيله وروي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كتب الى عمرو بن العاص كن
لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك والسلام
ففي هذا ما يهذب النفوس ويؤدب ذوي العقول
بالنصوص ويهدي الى الصواب ويوضح طريق
الرشاد **الباب السادس** في الصلوة
خلفهم والاقتداء بهم اعلم وفقك الله تعالى
وايانا ان ما شرط الجمهور للامام بعد الاسلام
الذكورة والورع والعلم بالمصالح الدينية و
الكفاءة وكونه ذا رأي وشجاعة كي لا يجبن
عن الاقتصاص واقامة الحدود والحروب الواجبة

وتجهيز الجيوش ولا يشترط كونه معصوما خلافا
للروافض ويجوز تفويض مقتضيات الشجاعة
والحكم الى غيره وان يحكم بالاستفتاء من العلماء
وليست العدالة شرطا عند الحنفية للصحة
وقالوا يجب ان يدعى له بالصلاح ونحوه من
العدالة ويمنع من الخروج عليه وكلمتهم قاطبة
في بيان وجهه ان الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين صلوا خلف بعض بني امية وقبلوا الولاية
عنهم فقد صلى غير واحد من الصحابة خلف مروان
ابن الحكم وروى البخاري عن عبد الكريم البكاء قال
ادركت عشرة من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كلهم يصلي خلف ائمة الجور فالافضلية
ليست شرطا لصحة ولاية الامامة في من يتولها
وانما هي شرط الكمال ويجب طاعة الامام عادلا
كان او جائرا اذا لم تخالف الشرع لحديث مسلم
من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة
جاهلية وحديث الصحيحين من كره من اميره شيئا

فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات
ميتة جاهلية وحديث مسلم من ولى عليه وال
يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتيه من
معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة واما
اذا خالف الشرع فلا طاعة لمخلوق فى معصية الله
عز وجل وفى التتارخانية قال العلماء رحمهم
الله يصير الامير سلطانا بامرين بالمبايعة
معه ويعتبر فى المبايعة معه مبايعة اشرافهم
واعيانهم والثانى ان ينفذ حكمه فيهم خوفا
من قهره لا يصير سلطانا بالمبايعة وحدها
وقال ايضا وفى جامع الجوامع قال عليه الصلوة
والسلام السلطان ظل الله فى الارض يأوى
اليه كل مظلوم وانه افضل من نوافل العبادات
اجماعا لكونه خليفة فى الارض ولا منزلة ولا
رتبة فوق هذا العموم وينبغى ان يكون الامير
قويا فى ملكه وسلطانه عادلا بين رعيته و
اعوانه عالما بامور الدين مقتفيا اثر رسول الله

الامين مطيعا لرب العالمين ومختارا رضاء
الله تعالى مشفقا على رعيته يسمع كلام المظلوم
حق استماعه ويدفع الظلم عنه قدر الاستطاعة
يجاهد فى سبيل الله حق جهاده ويسعى فى اعلاء
كلمة الله العليا مستوفيا امر الجهاد والمجاهدين
بنفسه ولا يرضى ان يدلهم احد من خواصه لانهم
خواص حضرة الله العليا باعوا انفسهم عن الله
بفردوسه الاعلى فهو خليفة الله لا يعرف قدرهم
بان يعفوا او يقبل عذرهم قال محمد رحمه الله
وينبغى للامام ان يؤمر على الجيش افضلهم واعلمهم
بامر الحرب واعدلهم فى القسمة حتى لا يجوز على بعضهم
ويكون رفيقا حتى لا يقحمهم فى المهالك وينبغى
ان يكون عدله بلا غرض وفضله بلا عوض انتهى

كلام التتارخانية

ويجب ان يوجد فى السلطان عدة صفات الاول
علو الهمة وهو انما يحصل بتهذيب الاخلاق
والثانى اصابة الرأى فى الفكرة وهى بكثرة
التجربة مع جودة الفكر والثالث قوة العزيمة

والثبات وتسمى بعزم الملوك والرجال وهو
الاصل في اكتساب جميع الخيرات والفضائل
والرابع الصبر على مقامات الشدائد فان الصبر
مفتاح الفرج والخامس ان يكون كريما لا ينظر
الى الدنيا وما فيها اذ الذهب والفضة من اخس
المركبات ولا شك ان المطلوب اعلى مرتبة
من الطالب فلو كان محبة الذهب والفضة
غالبة على قلبه لكان اشرف الاعضاء اخس
من اخس المركبات وذلك بعد عن ذروة الكمال
ووقوع في حضيض النقصان والسادس ان
يكون فكره غالبا على قوله وفعله ولا يقنع بمبادي
الامور فلا بد ان يكون جل افعال الملوك على
وفق العقل ومقتضى الحكمة بالمشاورة والسابع
ان يكون متعجلا في العفو ومماطلا في العقوبة
كيلا يندم حين لا ينفعه الندم والثامن
ان يكون شفيقا على الرعية وملازما على طريق
العدل والتاسع ان يكون مخالطته ومجالسته

مع ذوي العلم والتجارب لان كمال الضبط
والسياسة بالتأثير في الظاهر والباطن وهذا
انما يحصل بذلك والعاشر ان يكون متواضعا
بحيث يقدر اصحاب الحاجات ان يعرضوا عليه
المصالح اما بوسط او بغير وسط وان لا يكون
حليما في الغاية بحيث يتكلم كل احد معه ما لا يعنيه
وينبغي ايضا ان لا يرد الكلام بمجرد ان قائله
صاحب غرض اذ لكل قائل غرض فلعل فيه فائدة
ولا يقبل بمجرد ان له نفعا الا بعد التحري والمشاورة
بمن له علم اذ لعل عاقبته وخيمة فعلى اي حال
يلزمه التردد في الرد والقبول وملازمة التحري
حتى يظهر ما فيه المصلحة فاذا تعارضت المصلحة
والمفسدة في قضية فلا بد ان ينظر الى الغالب
فان كان الغالب المصلحة لا يعتبر بالمفسدة
المرجوحة وان كانت المفسدة راجحة فلا ينظر
الى المصلحة المرجوحة فلا بد ان يكون نظره دائما
الى الراجح وهذا الذي ذكرناه يبتنى عليه اساس

العدل الذي هو العمدة في السلطنة ونظام
المملكة ورد في الحديث النبوي عدل ساعة خير
من عبادة سنة وسره ان نفع العبادة راجع
الى العابد وحده ونفع العدل عام ولان العدل
سبب الامن فيشتغل الخلق بعبادة الخالق وللسلطان
العادل نصيب من العبادات الواقعة في مملكته
ولهذا يحرم الدعاء على السلطان ويجب الدعاء
له بان يطلب من الله تعالى ان يوفقه ويزيد في
عدله فبيت العدل محفوظ من كان فيه ومن كان
يستظله مادام قواعده محكمة بالديانة والامانة
والتعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلقه بان
يرى المخلوق خيرا كما يرى لنفسه طلبا لرضى خالقه
وان لا يحوج انتظار ارباب الحاجات وان لا يستغرق
اوقاته في استيفاء اللذات الجسمانية وان يكون
مدار اموره على الرفق والمداراة لا على العنف و
القهر فلا يطلب الحق في مخالفة الحق بل يسمع كلمة
الحق والنصايح وان يفوض معظمات الامور على

اهلها قال الله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها وان يكون سياسته على وجه
لا يكون مجال الظلم لواحد من الظلمة عليه فكل
ما يقع في المملكة يسأل عنه يوم القيمة لكونه
بواسطة قصور سياسته فكلكم راع وكلكم
مسئول عن رعيته اذ بالسياسة ضبط المملكة
فلا بد ان يراعي بانواع التدبير ما يكون من الحرف
سبب انتظام المصالح الخمسة الضرورية وهي
مصلحة العقل والدين والنسل والمال والزوج
وهذا انما يكون من يد وزيره فلهذا لا بد للسلطان
من وزير متدين عاقل فان الوزير اذا اصلح صلح
الملك قال الله تعالى حكاية عن موسى صلوات الله
على نبينا وعليه واجعل لي وزيرا من اهلي هارون
اخي اشدد به ازري واشركه في امري الاية وقال
عليه السلام اذا اراد الله بامير خيرا جعل له
وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه قيل
الامين من الوزراء من صحب الملوك بالصدق

في المناصحة ومن يصحبهم بالمداراة والمداهنة فليس
بامين لانه هو المحرم وهو الوكيل بالامور فقط
وقيل انما تقوم الدنيا باربعة بعدل الملوك و
بعلم العلماء وعبادة الصلحاء وسخاوة الاغنياء
فالامام العادل لا ترد دعوته روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ثلث لا ترد دعوتهم الامام
العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب
الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل
اذ السلطنة والخلافة اذا كانت مع العدل تكون
من افضل العبادات وكيف لا يكون الخليفة كذلك
فما ظنك لمن يكون ظل الله في ارضه ونائب رسول الله
والله يرزق من يشاء ويهدي اليه من ينيب

الباب السابع في الجهاد معهم

قال في الفتاوى الظهيرية في التحريض على الجهاد
وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي
الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله عز وجل
ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة
وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة
في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم
ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة
نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند
الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل
الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال نظر
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لي
اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك
دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا
قط الا وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا اي
مشافهة فقال تمن يا عبد الله قال اتمنى ان
احيى لاقاتل في سبيلك فاقتل ثانيا فقال الله
تبارك وتعالى قد سبق مني القضاء انهم اليها
لا يرجعون ولكني ابلغك الدرجة التي لاجلها

تمنى ما تمنى قال يا رب فابلغ من ورائى فانزل
الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
الآية وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده
لوددت ان اقاتل فى سبيل الله فاقتل ثم احيى فاقتل
ثم احيى ثم اقتل وعن ابى امامة الباهلى رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من احد يموت وله عند الله خير فيتمنى الرجوع
الى الدنيا وله الدنيا بما فيها الا الشهيد فانه يتمنى
الرجوع ليستشهد ثانيا من عظم ما ينال من الدرجة
وعن الحسن رضى الله عنه ان النبى عليه السلام
بعث جيشا وفيهم ابن رواحة فغدا الجيش واقام
ابن رواحة ليشهد الصلوة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما قضى صلوته رآه فقال يا ابن رواحة
الم تكن فى الجيش قال بلى ولكنى احببت ان اشهد
معك الصلوة وقد علمت منزلهم فاروح فادركهم
فقال والذى نفس محمد بيده لو انفقت ما فى الارض

جميعا ما ادركت فضل غدوتهم وعن النبى صلى
الله عليه وسلم خير الناس رجل ممسك بعنان
فرسه فى سبيل الله عز وجل كلما سمع هيعة طار
اليها والهيعة الصيحة وعن ابى هريرة رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مات
مرابطا مات شهيدا وعن مجاهد قال اردت الجهاد
فاخذ ابن عون بركابى فابيت ذلك عليه فقال
انكره لى الاجر فقد بلغنا ان خادم المجاهدين
فى اهل الدنيا بمنزلة جبريل فى اهل السماء قال
فى التاتارخانية وفى الخانية الحراسة بالليل
عند الحاجة اليها افضل من صلوة الليل وقال
ايضا وقال ابو الحسن الكرخى فى مختصره ولا ينبغى
ان يخلى ثغر من ثغور المسلمين ممن يقادم العدو
فى قتالهم وفى شرح الطحاوى وعلى الامام ان يحصن
ثغور المسلمين ويقعد جيوشا وجنودا على باب الثغور
ليمنعوا الكفار عن التصرف فى بلاد المسلمين و
ان ضعف اهل ثغر من الثغور عن المقاومة مع العدو

وخيف عليهم فعلى من وراءهم من المسلمين لان ينفروا
اليهم الاقرب فالاقرب يمدونهم بالكراع والسلاح
فيكون الجهاد ابدا قائما والدعاء الى الله تعالى
والى دينه متصلا والجهاد فرض قائم الى قيام
الساعة وقال ايضا وفى الظهيرية وعن عبد الله
ابن ابى اوفى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان
اذا لقى العدو قبل ان يقاتلهم قال اللهم انا عبادك
وهم عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك اللهم
اهزمهم وانصرنا عليهم وقال ايضا وفى شرح الطحاوى
وينبغى للامام اذا غزا ان يدعوهم الى الاسلام
او الامان فان قبلوا ترك ما بهم ويجعل اراضيهم
عشرية ديارهم بالتحول من دارهم الى دار الاسلام
لان المقام للمسلم فى دار الحرب مكروه فان امورهم
كامور اعراب المسلمين ليس لهم فى الفئ ولا فى الغنيمة
ولا فى الخمس ولا فى بيت المال نصيب هذا اذا كان
مكانهم فى دار الحرب ولو كان متصلا بدار الحرب
لا يؤمرون بالتحول هذا اذا قبلوا من الامام وان

ابوا دعاهم الى اعطاء الجزية فاذا قبلوا الجزية
صاروا من اهل ذمة وان ابوا استعان الله على
قتالهم ويقاتلهم وقال ايضا فى الفصل الثالث
فى بيان من يجوز قتله من المشركين ومن لا يجوز
قال ابو يوسف سألت ابا حنيفة رحمه الله عن
قتل النساء والصبيان والشيخ الكبير الذى لا يطيق
القتال والذين بهم زمانة لا يطيقون القتال
فنهى عن ذلك وكرهه وهذا الجواب فى المرأة اذا
كانت لا تقاتل حقيقة فاما اذا كانت تقاتل حقيقة
او كانت ذا رأى تقاتل برأيها او كانت تجلب الناس
للقتال بمالها تقتل وكذلك اذا كانت ملكة تقاتل
بقوة قومها وهذا الجواب فى الصبيان اذا كانوا
يصلحون للقتال ولا يقدرون عند التقاء الصفين
ولا يكونون رأس الجيش انتهى واما بيان احكام اهل
الذمة فروى عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر
ابن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى
اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا لعبد الله

عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا
انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا
وذرارينا واهل ملتنا ان لا نحدث في مدائننا
ولا في حولها ديرا ولا كنيسة ولا قبة ولا صومعة
ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان محيي منها في
خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها
للمارة وابن السبيل وشرطنا لكم على انفسنا ان
ننزل من مر بنا من المسلمين ثلث ليال نطعمهم و
لا نؤوي في كنايسنا ولا في منازلنا جاسوسا
ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن
ولا نظهر شرعنا ولا ندعو اليه احدا ولا نمنع احدا
من قرابتنا الدخول في الاسلام ان ارادوه وان
نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا ان ارادوا
الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في
قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا نفرق شعر
ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب
بالسروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيئا

من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على
خواتيمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم
رؤوسنا ونلزم زينا حيث ما كنا وان نشد الزنانير
على اوساطنا وان لا نظهر صليباتنا وكتبنا في
طريق من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نضرب
بنواقيسنا في كنايسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع
اصواتنا بالقراءة في كنايسنا ولا في شيء من
حضرة المسلمين ولا نخرج شعانيننا وباعوثنا
ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران
في شيء من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم
بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين
ولا نطلع على منازلهم فلما اتيت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه ولا نضرب باحد
من المسلمين شرطنا ذلك على انفسنا واهل ملتنا
وقبلنا عليها الامان فان نحن خالفنا في شيء مما
شرطنا لكم وضمناه على انفسنا فلا ذمة لنا و
قد حل منا ما يحل من اهل المعاندة والشقاق

وباعوثنا اسم موضع كذا في الصحاح
وشعانينا شعب جبل باليمن وهو ذو شعبين نزل حسان
ابن عمرو الحميري وولده فنسبوا اليه فمن كان
منهم بالكوفة يقال لهم شعبيون منهم
عامر بن شراحيل الشعبي وعداده في همدان
ومن كان منهم باليمن يقال لهم الذي شعبين
كذا في الصحاح
وفي القاموس وشعبان
وموضع الشام وشهر
معلوم

فكتب عمر رضي الله عنه ان امض ما سالوه و
زد فيه حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوه
على انفسهم ان لا تشتروا شيئا من سبايا المسلمين
ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وكان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا
اليهود والنصارى فانهم اهل رشاء ولا يحل
الرشاء ولما استقدم عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ابا موسى الاشعري من البصرة وكان عاملا
عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد واستاذن
لكاتبه وكان نصرانيا فقال عمر رضي الله عنه
قاتلك الله وضرب فخذه وليت ذميا على المسلمين
اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء
بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم الا اتخذت
حنيفا فقال يا امير المؤمنين لي كتابته وله دينه
فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذا
ذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وقال

عمران بن اسيد الى كتاب عمر بن عبد العزيز
الى محمد بن المستنير اما بعد فانه بلغني ان في عملك
رجلا يقال له حسان بن بزري على غير دين الاسلام
والله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله
ان كنتم مؤمنين واذا اتاك كتابي فادع حسان
بن بزري الى الاسلام فان اسلم فمنا ونحن منه
وان ابى فلا تستعين به ولا باحد من غير اهل الاسلام
على شيء من اعمال المسلمين فقرا عليه الكتاب فاسلم
وعلمه الطهارة والصلوة فمتى لم ينقض الذمي العهد
بمخالفة شيء من الشروط المأخوذة عليه يرد الى
مامنه ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى
بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه فقال اني اريد
ان اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله
قال لا قال فارجع فليس استعين بمشرك ثم لحقه
عند الشجرة ففرح بها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

وكانت له قوة وجلد فقال لجئتك لاتبعك واصيد
معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع
فلن نستعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البيداء فقال
له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله واليوم
الاخر قال نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في ان
لا يستعان بمشرك وقد خرج ليقاتل بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف
استعمالهم على رقاب المسلمين واعلم ان لكل طائفة
نوعا من التدبير وصنفا من الحيلة وضربا من المكيدة
وجنسا من اللقاء والكر والفر وتعبية المواكب
وحمل بعضهم على بعض فقال الله جل سلطانه
وعظم برهانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وقوله جل شانه ما استطعتم مشتمل على ما في مقدور
البشر من العدة والعدد والالة والحيلة وفسر النبي
صلى الله عليه وسلم القوة فمر على اناس يرمون
فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي قال

في الظهيرية ويكره للقراءة اتخاذ الاجراس في
دار الحرب لما روي عن كعب رضي الله عنه انه قال
ما استنفر جيش من المسلمين الا بعث الله ملكا
ينادي في ظهورهم اللهم اجعل ظهورها شديدة
وحوافرها حديدة الا ذات الجرس وكان بعض الصحابة
اذا اراد الغزو لا يقص اظفاره ويتركها عدة ويراها
قوة فاول ذلك ان يقدم بين يدي الله تعالى عملا
صالحا من صدقة او صيام ورد مظلمة وصلة رحم
ودعاء مخلص وامر بمعروف وتغيير منكر وامثال
ذلك فقد كان عمر بن الخطاب يأمر بذلك ويقول
انما تقاتلون باعمالكم وروي ان بريدا ورد عليه
بفتح للمسلمين فقال له عمر رضي الله عنه اي
وقت لقيتم العدو قال غدوة قال ومتى انهزم قال
عند الزوال فقال عمر رضي الله عنه انا لله وانا
اليه راجعون وقام الشرك للايمان من غدوة الى
الزوال لقد احدثتم بعدي حدثا او احدث بعدكم
حدثا والشان كل الشان في استجادة القواد وانتخاب

الامراء واصحاب الالوية فقد قيل اسد يقود
الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد والحرب
خدعة عند جميع العقلاء قال في الفتاوى الظهيرية
وحكى عن نصر بن سيار مقرب البرامكة الذي خرج عليه
ابو مسلم من مرو انه قال اجتمع عظماء العجم على من
كان صاحب جيش ينبغي ان يكون منه عشر خصال
من خصال البهايم شجاعة كشجاعة الديك وتحنن
كتحنن الدجاجة يعني الشفقة على رعيته وقلب
كقلب الاسد وغارة كغارة الذئب وحملة كحملة الخنزير
وصبر كصبر الكلب على الجراح وحرص كحرص الكركي
وروغان كروغان الثعلب يعني الحيلة والمكر وحذر
كحذر الغراب وسمن كسمن الدابة التي لا ترى مهزولة

وهي دويبة تكون بخراسان فسمن على التعب والشقا منه

ابدا واسمها بالفارسية برزخ انتهى وقال المهلب
لما كتب اليه الحجاج بعجلة في حرب ان من البلاء ان
يكون الرأي عند من يملكه لا عند من يبصره وقال
المختار ليزيد بن انس حين ولاه وامره بقتال
عدوك برأي غير مستبد وبحزم غير متكل ولا تركنن

الى الدولة فربما انقلبت واستشر من لا يطمع
في عملك ولا يشير بتقليلك واستخر الله تعالى
قبل اقدامك توفق وقال بعض العلماء قد جمع
الله لنا ادب الحرب في قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا
تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان
الله مع الصابرين واوصى اكثم قوما في حرب ارادوها
فقال اقلوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصياح
فشل ولا جماعة لمن اختلفت وتثبتوا فان احزم الفريقين
الركين واعلم ارشدك الله تعالى ان الله تعالى
قد اوضح لنا في كتابه الكريم علة التثبت والصبر
وقلة العزايم والفرار فقال عز وجل يا ايها الذين
آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم
يعني ان تنصروا دين الله ورسوله واما الفرار
فبغلبة المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا

منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم اى بشوم
ذنوبهم وتركهم المركز الذى رسمه لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك انه رتب عليه الصلوة
والسلام الرماة يوم احد على ثلمة الجبل ليمنعوا
قريشا ان يخرجوا عليهم كمينا من ذلك الموضع
ثم التقى المسلمون والكفار فانهزم الكفار فقال
الرماة لا تفوتنا الغنايم فاقبلوا على الغنايم
وتركوا المركز الاول فخرجت خيل المشركين من
هنالك واقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة احد
واعلم ان للكثرة الرعب وللقلة النصرة قال
تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن
عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم
وليتم مدبرين فالكثرة ابدا يصحبها الاعجاب
وخير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعمائة
وخير الجيوش اربعة الاف ولن يغلب جيش يبلغ

اثنى عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم ويروى
ان واحدا من الملوك امر ان يبسط بساط فى الارض
ثم جعل فى وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله
من اخذ منكم هذا الدينار ولم يطأ البساط
علمت انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولا يصل احد
اليه فلما اعياهم ذلك طوى ناحية البساط
من عنده وامر كل احد منهم ان يطوى ما يليه
حتى طوى البساط فمدوا ايديهم فلحقوا الدينار
ثم قال لهم اذا اردتم فتح المدينة فخذوا ما حولها
من الحصون الصغار والمدن والضياع والقرى
حتى اذا ضعفت اخذتموها فاول الظفر الاجتماع
واول الخذلان الافتراق وعماد الجماعة السمع
والطاعة قيل من استضعف عدوه اغتر ومن
اغتر ظفر به عدوه فمن احزم المكائد فى الحرب
اذكاء العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة
واظهار السرور واماتة الحلف والاحتراس من
العدو وان لا يخرج هاربا الى قتال ولا يضيق

أمان على مستأمن فاذا عرفت هذا فاعلم ان المتصرف هو الله تعالى فالنصر منه فضل واحسان وأما الخذلان فبشوم معصيتنا له تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم الآية وقال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فاللازم على المؤمن التوبة والرجوع الى الله الكريم المتعال والدعاء والتضرع والابتهال في كل الاحوال فاذا اكرم ربه من فضله بنعمة النصر فله الشكر واذا مسه الضر والسوء فلا يقنط من رحمته بل يرجو من فضله قال الله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء الآية وقال جل شانه ان مع العسر يسرا وقال الحسن رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود رضي الله عنه والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر

لن يغلب عسر يسرين ومن عادة الله تعالى بمحض فضله الفرج بعد الشدة فلا تكن من القانطين وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد

الباب الثامن في اداء الصدقات

اليهم اعلم ارشدك الله تعالى وايانا ان اول من اتخذ الدواوين واجرى الاعطية على ما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يفضل اهل السابقة والذين يلونهم وكان ابو بكر رضي الله عنه يسوي بين الناس في العطاء ولا يفضل اهل السابقة ويقول انما عملوا لله واجورهم على الله وانما هذا المال عرض حاضر يأكله البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم وكان عمر رضي الله عنه يقول لا اجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقدر عمر رضي الله عنه الارزاق في ولاية عمار فاجرى

عمارا ستمائة درهم مع عطائه لولايته وكتابته
ومؤنة من كان معه في كل شيء لما بعثه وبعث
معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق
واجرى عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها و
جلدها واكارعها ونصف جريب كل يوم واجرى
على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم
كل يوم مع عطائه وكان عطاؤه خمسة الاف
درهم واجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم
في كل شهر وعشرة اجربة وانما فضل عمارا عليهم
لان عمارا كان على الصلوات وقال مالك وكان
عمر لا يفرض لصغير يرضع فاذا فطم فرض له فمر
من الليل وصبي يبكي يبتغي الرضاع وامه لا ترضعه
فقال لها عمر ارضعيه قالت اذا لا يفرض له عمر
قال بل يفرض له ثم فرض عمر رضي الله عنه
بعد ذلك للمولود مائة درهم في السنة وقال
ابن حبيب وفرض عمر رضي الله عنه للعيالات
لكل عيال من ذكر وانثى جريبين من بر في كل

شهر وقسطين من زيت والجريب قفيز بالقرطبي
والقسط قدر ربع الزيت بالقرطبي وقال الحسن
وقدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفد
من اهل البصرة من قبل ابي موسى الاشعري قال
فكنا ندخل عليه وله في كل يوم خبز ثلث فربما
وافقناها مأدومة بسمن واحيانا بالزيت
واحيانا باللبن وربما وافقنا القديد اليابس
قد دق ثم اغلي عليه بماء وربما وافقنا اللحم الغريض
وهو قليل فقال له يوما اني ارى والله بعد
ايديكم وكراهيتكم لطعامي واني لو شئت لكنت
اطيبكم طعاما وارقكم عيشا ولكني سمعت الله
تعالى يقول في كتابه وعير قوما بامر فعلوه فقال
تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا و
استمتعتم بها فكلمنا ابا موسى فقال لو كلمتم
امير المؤمنين لفرض لكم من بيت المال طعاما
تأكلونه فكلمناه فقال يا معشر الامراء اما
ترضون لانفسكم ما ارضاه لنفسي فقلنا

يا امير المؤمنين ان المدينة ارض العيش
بها شديد ولا نرى طعاما يغنينا ولا يؤكل
طعاما الا وانا بارض ذات ريف وان اميرنا
يغنينا وان طعامه يؤكل فنظر ساعة ثم رفع
رأسه وقال لقد فرضت لكم من بيت المال شاتين
وجريبين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين
على احدى الجريبين وكل انت واصحابك ثم ادع
بشراب ثم اسق الذي عن شمالك ثم قم الى حاجتك
واذا كان المساء فضع الشاة الغابرة على الجريب
الآخر وكل انت واصحابك الا وان الناس في
بيوتهم واطعموا عيالهم والله ما ارى رستاقا
يؤخذ منه كل يوم شاتان وجريبان الا يسرع
في خرابه وكان عمر رضي الله عنه قد اطعم
جريبين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم
ممن كان في الديوان وقال الربيع بن زياد
الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين
فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه

هو وعماله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت
المدينة لبست جبة صوف ولففت عمامتي على
رأسي على غير استواء فدخلنا على عمر وصففنا
بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه
غيري فدعاني فقال من انت قلت الربيع بن زياد
الحارثي قال وما تتولى من اعمالنا قلت البحرين
قال وكم ترزق قلت الفا قال كثير فما تصنع بها
قلت انقدت ببعضها واعود على اقارب لي فما
فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال لا بأس
ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من
الصف وصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا
علي فدعاني فقال لي كم سنك قلت خمس واربعون
قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام واصحابي
حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعنا له فاتي
بخبز واعضاء بعير فجعل اصحابي يعافون وجعلت
آكل فاجيد وانا انظر اليه يلحظني من بينهم ثم
سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض ولا

اقولها فقلت يا امير المؤمنين ان الناس يحتاجون
الى صلاحك فلو عمدت الى طعام الين من هذا
فزجرني ثم قال كيف قلت قلت يا امير المؤمنين
لو امرت بقوتك من الطحين ان يخبز لك قبل
ارادتك اياه ويطبخ لك اللحم كذلك فيؤتى
بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن غضبه ثم
قال ههنا غرت قلت نعم قال يا ربيع انا لو
شئنا لملأنا هذه الرحاب من صلاتكم ولكني
رأيت الله تعالى عاب على قوم في شهواتهم فقال
عز من قائل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها ثم امر ابا موسى باقراري على عملي
وان يستبدل باصحابي وقال مالك كان عمر رضي
الله عنه يشاطر العمال فيأخذ نصف اموالهم و
شاطر ابا هريرة دواب تنابجت وتجارات تداركت
وانما شاطرهم حين ظهرت لهم اموال بعد الولاية
لم تكن تعرف لهم وشاطر سعد بن ابي وقاص حين
قدم من الكوفة كان رأى ان ما اصاب العامل

من غير رشوة وان كان حلالا لا فلا يستحق
ذلك لان من لمن له الامرة قوة على ان ينال
من الحلال وما لا ينال غيره فجعله كالمضار
للمسلمين ولما دفع ابو موسى الاشعري مالا
من بيت المال لعبد الله وعبيد الله ابني عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه بالبصرة اشتريا
بضاعة فربحا بالمدينة فاراد عمر ان يأخذ
جميع الربح فراجعه عبد الله فحكم بينهم بنصف
الربح فاخذا نصف الربح واخذ عمر نصف الربح
لبيت المال وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله
اما بعد انما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق
حتى يشترى وبسطهم الباطل حتى يفتدى الملك
بالدين يقوى والدين بالملك يبقى وقال عتاب بن
اسيد والله ما اصبت في عملي الذي ولاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوبين
مقعدين كسوتهما مولاي وروي ان علي بن ابي
طالب رضي الله عنه استعمل ابا مسعود الانصاري

على السواد فرجع الى داره وقد امتلأت قال ما
هؤلاء قالوا كذلك يصنعون بالرجل اذا استعمل
قال كل هؤلاء يريد ان يأكل في امانتي فرجع
الى علي رضي الله وقال لا حاجة لي في العمل وكان
عمر رضي الله عنه يأمر اذا قدم عليه العمال
ان يدخلوا نهارا ولا يدخلوا ليلا كيلا يحجبون
شيئا من الاموال اعلم ان منزلة العمال من الوالي
منزلة السلاح من المقاتل فاجهد جهدك في صلاح
العمال واذا فقد الوالي عمال الصدق كان كفقد
المقاتل السلاح يوم الحرب ويحتاج الى طبقات الرجال
فكما يحتاج للحرب الى اصناف العدة والالات
التي لا يسد بعضها مكان بعض اخر كذلك الرجال
للملك كالادوات للصناع لا يسد بعضهم مكان بعض
فمنهم للرأي والمشورة ومنهم لادارة الحرب و
منهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال ومنهم
لحفظها ومنهم للتجارة ومنهم للكتابة ومنهم
للفخر والجمال والمباهاة والذكر ومنهم للدعاء

والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ اساس الملة
فلا يقوم للملك ملك ما لم يجمع هذه الطبقات
فاذا عرفت بعض ما لم يلزمك من عمال الصدق
يلزمك ان تعرف المصارف فاجمالا قال في الفتاوى
الظهيرية ثم اعلم بان جميع ما في بيت المال اربعة
اقسام الصدقات وما يضم اليها تصرف الى ما قال
الله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها الاية وسهم المؤلفة قلوبهم ساقط اليوم
بحديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه والمؤلفة
قلوبهم كانوا رؤساء القبائل منهم ابو سفيان بن
حرب والاقرع بن حابس وعلقمة بن علاثة وعيينة
بن الحصين الفزاري وعباس بن مرداس السلمي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم ليؤلفهم
على الاسلام والثاني الغنائم وتصرف من الخمس
الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والثالث الجزية
والخراج ومال بني نجران وبني تغلب وما اخذه
العاشر من تجار اهل الحرب او اهل الذمة يصرف

الى ما فيه صلاح دار الاسلام والمسلمين نحو سد
الثغور والمقاتلة وامرائهم وعطياتهم وسلاحهم
وكراعهم ليقاتلوا اعداء الدين ويفتحوا البلاد
ويصرف الى مرمة الطريق اي اصلاح الطريق برفع
الاحجار وغير ذلك والى اصلاح القناطر وكري
الانهار العظام التي فيها مصالح المسلمين والى
ارزاق الولاة والقضاة والمحتسبين والمفتين
والمعلمين والرابع ما اخذ من تركة الميت اذا
مات بلا وارث والباقي من فرض الزوج والزوجة
اذا لم يترك سواه يصرف الى نفقة المرضى وادويتهم
وعلاجهم اذا كانوا فقراء والى نفقة اللقيط
وعقل جنايته والى نفقة من هو عاجز عن
الكسب وليس له من يقضي بنفقته عليه وابن
السبيل هم القوم المجتازون في مصر وقد قطع
بهم وفي سبيل الله قيل طلبة العلم قال محمد رحمه
الله الاستقراض لابن السبيل خير من قبول الصدقة
ولو كان للانسان كسوة شتاء ولا يحتاج اليها

في الصيف لا يحل له الزكوة عند ابي يوسف
فعلى قياس هذا لا يحل له الزكوة اذا كان له
طعام سنة يبلغ نصابا وهذا خلاف المشهور
انتهى وقال في التاتارخانية وفي المضمرات
ثم المؤلفة قلوبهم ثلثة اصناف صنف كان
يؤلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا
ويسلم قومهم باسلامهم وصنف منهم اسلموا
فيزيد تقررهم وصنف منهم يعطيهم لدفع شرهم
مثل عباس بن مرداس وعلقمة بن علاثة واما
الرقاب فالمراد منها المكاتبون وقال ايضا في
التاتارخانية يجب ان يعلم بان العاشر من
يعينه الامام على الطريق ليأخذ الصدقات
من التجار فيأمن بمقامه في الطريق من شر اللصوص
وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصب عشارا وكذلك الخلفاء بعده وقال في
الفصل السابع من المتفرقات عن ابي حنيفة
رضي الله عنه في الحربي المستأمن اذا مر على

العاشر اخذ منه العشر من جميع ما معه كان للتجارة او لم يكن وروى عن ابن ابى مالك عن ابى يوسف رحمه الله اذا كان ما معه للتجارة وابن جماعة عن محمد رحمه الله فى نوادره رجل اشترى عبدا بمائة درهم وقيمة العبد مائتا درهم وهو يريد به التجارة فلما كان فى آخر الحول صادفت قيمته ثلثمائة ثم استحق نصف العبد فعلى المشترى زكوة مائتى درهم انتهى

واما عشر الاراضى عشرية كانت او خراجية فيجب عند ابى حنيفة رحمه الله فى كل ما اخرجته الارض قل او كثر الا للحطب والقصب والحشيش والتبن الا اذا اتخذ الارض مقصبة وكل بلدة اسلم اهلها طوعا والمسلم اذا احيا ارضا ميتة او فتحها الاسلام وقسمها بين الغانمين فهى عشرية وكل بلدة فتحها الامام ومن على اهلها فهى خراجية والذمى اذا اتخذ داره بستانا فهى خراجية والمسلم اذا احيا ارضا ميتة تسقى من عين استخرج

186

بماء بيت المال فهى خراجية اعلم ان سيرة السلطان فى استجباء الخراج ان يأمر جباة الاموال بالرفق لان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاح الامن وسياجه العدل وهو حصن السلطان ومادة الملك والمال اقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حق ويوضع فى حق ويمنع عن سرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل من معايشها ومصالحها ثم ينفق ذلك فى الوجوه التى يعود عليها نفعها ويحرص كل الحرص على عمارة الارضين فيرفق جباة الاموال بحمل عمارة الارضين ولما عزل عثمان رضى الله عنه عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابى سرح فحمل من المال اكثر مما كان يحمله عمرو فقال لعثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت فقال عمرو وذلك لانكم اعجفتم اولادها وقال زيادا عينوا الى المزارعين فانكم لن تزالوا سمانا

القح [illegible] والقحل الناقة القاحا احبلها فلقحت بالولد [illegible] للفحول على اصل الفعل وقال الفضل فلقحت لقحا من باب تعب [illegible] فهى لاقح والملاقح من [illegible] الواحدة ملقحة اسم مفعول من القحها والاسم اللقاح فى المصباح المنير

ما سمنوا وفي منشور الحكم من جاوز الحد جلب
الذم فمن جمع المال اكثر مما يلزمه على الرعية
فهو كطائر ينتف ريشه ويمص اصولها فيأكل
ما نعم منها فلذ له ذلك واعجبه وخصب جسمه
على طيبها وقوي على عدوه فلم يزل كذلك حتى
خفت ريشه وسقط على الارض فاضطرب من
الهوام والحشرات قيل كانت ارض مصر ارضا
مدبرة حتى ان الماء يجري من تحت منازلها
واقبيتها فيحبسوه كيف شاؤا وذلك قول فرعون
اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي
افلا تبصرون وكان ملك مصر عظيما لم يكن
في الارض ملك اعظم منه وكان الجنان بحافتي
النيل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزروع
كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر
كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا في
جسورها وخلجانها والزروع ما بين الجبلين
من اولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا

من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة
كانوا فيها فاكهين وقال عبد الله بن عمرو استعمل
فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ في
حفره وتدبيره فجعل اهل القرى يسألونه ان
يجري الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا فكان
يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب
ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف اراد فليس
بمصر خليجا اكثر عطوفا منه فاجتمع له في ذلك
اموال عظيمة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر
فقال فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطف على عباده
ويفيض عليهم من خزائنه وذخايره ولا يرغب
فيما بايديهم رد على اهل القرى ما اخذت منهم فرد
عليهم اموالهم هذه سيرة من لا يخاف الله تعالى
ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب ان يكون
سيرة من يقول لا اله الا الله ويؤمن بالحساب
والعقاب والثواب فاذا عرفت هذا تعرف انه
اذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارض

فيتركونها فتخرب الارض وتهرب الارزاق فتضعف
العمارة فيضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد
واذا ضعف الجند طمع الاعداء فاللازم للسلطان
ان يكون بما يبقى في ايدي رعيته افرح بما
يؤخذ من الرعية فلا يقل مع الصلاح شيء
ولا يبقى مع الفساد شيء وصيانة القليل تربية
للجليل **واما المسلك الثاني** الذي هو التأدب
بعلماء الدين فنصيحتهم قبول ما رووه و
تقليدهم في الاحكام واحسان الظن بهم وهو
على بابين **الباب الاول** في قبول ما
رووه وهو على فصول **الفصل الاول**
في بيان طبقات العلوم والعلماء **اعلم** ان
اعظم الاشياء رتبة في حق المؤمن السعادة
الابدية وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها
ولا يتوصل الى ذلك الا بالعلم والعمل ولا يتوصل
الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل فاصل
السعادة في الدنيا والاخرة عند كل عاقل هو العلم

فالعلم مطلوب لذاته فضيلة لذاته على الاطلاق
من غير اضافة فانه وصف كمال الله تعالى شانه
وبه شرف الملائكة والانبياء عليهم السلام
وهو اذا افضل من الاعمال وكيف لا ويعرف فضيلة
الشيء بشرف ثمرته ومعلوم ان ثمرة العلم
التقرب من رب العالمين والالتحاق بافق
الملائكة في العقبى ولزوم الاحترام في الطبايع
السليمة المؤمنة ونفوذ الحكم بدلالة الشرع
على الملوك والامراء العظام والوزراء الفخام
وكيف لا والبس الله سبحانه وتعالى عقول العلماء
بالله خلعة رداء له كمية واحدة فظهر بهذا
فضيلة التعلم فان العلم اذا كان افضل الامور
كان تعلمه طلبا للافضل **ثم** تختلف العلوم
وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها فان مقاصد
الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين
الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهي
الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة

ومنزلا لا لمن اتخذها مستقرا وموطنا وليس
ينتظم امر الدنيا الا باعمال الانسان ولاصول
اعمالهم التى لا قوام للعالم دونها اربعة الزراعة
وهى المطعم والحياكة وهى للملبس والبناء وهو
للمسكن والرابع وهو اشرف الاصول السياسة
وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على اسباب
المعيشة وضبطها والسياسة فى استصلاح الخلق
وارشادهم الى الطريق المنجى فى الدنيا والاخرة
على اربع طبقات الاولى وهى العليا سياسة
الانبياء صلوات الله عليهم وحكمهم على الخاصة
والعامة جميعا فى ظاهرهم وباطنهم والثانية
سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم
على العامة والخاصة جميعا على ظاهرهم والثالثة
سياسة العلماء بالله سبحانه وتعالى وبدينه
الذين هم ورثة الانبياء عليهم السلام وحكمهم
على باطن الخاصة ولا يرتفع فهم العامة الى
الاستفادة منهم ولا ينتهى قوتهم الى التصرف

فى ظواهرهم بالالزام والمنع والرابعة سياسة
الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام واشرف هذه
السياسات الاربع بعد النبوة العلم وتهذيب
نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة
وتعليمهم وارشادهم الى الاخلاق المحمودة
وفى التفسير الكبير قال بعض المحققين العلماء
ثلثة عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم بامر الله
غير عالم بالله وعالم بالله وبامر الله اما الاول
فهو عبد قد استولت المعرفة الالهية على قلبه
فصار مشغولا مستغرقا بمشاهدة نور الجلال
وصفحات الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام
الا ما لا بد منه الثانى وهو الذى يكون
عالما بامر الله وغير عالم بالله وهم الذين عرفوا
الحلال والحرام وحقائق الاحكام لكنه لا يعرف
اسرار جلال الله تعالى واما العالم بالله وباحكام
الله فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات
وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله تعالى بالحب

له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع
من ربه الى الخلق صار معهم كواحد منهم كأنه
لا يعرف الله واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته
فكأنه لا يعرف الخلق هذا سبيل المرسلين و
الصديقين وهذا هو المراد بقوله عليه الصلوة
والسلام سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس
الكبراء فالمراد من قوله عليه الصلوة والسلام
سائل العلماء اى العلماء بامر الله غير العالمين
بالله فامر بمسائلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء
منهم واما الحكماء فهم العالمون بالله الذين لا
يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم معهم واما
الكبراء فهم العالمون بالله واحكام الله فامر
بمجالستهم لان فى تلك المجالسة منافع الدنيا
والاخرة ثم قال شقيق البلخى لكل واحد من هؤلاء
الثلثة ثلث علامات اما العالم بامر الله فله
ثلث علامات ان يكون ذاكرا باللسان دون القلب
وان يكون خائفا من الخلق دون الرب وان يستحيى

من الناس فى الظاهر ولا يستحيى من الله فى
السر واما العالم بالله يكون ذاكرا خائفا مستحييا
اما الذكر فذكر القلب لا ذكر اللسان واما الخوف
فخوف الرياء لا خوف المعصية واما الحياء فحياء
ما يخطر على القلب لا الحياء الظاهر واما العالم
بالله وبامر الله فله ستة اشياء الثلثة التى
ذكرناها للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه
جالسا على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة
وكونه معلما للقسمين الاولين وكونه بحيث يحتاج
الفريقان الاولان اليه وهو يستغنى عنهما ثم
قال مثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد
ولا ينقص ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل
تارة وينقص تارة اخرى ومثل العالم بامر الله
كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء لغيره انتهى
وهكذا فى التفسير النيسابورى وقال بعض قال
سفيان رحمه الله الناس يقومون من مجلسى على
ثلثة اصناف وذلك انى افسر القرآن فاقول

عن الله وعن الرسول فمن لا يصدق فهو كافر
محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق و
من ندم على ما صنع وعزم ان لا يذنب كان
مؤمنا مخلصا انتهى وقال تعالى وقل رب
زدني علما وفيه ادل دليل على نفاسة العلم و
علو مرتبته وفرط محبة الله اياه حيث امر
نبيه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه
خاصة دون غيره قال قتادة لو اكتفى احد
من العلم لاكتفى موسى صلوات الله على نبينا
وعليه ولم يقل هل اتبعك على ان تعلمن مما
علمت رشدا كان لسليمان عليه السلام من ملك
الدنيا ما كان حتى انه قال هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي انك انت الوهاب ثم انه لم يفتخر
بالمملكة وافتخر بالعلم حين قال يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شيء فافتخر بكونه عالما
بمنطق الطير ويدل على ان العلم اشرف من غيره
ايضا قوله تعالى اقم الصلوة لذكري اذ جعل الصلوة

وسيلة الى ذكر القلب والمقصود اشرف من
الوسيلة وقال في التفسير الكبير ايضا في قوله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهذه
الاية فيها وجوه من الدلائل على فضل العلم احدها
دلالته على انهم من اهل الجنة فكل من كان من
الخشية كان من اهل الجنة فالعلماء من اهل
الجنة بيان ان العلماء من اهل الخشية قوله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وبيان ان
الخشية من اهل الجنة قوله تعالى جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه
ذلك لمن خشي ربه ويدل عليه ايضا قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان ويدل عليه ايضا
قوله تعالى وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي
خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امن في الدنيا
اخفته في الاخرة واذا خاف في الدنيا امنته يوم
القيمة ثم قال ايضا في التفسير الكبير ان ظاهر

الآية يدل على انه ليس للجنة اهل الا العلماء
وذلك لان كلمة انما للحصر فهذا يدل على ان
خشية الله تعالى لا يحصل الا للعلماء والآية
الثانية وهي قوله تعالى ذلك لمن خشي ربه دالة
على ان الجنة لاهل الخشية وكونها لاهل الخشية
ينافي كونها لغيرهم فدل مجموع الآيتين على
انه ليس للجنة اهل الا العلماء واعلم ان هذه
الآية فيها تخويف شديد وذلك لانه ثبت ان
الخشية من الله من لوازم العلم بالله فعند
عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله وهذه
الدقيقة تنبهك على ان العلم الذي هو سبب
القرب من الله تعالى هو الذي يورث الخشية
وان انواع المجادلات وان دقت وغمضت اذا
خلت عن افادة الخشية كان من العلم المذموم انتهى
وفي التفسير النيسابوري في بيان الوجوه العقلية
قال ومنها ان اللذة ادراك المحبوب وكلما كان
المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم

ومدرك العلم هو الله تعالى وجميع مخلوقاته
من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد
وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف
من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته
ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا
قال عز من قائل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق
الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت في
اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت
في آخر حالك في غاية الشرف وايضا ترتيب الحكم
على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه
انما استحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم
اشرف عطية واعظم موهبة ومنها انه تعالى
قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من
اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن الى قوله ذلك لمن
خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس من اهل

الجنة الا العلماء وذلك لان الكلمة انما المفيدة
للحصر ولاجل اللام للاختصاص في لمن خشي
ربه والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان
من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا
منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل
لا بد معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم
بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعالهم
القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون
على دفعه وثانيها العلم بكونه عالما لان السارق
من مال السلطان يعلم قدرته لكن يعلم انه غير
عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما
فان المسخرة عند السلطان عالم بكونه قادرا على
منعه عالما بقبيح اعماله لكنه يعلم انه قد يرضى
بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد
من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع
المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض
بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم العلم

بالله وبهذا يعرف نباهة العلم انتهى قالوا هذه
الاية تدل على ان المراد لا ينتهي الى حد يصير
معه امنا بانه يعلم انه من اهل الجنة ويجعل
هذه الاية دالة عليه وهذا المذهب غير قوي
لان الانبياء عليهم السلام قد علموا انهم من
اهل الجنة وهم مع ذلك من اشد العباد
خشية لله تعالى والله اعلم بالصواب

الفصل الثاني في ان من العلم ما هو فرض عين
وما هو فرض كفاية وفي العلم الذي هو فرض عين
قالوا هو علم الحال اذ يفترض على المسلم طلب ما يقع
له في حاله سواء كان متعلقا بالقلب او باللسان
او بالجوارح اذ يفترض عليه علم ما يؤدي به الفرض
لان ما يتوصل به الى الفرض يكون فرضا اعلم
ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم
الشرعية اجمالا والعلوم الشرعية ما يستفاد
من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ولا
يرشد العقل اليها مثل الحساب ولا التجربة مثل

الطب ولا السماع مثل اللغة وما يتبعها وذلك
ينقسم الى ما هو فرض عين وفرض كفاية كما مرّ
ففرض الكفاية هو كل علم لا يستغنى عنه في قوام
امور الدنيا واما العلوم التي ليست بشرعية
فتنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم
والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح
الدنيا واما المذموم فكعلم السحر فانه حرام
فان اعتقد التأثير منه فهو كافر والطلسمات
وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح فعلم
الاشعار وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه
فالعلوم الشرعية كلها محمودة فالعلوم
المحمودة اصول وفروع ومقدمات ومتممات
فالاصول اربعة كتاب الله عز وجل وسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة
وآثار الصحابة والفروع ما فهم من هذه الاصول
لا بموجب الفاظها بل تنبهت لها العقول فاتسع
بسببها الفهم والمقدمات ما يجري منها مجرى

الالات كعلم اللغة وما يتبعها من علم النحو
وغيره فانها آلة لعلم كتاب الله تعالى و
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمتممات منها ما يتعلق بمجرد اللفظ كعلم
القراآت ومخارج الحروف ومنها ما يتعلق
بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل
اذ اللغة بمجردها لا تستقل به ومنها ما يتعلق
باحكامها كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام
والخاص والظاهر وكيفية استعمال البعض
منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول
الفقه ويتناول السنة ايضا فهذه هي العلوم
الشرعية وكلها محمودة قال في التاتار
خانية وفي السراجية طلب العلم فريضة بقدر
ما يحتاج اليه لامر لا بد منه من احكام
الوضوء والصلوة وسائر الشرايع ولامور
معاشه وما وراء ذلك ليس بفرض فان تعلمها
هو افضل وان تركها فلا اثم عليه وفي السراجية

ويستحب للرجل ان يتعلم من الطب قدر ما يمتنع
عما يضره وفي منتخب الاحياء قال اطلبوا العلم
ولو بالصين اختلف العلماء في اي علم طلبه فرض
قال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد
ويعلم ذات الله وصفاته وقال الفقهاء علم الفقه
اذ به يعرف الحلال والحرام وقال المفسرون
والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما
يتوصل الى ساير العلوم وقال بعضهم هو علم العبد
بحاله ومقامه من الله تعالى وقيل هو علم الباطن
وقالت المتصوفة هو علم التصوف وطريقتهم
وقال بعضهم هو العلم بما يشمل قوله صلى الله
عليه وسلم بني الاسلام على خمس الحديث و
هذا اختيار الشيخ ابي طالب المكي رحمه الله تعالى
ذكره في قوت القلوب والذي ينبغي ان يقطع به
ما هو مراد به هو العلم بما كلف الله تعالى عباده
وهو ثلثة فصول اعتقاد وفعل وترك فاذا
بلغ الانسان في ضحوة النهار مثلا يجب معرفة

الله تعالى بصفاته بالنظر والاستدلال وتعلم
كلمة الشهادة مع فهم معناها ثم ان عاش
الى وقت الظهر يجب تعلم الطهارة قبل وقت
صلاة الظهر ثم تعلم علم الصلوة وهلم جرا
الى اخره فان عاش الى شهر رمضان يجب تعلم
كيفية الصوم ووقته وما يقوم به وما يفسده
فان استفاد ما لا يجب تعلم كيفية الزكوة و
نصابها وان بلغ استطاعة الحج يجب تعلم المسافة
الى مكة واحرام الحج ومناسكه في مواطنها هذا
ان عاش الى شهر الحج هذا التدريج في علم ساير
الافعال الواجبة التي هي فرض عين واما الترك
فيجب بحسب ما يتجدد من الحال وما يختلف باختلاف
الاشخاص الا ترى كيف يحرم التكلم بالفواحش
والنظر الى سوأة الصحيح ولا يجب ذلك على
الابكم والاعمى وكذلك كثير ما يباح على المضطر
ويحرم على غيره اما في الحكم والفتوى يكتفى
بظاهر ما نطق به من كلمتي الشهادة واخذ ذلك

بالسماع او التقليد من غير نظر وبرهان فان
النبي صلى الله عليه وسلم اقتنع من العرب بالتصديق
والاقرار من غير تعليم دليل اما لو خطر بباله شبهة
او شك بعد ذلك يجب عليه ازالتها بالبحث
وحده النظر وهم الادلة لان الاعتقادات
يجب عليها بحسب الخواطر فكل شيء خطر في المعاني
التي تدل عليها كلمة الشهادة يجب تعليم ما يتوصل
به الى ازالة الشك ولو لم يخطر بباله شك ولا شيء
يوجب الخلل في الاسلام حتى مات هو مسلم نحو
ان يموت بعد الشهادة ولم يخطر بباله ان القرآن
مخلوق ام قديم وان الله مرئي او غير مرئي فهو
مات على الاسلام اما بعد الخواطر والسماع لا بد
من معرفة ذلك انتهى كلام التاتارخانية واما
علم النجوم فكما عرفت مما سبق ان المنهي عنه في النجوم
امران احدهما ان يصدق بانها فاعلة لاثارها
مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر
خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين

في تفصيل ما يخبرون عنه من الاحكام قال
في التاتارخانية وعلم المكاشفة لا يحصل بالتعلم
والتعليم وانما يحصل بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى
مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا ولقد قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الاف من اصحابه كلهم علماء بالله
اثنى عليهم رسول الله عليه السلام وعلم النجوم
ونحوها هي علوم غير محمودة روي عنه عليه السلام
انه مر برجل قد اجتمع عليه ناس فسأل عنه فقالوا
رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب
فقال عنه علم لا ينفع وجهل لا يضر وانما العلم آية
محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة واما
علم الفلسفة والهندسة بعيد من علم الاخرة
استخرج ذلك الذين استحبوا الحيوة الدنيا
على الاخرة انتهى ما قاله التاتارخانية فالفلسفة
ليست علما برأسها وهي اربعة اجزاء الهندسة
والحساب وهما مباحان ولا يمنع عنهما الا من يخاف

والمراد بعلم المكاشفة كشف العلوم
فقط كما ان المراد بعلم المعاملة
ما يطلب مع كشف العمل به كذا
في الاحياء منه

عليه ان يتجاوزهما الى علوم مذمومة والثانى
المنطق وهو يبحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه
الحد وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام والثالث
الالهيات وهو يبحث عن ذات الله تعالى وصفاته
وهو ايضا داخل فى الكلام والفلاسفة لم ينفردوا
فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها
كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه
بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر
وانفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلسفة والرابع
الطبيعيات بعضها يخالف الشرع والدين الحق
فلذا قالوا انه جهل وليس بعلم حتى يورد فى اقسام
العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام و
خواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه
بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر فى بدن الانسان
على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون
فى جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن
انهم قالوا ان الرجوع الى العقليات والتعمق

فى الكلام غير جائز وفى شرح المقاصد علم
علماء الصحابة بالعقائد الدينية كلام وان لم
يسم فى ذلك الزمان بهذا الاسم كما ان علمهم
بالعمليات فقه وان لم يكن ثمة هذا التدوين
والترتيب قال فى التاتارخانية وفى النوازل
قال ابو نصر بلغنى ان حماد بن ابى حنيفة كان
يتكلم فى علم الكلام فنهاه عن ذلك ابو حنيفة
رضى الله عنه فقال له ابنه قد رأيتك تتكلم
فى الكلام فما بالك تنهانى عنه قال يا بنى كنا
نتكلم وكل واحد منا كأن الطير على رأسنا مخافة
ان نزل وانتم تتكلمون اليوم وكل واحد يريد
ان يزل صاحبه واراد ان يكفر صاحبه ومن
اراد ان يكفر صاحبه فقد كفر قبل ان يكفر صاحبه
وعن ابى الليث الحافظ وهو كان بسمرقند متقدما
فى الزمان على الفقيه ابى الليث قال من اشتغل
بالكلام محى اسمه عن العلماء وعن ابى حنيفة
رحمه الله قال يكره الخوض فى الكلام ما لم يقع

شبهة فاذا وقعت شبهة وجاز التها كمن
يكون على شاطئ البحر ينبغي ان لا يوقع نفسه في
البحر فان وقع وجب علينا اخراجه انتهى قالوا
حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام هي الادلة التي
ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها وما
خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة وهي البدع
واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل
بنقل المقالات التي اكثرها ما لا فائدة فيها مع
انها تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها
خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيئا من ذلك
مألوفا في العصر الاول وكان الخوض بالكلية
من البدع قال في احياء العلوم واما التي لا
يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي
اوردناها في فروض الكفاية فان كل علم منها
اقتصارا هو الاول واقتصادا هو الوسط واستقصاء
وراء الاقتصار لا مرد له الى آخر العمر فكن احد
رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى

غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل
بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت
المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي
هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما
يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلوة
والصيام وانما الاهم الذي اهمله الكل علم
صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ
لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من
الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب و
جميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال
بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء
ظاهر البدن عن التأذي بالجرب والدماميل
والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال
وقال ايضا فيه وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم
الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على
المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا
من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم

الطرق فی مناظرة اولئك وافهامهم واهلوا
انفسهم وقلوبهم الحاكم ما قاله انتهی فاذا
عرفت طبقات العلماء تعرف مراجعة اليهم
فی وقتها علی ما يقتضی الحاجة من اعمال القلب
واللسان والجوارح وتقبل ما رووا هم بقبول
حسن خصوصاً اذا كانت المراجعة الی العلم
الذی هو فرض عين ويلزمك تعظيمهم علی
كل حال اذ كان تعظيم اهل الورع من علماء
الظاهر وارباب القلوب لازماً لازباً فمن
خشی دبر وعد له بحسن العاقبة والله الهادی

الفصل الثالث فی بيان شواهد
فضيلة العلم من القرآن الكريم والاخبار والآثار
والحكايات من التابعين والائمة المجتهدين
رضوان الله عليهم اجمعين **اما الآيات**
فقد قال الله تعالی شهد الله انه لا اله الا
هو والملائكة واولوا العلم فانظر كيف بدأ
بنفسه وثنی بملائكته وثلث باهل العلم وهذا

شرف عظيم وقال تعالی يرفع الله الذين آمنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن
عباس رضی الله عنهما فی تفسيره للعلماء درجات
فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين
مسيرة خمسمائة عام وقال تعالی ولو ردوه الی
الرسول والی اولی الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم رد حكمه فی الوقائع الی استنباطهم و
الحق رتبتهم برتبة الانبياء فی كشف حكم الله
تعالی وقيل فی قوله عز وجل قد انزلنا عليكم
لباساً يواری سوآتكم يعنی العلم وريشاً يعنی
اليقين ولباس التقوی ای الحياء وقال تعالی
قل كفی بالله شهيداً بينی وبينكم ومن عنده علم
الكتاب وقال تعالی قال الذی عنده علم من
الكتاب انا آتيك به تنبيهاً علی انه اقتدر عليه
بقوة العلم وقال تعالی وقال الذين اوتوا العلم
ويلكم ثواب الله خير بين ان قدر عظم الآخرة
يعلم بالعلم وقال عز وجل قل هل يستوی الذين

يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى بل هو آيات
بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال عز وجل
وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا
العالمون وقال تعالى خلق الإنسان علمه البيان
وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان وقال عز
وجل إنما يخشى الله من عباده العلماء وأما
الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء
ورثة الأنبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق
رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك
الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر
للعالم ما في السموات والأرض وأي منصب يزيد
على منصب من يشتغل ملائكة السموات والأرض
بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون
بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم إن
الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى
يدرك مدارك الملوك وقال صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه

رشده وقال خصلتان لا تكونان في منافق حسن
سمت وفقه في الدين قيل أو تجد رجات الفقيه
صدق معرفته وغلبة براءته من النفاق والريا
لعلمه بأن الآخرة خير من الأولى وقال صلى
الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة
أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس
على ما جاءت به الرسل صلوات الله عليهم وأما
أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه
وسلم من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله
همه ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله
عليه وسلم ما عبد الله بشيء أفضل من فقه
في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من
ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين
الفقه وقال صلى الله عليه وسلم صنفان من
أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد
الناس الأمراء والفقهاء وقال صلى الله عليه

وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة
البدر على ساير الكواكب والاخبار كثيرة لا تحصى
واما الآثار فقد قال ابن عباس رضي الله عنه
خير سليمان بن داود صلوات الله على نبينا وعليهما
بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال
والملك معه وقال ابو الاسود ليس شيء اعز
من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام
على الملوك وسئل ابن المبارك من الناس فقال
العلماء فقيل من الملوك قال الزهاد قيل من السفلة
قال الذي يأكل بدينه ولم يجعل غير العلماء من الناس
لان الخاصة التي يمتاز بها الناس عن ساير
البهايم هي معرفة الله تعالى وهي انما تحصل بالعلم
والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك
بقوة شخص فان الجمل اقوى منه ولا بعظمته
فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع
اشجع منه ولا لاكل فان الجمل اوسع بطنا منه
ولا للجماع فان اخس العصافير اقوى على السفاد

منه بل لم يخلق الا للعلم والمعرفة وقال الحسن
رضي الله عنه يوزن مداد العلماء بدم الشهداء
فيرجح مداد العلماء وقال ابن مسعود رضي
الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه
ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن
رجال قتلوا في سبيل الله عز وجل شهداء ان
يبعثهم الله سبحانه علماء لما يرون من كرامتهم
وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال
ابن عباس رضي الله عنه تذاكر العلم بعض ليلة
احب الي من احيائها وكذلك عن ابي هريرة
رضي الله عنه واحمد بن حنبل قال الحسن
رضي الله عنه في قوله عز وجل ربنا آتنا في
الدنيا حسنة ان الحسنة في الدنيا هي العلم
والعبادة وفي الاخرة هي الجنة وقال بعضهم
اي الاشياء تقتني قال الذي اذا غرقت سفينتك
سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بالسفينة هلاك
بدنك بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما

اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لحظته
العيون بالوقار وقال الشافعي رضي الله عنه
من شرف العلم ان من نسب اليه ولو في شيء
حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ايها الناس عليكم
بالعلم فان لله سبحانه وتعالى رداء محبة فمن
طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه
فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا
استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا
يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب
حتى يموت وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني
مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت باي
حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما مضت لي سنة
حتى اتاني امير المدينة فلم آذن له وقال
الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم
فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت
كان لك جمالا وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه

وقال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك
فان الله سبحانه وتعالى يحيي القلوب بنور
الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال
الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال
قال الامام في التفسير الكبير في بيان شواهد
فضيلة العلم من الآثار روى كميل قال اخذ علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه بيدي فاخرجني
الى الجبانة ثم قال يا كميل بن زياد ان هذه
القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ ما
اقول لك الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل
نجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع
كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى
ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والمال ينقصه النفقة والعلم
يزكو على الانفاق وصنيع المال تزول بزواله
يا كميل معرفة العلم دين يدان به يكتسب الانسان
الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته

والعلم حاكم والمال محكوم عليه هلك خزّان
الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقى
الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب
موجودة وفى الظهيرية وعن على رضى الله عنه
انه قال كفى بالعلم شرفا انه يدّعيه من لا يحسنه
ويفرح اذا نسب اليه وقال ابن المعتز علم الرجل
ولده المخلّد وقال ايضا ما مات من احيى علما
وقال ايضا العلم اشرف ما وعيت والخير افضل
ما اوعيت والعلماء اعلام الاسلام وايمان
الايمان **الحكايات** واما الحكايات الدالّة
على فضيلة العلم من الائمة المجتهدين رضوان الله
عليهم فقد قال فى الفتاوى الظهيرية وحكى انّ
رجلا قال لابى حنيفة رحمه الله ما تقول لرجل
يقول لا ارجو الجنة ولا اخاف النار واكل الميتة
والدم واشهد بما لم اره ولا اخاف الله واصلى
بلا ركوع ولا سجود وابغض الحق واحب الفتنة
قال ابو حنيفة رحمه الله لاصحابه ما تقولون فى هذا

هذا القائل كافر فتبسم ابو حنيفة رحمه الله وقال
هو مؤمن ثم قال قوله لا ارجو الجنة ولا اخاف
النار فانه يرجو رب الجنة ويخاف رب النار
وقوله اكل الميتة والدم اى السمك والجراد
وقوله اشهد بما لم اره هو شهادة ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله وهو لم ير الله ولا
رسوله وقوله لا اخاف الله اى لا اخاف ظلم
الله ولا جوره لانه لا يظلم ولا يجور ولكن فى
هذه العبارة بعض الاستنكار فلا يجوز ذكر
هذه العبارة وقوله اصلى بلا ركوع وسجود
اى صلوة الجنازة وقوله ابغض الحق اى الموت
وهو حق وقوله احب الفتنة اى المال والولد
قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة
وفى رواية وافرّ من الرحمة اى من المطر واشرب
الخمر واستحلها اى حالة الضرورة او فى الجنة
واترك الغسل من الجنابة اى عند عدم الماء
واقتل الناس اى الكفار واصدّق اليهود والنصارى

في دعواهم اي قالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على
شيء ولكن في هذه المسئلة العبارة فيها ضرب
من الاستبعاد فلا يجوز استعمالها وقال ايضا
وحكي عن الفقيه ابي بكر محمد بن عبد الله انه
قال نزل جماعة بالكوفة في زمن ابي حنيفة رحمه
الله فيهم امرأة حسناء ذات جمال فاجتازت
بباب بعض الاغنياء بالكوفة فرآها صاحب
الدار فاستحسنها وادخلها في داره فتحير زوجها
في امرها فما زال يطوف بالدار يطلب اثرها حتى
ظفر بها واخذها وادعى انها زوجته وانكرت
المرأة ذلك وقالت مثلي في الجمال لا تكون زوجة
لمثلك بل انا زوجة هذا الغني ولا اعرفك فاختصموا
الى ابن ابي ليلى فقضى بالنكاح بينهما وبين الغني
بالتصادق فتحير زوجها فقيل له لا فرج لك
الا بعالم يقال له ابو حنيفة رحمه الله فاذهب
اليه لعلك تجد الفرج من عنده فجاء الى ابي حنيفة

وقص عليه القصة فقال هذا سهل لا كشف
عن صورة الحال اين رحلك ومتاعك قال نزلنا
بالجبانة فخرج اليها ابو حنيفة رحمه الله وابن
ابي ليلى وجماعة من العلماء وامر بالمرأة حتى
تكون في عشرة من النساء ثم امر امرأة اجنبية
كوفية حتى ذهبت الى رحل هذا الرجل فلما دنت
صاح الكلب عليها وهربت فعلم انها غريبة ثم
امر الثانية ففعل الكلب مثل ذلك هكذا الى العاشرة
ثم امر هذه المرأة ان تدنو من رحله فلما دنت
عرفها الكلب فجعل يدنو منها ويتملق اليها وظهر
للناس انها من جملتهم فاعترفت المرأة والغني
بما كان من امرها وشانها فاخذ ابو حنيفة
رحمه الله المرأة من الغني وسلمها الى الرجل
انتهى وفي التفسير الكبير حكي ان هرون الرشيد
كان معه الفقهاء وكان فيهم ابو يوسف واتى
رجل وادعى عليه احد انه اخذ من بيتي مالا
بالليل ثم اقر الاخذ بذلك في المجلس فاتفق الفقهاء

على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه
قالوا لم قال لانه اقر بالاخذ والاخذ لا يوجب
القطع بل لا بد من الاعتراف بالسرقة فصدقه
الكل في ذلك ثم قالوا للآخذ اسرقتها فقال نعم
واجمعوا على انه وجب القطع لانه اقر بالسرقة
فقال ابو يوسف لا قطع لانه وان اقر بالسرقة لكن
بعد ما وجب الضمان عليه باقراره بالاخذ فاذا
اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط
الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل
من ذلك قال ايضا يحكى ان جماعة من اهل
المدينة جاؤا الى ابي حنيفة رضي الله عنه ليناظروه
في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه
فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر
المناظرة الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد
فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه
كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه
كالالزام عليكم قالوا نعم قال وان ناظرته و

ولزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال
وكيف قالوا انا رضينا به اماما وكان قوله قولا
لنا قال ابو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام في الصلوة
كانت قراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا
له بالالزام وايضا قال رجل لابي حنيفة اني حلفت
ان لا اكلم امرأتي حتى تكلمني وحلفت بصدقة
ما تملك ان لا تكلمني حتى اكلمها فتحير الفقهاء
فيه قال سفيان من كلم صاحبه حنث فقال
ابو حنيفة رحمه الله اذهب وكلمها فلا حنث
عليكما فذهبا الى سفيان واخبره بما قال ابو
حنيفة رحمه الله عليهما فقال تبيح الفروج فقال
ابو حنيفة وما ذاك قال سفيان اعيدوا على
ابي حنيفة السؤال فاعاد ابو حنيفة الفتوى
فقال من اين قلت قال لما شافهته باليمين بعد
ما حلف كانت مكلمة وسقطت يمينه فان
كلمها فلا حنث عليه لانه قد كلمها بعد اليمين
فسقطت اليمين عنها قال سفيان انه ليكشف لك

من العلم شيء كلنا عنه غافل وقال ايضا قال
محمد بن الحسن رحمه الله كنت نائما ذات ليلة
واذا انا بالباب رجل يدق ويقرع فقلت انظروا
من ذلك فقالوا رسول الخليفة يدعوك فخفت
على روحي فقمت ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال
دعوتك في مسئلة ان ام محمد يعني زبيدة قلت
لها اني امام العدل وامام العدل في الجنة فقالت
لي انك ظالم عاص فقد شهدت لنفسك بالجنة
وكفرت بكذبك على الله وحرمت عليك فقلت له
يا امير المؤمنين اذا وقعت معصية هل تخاف الله
في تلك الحال او بعدها فقال اي والله اخاف خوفا
شديدا فقلت له انا اشهد ان لك جنتين لا جنة
واحدة قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
فلاطفني وامرني بالانصراف فلما رجعت الى داري
رأيت البدر مبادرة الي انتهى والدلائل على فضيلة
العلم اكثر من ان يحصى نقلية كانت او عقلية

الباب الثاني في بيان تقليدهم في الاحكام

مع احسان الظن بهم اعلم ارشدك الله تعالى
وايانا ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون رضوان
الله عليهم اجمعين وكانوا ائمة وعلماء بالله
تعالى وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوى
في الاقضية وكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا
نادرا في وقايع لا يستغنى فيها عن المشاورة
فتفرغ العلماء لعلم الاخرة وتجردوا لها وكانوا
يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بعلم الخلق من
الدنيا واقبلوا على الله عز وجل بكنه اجتهادهم
كما نقل من سيرهم حتى ان التابعين كلهم مشتغلون
بما يهمهم ويعنيهم فلم يدون الامام ابو حنيفة
رضي الله عنه الا اشياء يسيرة قال البزدوي
وتقريره وقد صنف ابو حنيفة رحمه الله كتاب
الفقه الاكبر وصنف كتاب العالم والمتعلم
وكتاب الرسالة وهو كتاب بعثه الى عثمان
البتي من اصحابر انتهى وروى احمد بن حنبل

ينكر على مالك رحمهما الله في تصنيفه الموطأ
ويقول لا ابتدع ما لم تفعله الصحابة وقيل اول
كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار
وحروف التفاسير عن عطا ومجاهد واصحاب
ابن عباس بمكة رضوان الله عليهم اجمعين
ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع
فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطاء
لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم
في القرن الرابع حدث مصنفات الكلام وكثر
الخوض في الجدال والغوص في ابطال المقالات
ثم مال الناس الى ذلك والى القصص والوعظ
بها فاخذ علم اليقين في الاندراس في ذلك الزمان
فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش
عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض
عن ذلك الا الاقلون انتهى ما قيل وقد كان
بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز
الاول وكان الاعتماد على السماع من الغير تقليدا

غير مرضي وحدث التصانيف بعد سنة مائة
وعشرين من الهجرة وبعد وفات جميع الصحابة
وجلة التابعين وبعد وفات سعيد بن المسيب
والحسن وخيار التابعين رضوان الله عليهم
اجمعين فلما انقضت الخلافة بعد الخلفاء الراشدين
الى اقوام لم يستقلوا بعلم الفتاوى والاحكام
اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم
في جميع احوالهم لاستفتائهم في جميع مجاري
احكامهم فطلبوا العلماء لتولية القضاء والحكومات
وعلماء السلف رحمهم الله تعالى كانوا اذا طلبوا
هربوا واعرضوا حتى ان الخلفاء اضطروا الى
الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات
فرأى بعض اهل الاعصار عز العلماء واقبال
الائمة والولاة عليهم مع الاعراض عنهم اشرأبوا
لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من
قبل الولاة مع علمهم بان العزة لله جميعا و
تعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم

اشرأب الشيء اشرئبابا مد عنقه
لينظر كذا في الصحاح
منه

ومع هذا ان علماء الدين لازمة لتولية القضاء
والحكومات بل لسائر احوال المؤمنين فان كل
مؤمن يحتاج في علم دينه الى عالم يعلمه مما شرع
الله تعالى ولا بد منه وقد اختلف العلماء في انه
هل يلزمه الهرب من تقليد الولاية فقال قائلون
لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال
لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق وترك
لذات النفس قيل الصحيح ان عليه الاحتراز والامتناع
عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع
فالعزل كما قيل العزل طلاق الرجال فاذا شرع
لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة
كذا في احياء العلوم وفيه اعلم ان للانسان
في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال
اذ لصاحب المال حالة استفادة فيكون مكتسبا
وحالة ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال
وحالة انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال
بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف

احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال
طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال
وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع
به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم و
عمل وعلم فذلك الذي يدعى عظيما في ملكوت
السموات فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة
وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي
يعلم ولا يعمل كالدفتر الذي يفيد غيره وهو
خال عن العمل وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا
يقطع وكالابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة
المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق وقال ايضا
في بيان تصنف اهل العلم ففرقة منهم احكموا العلوم
الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واهملوا تفقد
الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات
واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى بمكان
وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم
بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم

والمسن بكسر الميم حجر يسن عليه السكين ونحوه فعل من سن صح

وخطاياهم لكرامتهم على الله تعالى وهم مغرورون
فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم
علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم
بالله تعالى وبصفاته المسمى بالعادة علم
المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال
والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها
فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى
العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد
للعمل فلا قيمة له دون العمل انتهى وقال
في التاتارخانية وفي الينابيع ولا ينبغي ان يطلب
الولاية ولا يسألها فالطلب ان يقول للامام
ولني القضاء والسؤال ان يقول للناس لو ولاني
الامام قضاء كذا لاجبته الى ذلك وهو يطمع
ان يبلغ ذلك الامام فيقلده وكل ذلك مكروه
وقال ايضا وفي الينابيع القضاء فرض
على من استجمع فيه شرائط القضاء واذا اراد

الامام ان يقلده القضاء يجب عليه ان يتقلده
فان امتنع من تقلده فهو آثم الا ان يكون بحضرته
مثله فلا يأثم بالامتناع وفي الكافي القضاء
فريضة محكمة وسنة متبعة قد باشره الصحابة
والتابعون ومضى عليه الصالحون رحمهم
الله ولكن فرض كفاية لانه ما فرض لعينه
بل لغيره وهو قطع المنازعات بين العباد و
دفع اسباب العنت والفساد وهذا يحصل
باقامة البعض ولا معنى للوجوب على الكل
وفيه ان القاضي اذا جار وقال تعمدت الجور
لا ينفذ قضاؤه وينعزل من القضاء وقال
ايضا فيها وفي الذخيرة بعض مشايخنا قالوا
اذا قلده الامام القضاء على ظن انه عدل
فان قال لانك مرضي فيما بين المسلمين فوليتك
اهلا للقضاء فقلدتك ثمة القضاء ثم ظهر انه
فاسق غير مرضي لا يتقلد ثمة على قول من يقول
لو قلد وهو عدل ثم فسق ينعزل وفي فتاوى

قاضيخان وان تعين هو في البلدة قالوا يفترض
عليه الدخول لو امتنع يأثم وقال ايضا
واذا ارتشى ولد القاضي وكاتبه او بعض
اعوانه ليعين الراشي عند القاضي ففعل ان لم
يعلم القاضي بذلك نفذ قضاؤه وكان على المرتشي
رد ما قبض وان علم القاضي كان قضاؤه مردودا
واذا تقلد القضاء بالرشوة لا يصير قاضيا
ويكون الرشوة حراما للقاضي وعلى الاخذ ثم
الرشوة على وجوه اربعة منها ما هو حرام على
الجانبين احدها هذه والثاني اذا دفع الرشوة
الى القاضي ليقضي له وهذه الرشوة حرام من الجانبين
سواء كان القضاء بحق او بغير حق ومنها اذا
دفع الرشوة لخوف على نفسه او ماله وهذه الرشوة
حرام على الاخذ غير حرام على الدافع وكذا اذا طمع
في ماله فرشاه ببعض المال ومنها اذا دفع الرشوة
ليسوي امره عند السلطان حل له الدفع ولا يحل
للاخذ ان يأخذ فان اراد ان يحل للآخذ يستأجر

الآخذ يوما الى الليل بما يريد ان يدفع اليه
فانه يجوز هذه الاجارة ثم المستأجر ان شاء
استعمله في هذا العمل وان شاء استعمله في
غيره هذا اذا اعطى الرشوة اولا ليسوي امره
عند السلطان وان طلب منه ان يسوي امره و
لم يذكر له الرشوة ثم اعطاه بعدما سوى
اختلفوا فيه قال بعضهم لا يحل له ان يأخذ
وقال بعضهم يحل وهو الصحيح لانه بر ومجازاة
الاحسان فيحل له كما لو جمعوا للامام والمؤذن
شيئا واعطوه من غير شرط كان حسنا وفي التاتار
خانية واعلم بان الرشوة انواع نوع منها ان
يهدي الرجل الى رجل مالا لابقاء التودد والتحبب
وهذا النوع حلال من جانب المهدي والمهدى اليه
ونوع منها ان يهدي الرجل الى رجل مالا
بسبب ان ذلك الرجل قد خوفه فيهدي اليه مالا
ليدفع الخوف عن نفسه او يهدي الى السلطان
مالا ليدفع ظلمه عن نفسه او ماله وهذا

نوع لا يحل للآخذ الاخذ لانه يجعل ماله وقاية
لنفسه واذا اخذ يدخل تحت الوعيد المذكور
في هذا الباب وهل يحل للمعطي الاعطاء عامة
المشايخ على انه يحل لانه يجعل ماله وقاية لنفسه
او يجعل بعض ماله وقاية للباقي وفي الولوالجية
ولو سعى انسان بينهما ودفع اليه بعض ماله
ليوصله الى الظالم لا بأس بان يفعل ذلك الا
ويسعى وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه
انه رشا دينارين بحبسه ونجى نفسه وعن جابر
رضي الله عنه انه قال لم نجد في زمن بني امية
انفع لنا من الرشا قال القاضي ابو علي النسفي
رحمه الله فعلى هذا اذا كان الرجل في قرية وفيها
ظالم وكان الرجل يهدي الى الظالم شيئا من الفواكه
والمطعومات ليدفع ظلمه عن نفسه لا بأس به
والخصاف على حل الاعطاء بالشرط فقال ارجو
ان لا يكون اثما ونوع منها ان يهدي الرجل الى رجل
مالا ليسوي امره فيما بينه وبين السلطان

ويعينه في حاجته وانه على وجهين الاول
ان يكون حاجته حراما وفي هذا الوجه لا يحل
للمهدي الاعطاء ولا للمهدى اليه الاخذ الوجه
الثاني ان يكون حاجته مباحا وانه على وجهين
ايضا الوجه الاول ان يشترط انما يهدي
اليه ليعينه عند السلطان وفي هذا الوجه
لا يحل للآخذ الاخذ وهل يحل للمعطي الاعطاء
تكلموا فيه منهم من قال لا يحل ومنهم من قال
يحل وعلى قياس قول الخصاف يجب ان يكون
حل الاعطاء معلقا بالرجاء على ما بينا والحيلة
في حل الاخذ وحل الاعطاء عند الكل ان يستأجر
صاحب الحادثة يوما الى الليل ليقوم بعمله بالمال
الذي يريد الدفع اليه فيصح الاجارة ويستحق
الاجير الاجر ثم المستأجر بالخيار ان شاء استعمله
في هذا العمل وان شاء استعمله في عمل آخر
وفي الولوالجية وهل يحل للمعطي الاعطاء بدون
هذه الحيلة اختلفوا فيه والصحيح انه يحل او

وهذه الحيلة انما تصح اذا كان العمل الذي
استأجره عليه عملاً يصح الاستيجار عليه
وفي الفتاوي الخلاصة كتبليغ الرسالة ونحوها
وان لم يبين المدة لا يجوز وهذا اذا كان فيه
شرطاً الوجه الثاني اذا لم يشترط ذلك
صريحاً ولكن انما يهدي اليه ليعينه عند
السلطان وفي هذا الوجه اختلف المشايخ
وعامتهم على ان لا يكره وبعضهم قالوا يكره
وهكذا نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه انتهى
قال في فتاوي قاضيخان كما لا يحل للقاضي
اخذ الرشوة لا يحل له قبول الهدية من الاجنبي
الذي لم يكن يهدي اليه قبل القضاء وكذا
الاستقراض والاستعارة وان اهدى اليه
من كان يهدي اليه قبل القضاء فان كان له
خصومة لا يحل له ان يقبل وان لم يكن له خصومة
فان كانت مثل ما يهدي اليه قبل القضاء او
دونها لا بأس بان يقبل وان كان اكثر من ذلك

رد الزيادة ولا بأس بان يقبل الهدية من القريب
الذي لم يكن له خصومة وكما لا يقبل الهدية ممن
كان لا يهدي اليه قبل القضاء لا يجيب الدعوة
الخاصة ويجيب الدعوة العامة وانما يعرف الخاص
من العام ان ينظر ان كان بحال لو لم يجب القاضي
دعوته لا يتخذ الدعوة فهي خاصة وان كان
يتخذ الدعوة وان لم يجبه القاضي فهي عامة
وهذا اذا لم يكن بينهما قرابة فان كان بينهما قرابة
يجيب وان كانت خاصة ولا بأس للقاضي ان
يرزق من بيت المال وان استعف فهو افضل
وللعلماء والقضاة والمعلمين حظ في بيت المال
ويجوز للامام والمفتي قبول الهدية واجابة الدعوة
الخاصة لان ذلك من حقوق المسلم على المسلم
وانما يمنع عنه القاضي انتهى وقال ايضاً في
الحظر والاباحة قالوا لا بأس للقاضي ان يقبل
الصلة من والي البلدة التي هو عليها قلده هذا
الوالي او غيره وقال ايضاً لو ان فقيراً يأخذ

جائزة السلطان مع علمه ان السلطان يأخذها
غصبا ايحل له ذلك قال فان كان السلطان
خلط الدراهم بعضها ببعض فانه لا بأس به
وان دفع عين الغصب من غير خلط لم يجز اخذه
قال الفقيه ابو الليث وهذا الجواب يستقيم
على قول ابي حنيفة رحمه الله لان عنده اذا غصب
دراهم من قوم وخلط بعضها ببعض ملكها الغاصب
وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال
ان السلطان يصيب من الحلال والحرام فما اعطاك
فما اعطاك فخذ فانما يعطي من الحلال وروى عمر
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من اعطى شيئا من غير مسئلة فليأخذه
فانما هو رزق رزقه الله تعالى وقال ايضا
لا ينبغي للقاضي ان يبيع ويشتري بنفسه بل يفوض
ذلك الى غيره وعن محمد رحمه الله انه لا بأس
بان يفعل ذلك في غير مجلس القضاء والصحيح انه
لا يفعل لا في مجلس القضاء ولا في غيره لان

الناس يساهلونه لاجل القضاء ولا ينبغي لمن
يدخل مجلس القضاء لاجل الخصومة ان يسلم
على القاضي ولو سلم لا يجب على القاضي رد سلامه
فان اراد القاضي جوابه ينبغي ان لا يزيد على قوله
وعليكم ويسلم الشاهد على القاضي ويرد عليه
ولا بأس للقاضي ان يفتي من لم يخاصم اليه و
لا يفتي احد الخصمين فيما خوصم اليه واذا خاصم
رجل مع السلطان الى القاضي فجلس السلطان مع
القاضي وخصمه على الارض ينبغي للقاضي ان يقوم
من مقامه ويجلس فيه خصم السلطان حتى لا
يكون مفضلا احد الخصمين على الآخر في الجلوس
وهذه المسئلة تدل على ان القاضي يصلح قاضيا
على السلطان الذي قلده والدليل عليه قصة
علي رضي الله عنه عند شريح رحمه الله ويقضي
القاضي وهو مستوف حظه من الطعام والشراب
ولا يقضي وهو جائع ولا شبعان ولا غضبان
ولا كظيظ من الطعام ولا مأخوذا احد الاخبثين
اي امتلاء

الاخبثان البول والغائط

ولا به نعاس او نوم ولا يسار احد الخصمين
ولا يضم احدهما الى نفسه ولا يضحك وصاحب
مجلسه يقيم الخصوم بين يديه من البعد والشهود
بقرب من القاضي ويخرج للقضاء في احسن ثيابه
واعدل احواله ويأخذ كاتبا عالما ورعا فان
كان القاضي فقيرا محتاجا الاولى له ان
يأخذ رزقه من بيت المال بل يفترض عليه فان
كان غنيا تكلموا فيه والاولى له ان يأخذ من
بيت المال انتهى وفي التاتارخانية وفي الظهيرية
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من ابتلى بالقضاء فكانما ذبح بغير سكين
هكذا رواه الخصاف وروى عن محمد رحمه الله
هذا الحديث في ادب القاضي بلفظ آخر من ابتلى
ان يقضي بين اثنين فكانما يذبح نفسه من غير
سكين وكان شيخنا الامام شمس الائمة الحلواني
رحمه الله لا ينبغي لاحد ان يزدري هذا اللفظ
كيلا يصيبه ما اصاب ذلك القاضي فقد حكى

الازدراء التحقير

ان قاضيا روى له هذا الحديث فازدراه
وقال كيف يكون هذا فدعا في مجلسه بمن
يسوي شعره فجعل الحلاق يقص الشعر من تحت
ذقنه اذ عطس فاصاب الموسى فالقى رأسه
بين يديه وقال بعضهم له ان يتقلد اذا كان
يمكنه القيام بحقه الا ترى الانبياء يشتغلون
به حتى نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم والصحابة
اشتغلوا به رضوان الله عليهم ولان في القضاء
اظهار سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحياء شريعته ولهذا يطلق على القاضي اسم خليفة
رسول الله بلا خلاف وقال ايضا والذي عليه
عامة المشايخ ان الدخول في القضاء رخصة
لمن لا يخاف والامتناع فيه عزيمة هو المختار وهذا
اذا كان في البلد قوم يصلحون للقضاء واما اذا
لم يكن في البلد قوم يصلحون للقضاء فامتنعوا جملة
عن القضاء فان كان الوالي بحيث يفصل الخصومات
بنفسه كما ينبغي فانهم لا يأثمون وان كان الوالي

بحيث لا يفصل الخصومات بنفسه كما ينبغي يأثم
وفي جامع الفتاوى عن ابي حنيفة رضي الله عنه
القضاة ثلثة قاض يقبل قوله مجملا ومفصلا
وهو الفقيه الورع وقاض يقبل قوله مفصلا
لا مجملا وهو الورع غير الفقيه وقاض لا يقبل
قوله لا مفصلا ولا مجملا وهو ان لا يكون
فقيها ولا ورعا وفي الينابيع فان وجد اثنان
وهما من اهل القضاء ولكن احدهما افقه والاخر
اورع فهو اولى من الافقه انتهى وقال ايضا و
في الخزانة ويكره تنفيذ الحكم في عشرة احوال
في حال الغضب والجوع والعطش والحاصر والحاقن
والراكب والماشي والناعس والمريض والوجيع و
يقضي في حال يكون اجمع لذهنه وعقله وفهمه
ويحضر جماعة من اهل الفقه مجلسه ان كان
لا يدخله حشمة في حضورهم وفي السغناقي ويخرج
للقضاء في احسن ثيابه واعدل احواله ولا ينبغي
له ان يتعب نفسه في طول المجلس ولكن يجلس في

الحصر اعتماد البطن

215

طرفي النهار او ما طاب وكذلك الفقيه والمفتي
ولا يمازح الخصوم ولا احدهم ولا يضحك
في وجه احدهما وكذلك لا يومي الى احدهما ايما
ولا يعبس وجهه عليهما ولا على احدهما ولا يعجل
للخصوم لاتيان حججهم ولا يخوف الخصوم و
معناه ان يتكلف بتخويف الخصوم وفي شرح
الطحاوي ولا يخوفهم يعني لا يقول قم بحجتك
والا اقضي عليك او ابطل دعواك بل يؤجله الى
المجلس الثاني والثالث انتهى وفي فتاوى قاضيخان
المزكي اذا سأل عن الشهود وعرفهم بالعدالة ٥
فاراد التعديل روي عن محمد رحمه الله انه يقول
هذا عندي عدل مرضي جائز الشهادة وبه اخذ
بعض المشايخ رحمهم الله وقال بعضهم لا يكون
هذا اللفظ تعديلا لان قوله عندي لفظ وهم
فلا يكون تعديلا الا ترى ان الشاهد لو قال
الحق عندي لهذا المدعي يكون ذلك باطلا فكذلك
في التعديل وقال بعضهم هذا اللفظ في التعديل

لا يوجب خللا ولو قال المعدل لا اعلم فيه الا خيرا
يكون ذلك تعديلا وقال بعضهم يحتاج في التعديل
الى خمسة الفاظ هو عدل مرضي جائز الشهادة
صالح مقبول القول لي وعلي وقال بعضهم اذا
قال هو عدل جائز الشهادة يكون عدلا وعليه
الاعتماد انتهى فاذا عرفت هذا فانظر كيف يكون
العدالة شرطا في شاهد مصلحة واحدة من مصالح
المسلمين وكيف تكون شرطا فيمن يولى مصالح
المسلمين فان الله سبحانه وتعالى امرهم بانهم
اذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل فاللازم
عليه ان يكون العدالة ديدنه في حقه وفي حق
غيره وان يكون حسن الخلق والخلق قيل في قوله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة
استواء الخلق والباطنة حسن الخلق وروى
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال رأى عيسى ابن مريم رجلا
يسرق فقال له اسرقت قال كلا والذي لا اله الا هو

فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني فمن حسن
الخلق المداراة فمن داري سلم الا ان من داهن
اثم فالمداراة مأمور بها كما ان المداهنة منهي
عنها قال الله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المداراة
رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس
وامرت بمداراة الناس كما امرت باداء الفرايض
فاذا سقمت المداراة صارت مداهنة فالمداهنة
ان تداري الناس على وجه يحصل الخلل في دينك
بل يذهب فيه دينك والمداراة مخالفتهم على وجه
يسلم لك دينك وذلك ان هذه الاية نزلت على
النبي صلى الله عليه وسلم وقد قالت له قريش
اعبد الهتنا سنة ونؤمن بك فابى فقالوا فشهرا
فابى قالوا فيوما فابى قالوا فساعة فابى فقالوا
فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وطمع ان فعل ان يؤمنوا
فانزل الله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون وهل

له ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم
شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحيوة و
ضعف الممات الآية وقال بعض المفسرين في
قوله تعالى وقولوا للناس حسنا كل من لقيته
فقل له حسنا من القول والمقلد القاصر عاجز
عن تفهيم الفرق بين المداراة والمداهنة كما أن
العالم المستبصر عاجز عن تفهيمه ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلثة عالما بين
الجهال وغني قوم افتقر وعزيز قوم ذل قال
في الإحياء فالأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا
السبب ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة
لهم وامتحانا وابتلاء من الله تعالى وبلاء موكل
بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل
ولا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام
وهو الذي نزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه
السلام أيضا من البلاء العظيم إذ بلي بقوم
لا يزيدهم دعاؤه إلا فرارا ولذلك لما تأذى

رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض
الناس قال رحم الله أخي موسى لقد أوذي أكثر
من هذا فصبر فإذا لا يخلو الأنبياء من الابتلاء
بالجاحدين فلا يخلو الأولياء والعلماء عن
الابتلاء بالجاهلين انتهى فإذا عرفت ما سبق
تعرف أن تقليد علماء الدين في الأحكام إنما
يكون مع إحسان الظن بهم اللهم اجعلنا
من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

المقصد الخامس في نصيحة العامة

وهي إرشادهم لمصالحهم في أولاهم وأخراهم
وكف الأذى عنهم وتعليم ما جهلوا وإعانتهم
على البر والتقوى وستر عوراتهم والشفقة
عليهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير
وهو على خمسة أبواب

الباب الأول

في إرشادهم لمصالحهم في أولاهم وأخراهم
اعلم وفقك الله تعالى وإيانا أن الله تعالى
قد فرض علينا الفرائض ولا يتأتى أداؤها

الا بقوة البدن وسترا لعورة ولا قوة للبدن
الا بالقوت قال الله تعالى وما جعلناهم جسدا
لا يأكلون الطعام الاية ومعلوم ان المعاش
معين وذريعة الى المعاد اذا كان طلب المعيشة
على نهج السداد اذ لا يكون طلب الدنيا ذريعة
ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة فيلزمه
علم فضل الكسب وعلم صحيح البيع والشراء
والعدل في المعاملات والاحسان فيها وشفقة
التاجر على اهل دينه قال الله تعالى وجعلنا
النهار معاشا وقال تعالى وجعلنا لكم فيها
معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب
الشكر عليه وقال صلى الله عليه وسلم من طلب
الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على
عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر
ليلة البدر وروت عائشة رضي الله عنها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب

ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم
وفيه تحريض على الكسب الحلال لان المراد
بالطيب ههنا الحلال ومعنى الكسب الطلب و
السعي في تحصيل الرزق وانما جعل الولد كسبا
لان الوالد يطلب ويسعى في تحصيله فيكون من
جملة اكسابه وقال صلى الله عليه وسلم من
الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب
المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم
شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا
امرتكم به ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة و
يقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين
نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها
وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجمال
في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في اخره
ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق على ان
تطلبوه بمعصية الله تعالى فان الله تعالى

لا ينال عنه بمعصية قيل لاحمد بن حنبل ما
تقول فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل
شيئا حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل
جهل العلم اما سمع قول النبي صلى الله عليه و
سلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله
صلى الله عليه وسلم حين ذكر الطير فقال تغدو
خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في
طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون
في نخيلهم قال الفقيه ابو الليث رحمه الله
كره بعض الناس الاشتغال بالكسب وقالوا الواجب
على كل انسان الاشتغال بعبادة الله تعالى
والتوكل عليه وحجتهم قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال
وكن من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح ربك
وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك

اليقين وقال لعامة اهل العلم كسب ما يكفيه
ولعياله واجب فان زاد على ذلك فهو مباح
ولا يكون الاشتغال بطلب الزيادة حراما اذا
لم يرد به الفخر والرياء انتهى وقال في احياء
العلوم ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه
من السؤال الا الكسب والتجارة فان قلت
فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي
الي ان اجمع المال وكن من التاجرين ولكن اوحي
الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقيل لسلمان
الرازي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت
حاجا او غازيا او عامرا مسجد ربه فليفعل و
لا يموتن تاجرا ولا خائنا فالجواب ان وجه
الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول
لسنا نقول التجارة افضل مطلقا من كل شيء
ولكن التجارة اما ان تطلب بها الكفاية او
الثروة والزيادة على الكفاية فان طلب منها

الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره
لا للصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة
لانه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة
فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق وهذا
ما اراده سلمان فالتجارة تعففا عن السؤال
افضل وان كان لا يحتاج الى السؤال وكان
يعطى من غير سؤال فالكسب افضل بما لا يعطى
بل انه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره
فالتعفف والستر اولى من البطالة بل من الاشتغال
بالاعمال البدنية ترك الكسب افضل لاربعة
عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن
وعمل بالقلب في علوم الاحوال والمكاشفات
او عالم يشتغل بتدبير علم الظاهر مما ينتفع الناس
به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم
او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم
كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا
يأكلون من الاموال المرصدة للمصالح والاوقاف

المسبلة على الفقراء والعلماء وامثالهم على
ما هم عليه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا
اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح
اليه ان يكون من التاجرين لانه كان جامعا
لهذه المعاني الاربعة الى زيادات لا يحيط بها
الوصف ولهذا اشار الصحابة الى ابي بكر رضوان
الله عليهم اجمعين بترك التجارة لما ولي الخلافة
اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ
كفايته من مال المصالح ورأى ذلك اولى انتهى
وذكر في الاختيار ان الرسل عليهم السلام كانوا
يكتسبون ويأكلون من كسبهم فآدم النبي عليه
السلام زرع الحنطة وسقاها وحصدها وداسها
وطحنها وخبزها واكلها ونوح النبي عليه السلام
كان نجارا وابرهيم النبي عليه السلام كان
بزازا وداود النبي عليه السلام كان يصنع
الدرع وسليمان النبي عليه السلام كان يعمل

المكمل لغيره فتلك اذا عرفت هذا لزمك ان تعرف
العدل واجتناب الظلم في معاملتك **فصل**
في الظلم في المعاملة اعلم ان الظلم في المعاملة
ما يستضر به الغير سواء كان مما يعم ضرره او
مما يخص وهو انواع الاول الاحتكار فبايع
الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار وهو
ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع وقد يكون
الاحتكار محمودا فقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من جلب طعاما فباعه بسعر
يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما
عتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم
وداخل تحته الوعيد النوع الثاني ترويج
الزيف من الدراهم في ابتداء النقد هو ظلم اذ
يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فيروجه
على غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد
في الايدي ويعم الضرر ويشيع الفساد ويكون

وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح
ذلك الباب قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده
كان عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة او
الى مائتين او الى اكثر وهذا الى ان يفنى ذلك الدراهم
ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه
وان كان ترويج الزيف مما يخصه ضرر الظلم
في المعاملة بالمعامل فكل ما يستضر به المعامل
فهو ظلم واما العدل ان لا يضر باخيه المسلم
ويستوي عنده درهمه ودرهم غيره ولا يحبه
الا ما يحب لنفسه فلا يثني على السلعة بما ليس
فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها
شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها
شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل
لامتنع عنه فان وصفه السلعة بما ليس فيها
هو كذب فان قبل هو تلبيس وظلم واما اظهار
جميع عيوب المبيع خفيها وجليها فواجب فان

اخفاه كان ظالماً غاشا والغش حرام ويدل
على تحريم الغش ما روي انه صلى الله عليه وسلم
مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده
فرأه بللا فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا
فقال اصابته السماء فقال صلى الله عليه وسلم
هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من
غشنا فليس منا وكان تاركا للنصح في المعاملة
والنصح واجب ويدل على وجوب النصح باظهار
العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب
ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير
اذا قام الى السلعة بصر عيوبها ثم خير وقال
ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك اذا
فعلت هكذا لم ينفذ لك بيع قال انا بايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقد
سبق حكاية جرير رضي الله عنه وكان واثلة بن
الاسقع واقفا فباع رجل ناقة بثلثمائة درهم

فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى
وراءه وجعل يصيح به وقال يا هذا اشتريتها
للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا
وقد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها
فنقصها البايع مائة درهم وقال لواثلة رحمك
الله افسدت على بيعي فقال بايعنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يحل لاحد يبيع بيعا الا يبين ما فيه ولا
يحل لمن يعلم ذلك الا بينه فقد فهموا من النصح
ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضيه لنفسه ولم
يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المعاملات
بل اعتقدوا انها من شروط الاسلام الداخلة
تحت بيعته فالنصح والصدق لازم على المتبايعين
وقد ورد في الحديث يد الله تعالى على الشريكين
ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا
يزيد مال من خيانته كما لا ينقص من صدقة

ومن يعرف الزيادة والنقصان بالميزان لم يصدق
بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم الواحد يبارك
فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين
والدنيا والا لافا المؤلفة قد ينزع الله البركة
منها حتى يكون سببا لهلاك ماله فيعرف معنى
ان الخيانة لا تزيد في المال والصدق لا ينقص
منه على ان كل مؤمن يعتقد ويعلم ان الربح
الاخروي خير من ربح الدنيا وان فوايد اموال
الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها
واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل
الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في
سلامة الدين قيل في تفسير اخلاص كلمة لا اله الا
الله في قوله صلى الله عليه وسلم من قال
لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة حين سئل
ما اخلاصها قال تحجزه عما حرم الله فينبغي
لصاحب الصنعة ان يحسن الصنعة ويحكمها
ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب وان يكيل كما

يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم
او وزنوهم يخسرون وكان بعضهم يقول
لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ
نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان
يقول الويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات
والارض وما اخسر من باع طوبى بويل وانما
بالغوا في الاحتراز عنه لانها مظالم لا يمكن
التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى
تجتمع ويؤدى حقوقهم وينبغي ان يحترز
عن الكذب كل الاحتراز وان يصدق في سعر
الوقت ولا يخفي منه شيئا فعليك الاحتراز
عن ان تغتنم فرصة وتنتهز غفلة صاحب المتاع
ويخفي من البايع غلاء السعر ومن المشتري تراجع
الاسعار **فصل** في الاحسان في المعاملة
اعلم ان الاحسان يجري من التجارة مجرى الربح
كما ان عدم الظلم وهو العدل يجري من التجارة

مجرى سلامة رأس المال وقد أمر الله تعالى
بالعدل والإحسان جميعاً فلا يغش من هو
عاقل قانع في معاملات الدنيا برأس ماله
فكذا معاملات الآخرة فلا يقتصر المتدين
في الاتجار بأحد الأمرين فيعامل بالعدل و
يدع أبواب الإحسان قال الله تعالى وأحسن
كما أحسن الله إليك وقال الله تعالى إن الله
يأمر بالعدل والإحسان وقال تعالى إن رحمة الله
قريب من المحسنين والمراد ههنا من الإحسان
فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه بل
هو تفضل منه فإن الواجب يدخل في باب العدل
وترك الظلم فمن أراد أن ينال رتبة الإحسان
فعليه بواحد من ستة أمور الأول في المغابنة
فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به
في العادات فإن أصل المغابنة مأذون فيه
لأن البيع للربح ولا يمكن ذلك إلا بغبن ما ولكن
يراعى فيه التقريب فإن بذل المشتري زيادة

على الربح المعتاد إما لشدة رغبته أو لشدة
حاجته في الحال فينبغي أن يمتنع من قبوله وذلك
من الإحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن أخذ
الزيادة ظلماً والثاني في احتمال الغبن فيتساهل
ويكون به محسناً فأما إذا اشترى من غني تاجر
يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه
ليس بمحمود بل هو تضييع مال من غير أجر ولا
حمد والثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون
والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض
ومرة بالإمهال ومرة بالمساهلة في طلب جودة
النقد وكل ذلك مندوب إليه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسمح يسمح لك وذكر صلى
الله عليه وسلم رجلاً كان مسرفاً على نفسه حوسب
فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيراً قط
فقال لا إلا أني كنت رجلاً أداين الناس فأقول
لفتياني سامحوا الموسر وأنظروا المعسر وفي لفظ
آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن أحق

بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له والرابع
توفية الدين قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء
الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود
مما شرطه عليه واحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما
قدر قال صلى الله عليه وسلم من اذان دينا وهو
ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون
له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون
من غير حاجة لهذا الخبر ومهما كلمه صاحب الحق
بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه صاحب
الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه
فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهم به اصحابه فقال صلى الله عليه
وسلم دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار
الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان
ان يكون الميل اكثر من المتوسط الى من عليه الدين

الواسطة بينهما

فان المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض
عن حاجة والخامس ان يقبل من يستقيله
فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع فلا
ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار
اخيه المسلم قال صلى الله عليه وسلم من اقال
نادما صفقته اقاله الله عثرته يوم القيمة
والسادس ان يقصد في معاملته من الفقراء
بالنسيئة وهو في الحال على ان لا يطالبهم ان لم
يظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف
من يقول لمن لا يعرف من الضعفاء والفقراء خذ
ما تريد فان تيسر لك فاقض والا فانت في حل
منه وسعة فاجهد ان تكون قائما لذلك محييا
لهذه السنة يوسع الله عليك فبالتجارة يمتحن
الرجال دينها وورعها ولذلك قيل اذا اثنى
على رجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر ومعاملوه
في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد عند
عمر رضي الله عنه شاهد فقال ائتني بمن يعرفك

فأتاه رجل فأثنى عليه خيراً فقال له عمر أنت
جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه
فقال لا فأنت رفيقه في السفر الذي يستدل
به على مكارم الأخلاق فقال لا فقال لعاملته
بالدرهم والدينار الذي يستبين به ورع الرجل
فقال لا فقال أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم
بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى
قال نعم قال اذهب فلست تعرفه وقال للرجل
اذهب فأتني بمن يعرفك **فصل** في شفقة
التاجر على دينه قال بعض السلف أولى الأشياء
بالعاقل أحوجها إليه في العاجل وأحوج شيء
إليه في العاجل أحمد عاقبة في الآجل وقال الله
تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا أي لا تنس في
الدنيا نصيبك منها للآخرة فإنها مزرعة الآخرة
وفيها تكتسب الحسنات **اعلم** وفقك الله أن شفقة
التاجر لا تتم إلا بمراعاة سبعة أمور الأول
حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو

بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن
الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما
يكتسبه على الدين وقياماً بكفاية العيال ليكون
من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين
وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو طريق
العدل والإحسان في معاملته ولينو الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق
فإذا أضمر هذه النيات كان عاملاً في طريق
الآخرة فربح في الدنيا والآخرة والثاني
أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض
من فروض الكفايات إذ الصناعات والتجارات
لو تركت بطلت المعايش وليس انتظام أمر الكل
إلا بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل وعلى
هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه
وسلم اختلاف أمتي رحمة أي اختلاف هممهم
في الصناعات والحرف اللازمة وأما الحرف الغير
اللازمة فلا يدخل فيها كتصوير الحيوانات مثلاً

وفي صحيح البخاري عن عبد الله رضي الله عنه
مرفوعاً قال سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم
يقول انّ اشدّ الناس عذاباً عند الله عزّ وجلّ
المصوّرون وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما
انّ الذين يصنعون هذه الصور يعذّبون يوم
القيمة يقال لهم احيوا ما خلقتم وروى هذا
الحديث في صحيح مسلم انّ من اشدّ الناس عذاباً
يوم القيمة المصوّرون حتى وجّه البعض بانّ
الاصل انّه اي الشان وقال ابن مالك وجهه
الكسائيّ بزيادة من في اسم انّ وردّه صاحب
المغني بانّ الكلام موجب والمجرور معرفة و
بانّ المعنى يأباه لانّهم ليسوا اشدّ عذاباً يوم
القيمة من سائر الناس واجيب بانّه اختلف
نسخ صحيح مسلم ففي بعضها المصوّرين وهي
الاكثر وفي بعضها المصوّرون وانّ معنى الحديث
على سبيل المبالغة والردّ عليهم وقيل المراد
هنا من يصوّر ما يعبد من دون الله وهو

عارف بذلك قاصداً له فانّه يكفر بذلك بقي
فيه احتمال ان يكون من للتبعيض كما قالوا في
قوله تعالى ومن الناس من يقول امنّا بالله
انّه مبتدأ اي وبعض الناس من يقول امنّا بالله
والثالث ان لا يمنع صنعته وتجارته عن
ذكر الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة
الاية فيلازم المسجد ويواظب على ذكر الله تعالى
وكان عمر رضي الله يقول للتجّار اجعلوا اوّل
نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو
السّلف يجعلون اوّل النّهار وآخره للمعاد و
الوسط للمعاش والرابع ان لا يقتصر بل يلازم
ذكر الله تعالى في اكثر الاوقات بل في السوق
فذاكر الله تعالى في السوق كما ذكر النبيّ صلى
الله عليه وسلّم كالشجرة الخضراء بين الهشيم
وكان عمر رضي الله عنه يقول اذا دخل السوق
اللهمّ انّي اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شرّ

ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من
يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال صلى الله
عليه وسلم من دخل السوق وقال لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
كل شيء قدير كتب الله له الفي الف حسنة والخامس
ان لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة و
ذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج والسادس
ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواضع
الشبهة ومظان الريب قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى امر المؤمنين
بما امر به المرسلين فقال تعالى يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا فالله سبحانه وتعالى
امر بالاكل من الطيبات قبل العمل قيل المراد
بالطيب الحلال وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا
من طيبات ما رزقناكم والسابع ينبغي ان
يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من

معامليه ولا يذهب الى الباطل قال الله تعالى
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية وقال
تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما
يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين وقال
تعالى فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله
ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم
ثم قال عز وجل ومن عاد فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون جعل آكل الربوا في اول الامر
مؤذنا بمحاربة الله عز وجل وفي آخره معرضا
للنار وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من
الحرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وسلم
من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله عز
وجل من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه
وسلم خير دينكم الورع ويروى ان الله تعالى
قال في بعض كتبه واما الورعون فاني استحيي

أن أخاسهم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه
المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة
فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا
سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل
الأساس من البنيان فإذا ثبت الأساس وقوي
استقام البناء وارتفع وإذا ضعف الأساس
واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى
أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
الآية وروي أن الصديق رضي الله عنه شرب
لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال تكهنت
لقوم فأعطوني فأدخل أصبعه في فيه وجعل
يقيء في طشت حتى ظننت أن نفسه ستخرج ثم
قال اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق
وخالط الأمعاء وأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما أخبر بذلك قال أوما علمتم أن الصديق
لا يدخل جوفه إلا طيبا ويقال من أكل الشبهة
أربعين يوما أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى

كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
فينبغي أن تحترز على كل حال لأن هذه الأمة خير
الأمم فأنت من هذه الأمة والخيرية صفتك
قال صلى الله عليه وسلم مثل أمتي كمثل المطر
لا يدرى أوله خير أم آخره وأما التوفيق
بين قوله هذا وبين قوله خير القرون من أنا فيهم
ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب فلعل المراد
في الحديث الثاني من حيث حصولها بمشاهدة
نور النبوة وبمجاورته الذي هو كالإيمان بالشهادة
أو قريب منها وفي الحديث الأول من حيث حصولها
بقوة العقيدة من جهة أنه الإيمان بالغيب اعلم
أن تفصيل أصناف الحلال والحرام مبين في كتب
الفقه ويعلم منه مراتب الشبهات ومنازلها
وتمييزها عن الحلال والحرام قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما
أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن
اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه

ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه فاذا عرفت
هذا تعرف ان المجهول الذي لا يدرى حاله
لا تقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة
عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان
والفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه ظاهر
والورع ترك ما لا يدرى قال في احياء العلوم
وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع
فقال لهم حسان بن ابي سنان ما عندي شيء اسهل من
الورع اذا حاك في صدري شيء تركته هذا
شرط الورع وانما نذكر الان حكم الظاهر فنقول
حكم الشرع ان المجهول ان قدم اليك طعاما
او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من
دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه
مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم على اخذه وليس
لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس
هذا وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه

وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق
باسلامه عليك ان لا تسيء الظن به فان اسأت
الظن في عينه لانك رأيت فسادا من غيره فقد
جنيت عليه واثمت به في الحال من غير شك
ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم و
اسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون
القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق
وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل
عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل اليه بل سأل
في اول قدومه الى المدينة عما يحمل اليه
اصدقة او هدية لان قرينة الحال وهو دخول
المهاجرين الى المدينة وهم فقراء يغلب على الظن
ان ما يحمل اليهم بطريق الصدقة ثم اسلام
المعطي ويده لا يدل على انه ليس بصدقة وكان
يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل اصدقة
ام لا اذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة

ولذلك دعته ام سليم فيما رواه انس بن مالك
وقدم اليه طعام فيه قرع فاذا عرفت هذا
فاعلم ان كل مؤمن اخوك فمقتضى الاخوة ان
تكون المعاملة مطابقة للشرع في جميع الاحوال
فحق الاخوة بين المؤمنين ثابت قال الله تعالى
انما المؤمنون اخوة الاية فارشادهم لمصالحهم
في اوليهم واخريهم انما يكون بمراعاة حقها
فالله سبحانه تعالى يوفقنا لما يحب ويرضى وهو
يهدي السبيل **الباب الثاني** في كف
الاذى عنهم اعلم وفقك الله تعالى ان كف
الاذى كما علم في المقصد الاول من شعب الايمان
حتى ان اماطة الاذى عن الطريق منه وذلك
لان كل مؤمن اخوه والرابطة هي الدين والتقوى
ومقتضى الاخوة في الدين ان يحب كل مؤمن لكل
مؤمن ما يحبه لنفسه ويكره ويترك له ما
يكرهه ويتركه لنفسه قال الله تعالى انما المؤمنون
اخوة وقال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا

وقال عليه الصلوة والسلام في الثناء على
الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه
خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه
وقال صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين اذا
التقيا مثل اليدين يغسل احدهما الاخرى
وما التقى المؤمنان قط الا افاد الله احدهما
من صاحبه خيرا وقال ابو ادريس الخولاني
لمعاذ اني احبك في الله فقال له ابشر ثم ابشر
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول
العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر
يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس
ولا يخافون وهم اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول
الله فقال هم المتحابون في الله عز وجل اعلم
ان تمييز معنى الاخوة في الله عز وجل عن الاخوة
في الدنيا يحتاج الى بصيرة يروبحان الله تعالى

اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لى
عملاً قط فقال الهى صليت لك وصمت وتصدقت
فقال ان الصلوة لك برهان والصوم جنة
والصدقة ظل والذكر نور فاى عمل عملت لى
قال موسى الهى دلنى على عمل هو لك قال يا
موسى هل واليت فى ولياً وهل عاديت فى
عدواً فعلم يا موسى ان افضل الاعمال الحب
فى الله والبغض فى الله وقال ابن مسعود رضى
الله عنه لو ان رجلاً قام بين الركن والمقام
يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيمة
مع من يحب ودخل رجل على داود الطائى روح
الله روحه فقال له ما حاجتك فقال زيارتك
فقال اما انت فقد عملت خيراً حين زرت ولكن
انظر لما ذا اذا قيل لى من انت امن الزهاد انت
لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين
انت لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت
فى الشبيبة فاسقاً فلما شخت صرت مرائياً والله

المرائى شر من الفاسق وقال الفضيل نظر
الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة
وقال فى احياء العلوم اعلم ان الحب فى الله و
البغض فى الله غامض وينكشف الغطاء عنه
بما نذكره وهو ان الصحبة ينقسم الى ما يقع
بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب الاجتماع
فى المكتب او فى المدرسة او فى السوق او على
باب السلطان او فى الاسفار او الى ما ينشأ
باختيار او بقصد وهو الذى نريد بيانه
اذ الاخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لا
محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية
ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة
والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد
الانسان بها غيره الا اذا احبه فان غير
المحبوب يجتنب ويباعد اذ لا يقصد مخالطته
والذى يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل
به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان

يحبّ للتوصّل به الى مقصود وذلك المقصود
امّا أن يكون مقصورًا على الدّنيا وحظوظها
وامّا أن يكون متعلّقًا بالله تعالى فهذه
اربعة اقسام امّا القسم الاوّل وهو حبّك
الانسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في
ذاته محبوبًا عندك على معنى انك تلتذ برؤيته
ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحبابك له
فانّ كلّ جميل لذيذ في حقّ من ادرك جماله
وكلّ لذيذ محبوبٌ واللّذة تتبع الاستحسان
والاستحسان يتبع المناسبة والملائمة و
الموافقة بين الطّباع ثمّ ذلك المستحسن امّا
ان يكون من الصورة الظّاهرة اعني حسن
الخلقة وامّا ان يكون هي الصورة الباطنة
اعني كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق
وحسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة
العلم وكلّ ذلك مستحسن عند الطبع السليم
والعقل المستقيم وكلّ ذلك مستحسن مستلذّ

ومحبوب بل في ائتلاف القلوب امر اغمض من
هذا فانّه قد يستحكم المودّة بين شخصين
من غير ملاحة في صورته وحسن في خَلق و
خُلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة
والموافقة فانّ شبه الشّيء ينجذب اليه
بالطّبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب
دقيقة ليس في قوّة البشر الاطّلاع عليها انتهى
فاذا عرفت هذا عرفت انّ من يحبّ في الله يحبّ
لانّه مطيع لله تعالى ومحبوب عند الله تعالى
فمن احبّ بسبب فبالضّرورة يبغض لضدّه انهما
المتلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وامّا
اذا اختلطت الطّاعات بالمعاصي فانك تقول
كيف اجمع بين البغض والمحبّة وهما متناقضان
وتناقض ثمرتها من الموافقة والمخالفة والموالات
والمعادات فاجاب صاحب احياء العلوم
وقال ذلك غير متناقض في حقّ الله تعالى كما
لا يتناقض في الحظوظ البشريّة فانّه مهما اجتمع

اعني فيما ذكر من الاقسام الاربعة اعني
حبّ الانسان لذاته او للتوصّل به الى
مقصود وذلك المقصود امّا ان يكون
مقصورًا على الدّنيا وحظوظها و
امّا ان يكون متعلّقًا بالله تعالى
منه

في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها
فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن
له ولد زكي خدوم ولكنه فاسق فانه يحبه من
وجه ويبغضه من وجه فيكون معه على حالة
بين حالتين اذ لو فرض له ثلثة اولاد احدهم
زكي بار والاخر بليد عاق والاخر بليد بار او
زكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلثة
احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم وكذلك
ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه
الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه
كلاهما متفاوتة على ثلث مراتب وذلك بان تعطي
كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض
والاقبال والصحبة والقطيعة وساير الافعال
الصادرة عليه منه وروي في غريب التفسير
في قوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا
الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في
اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ويقال اذا غفر

للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة
من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة و
كرهوا العزلة والانفراد فهذه فوايد يستدعي
كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى
تفصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن
يؤثر صحبته خمس خصال بان يكون عاقلا حسن
الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا
اما العقل فهو رأس المال وهو الاصل فلا خير
في صحبة الاحمق اذ الى القطيعة والوحشة
ترجع عاقبتها وان طالت كيف والاحمق قد
يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا
يدري ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان
الى الله تعالى وقال بعض العلماء لا تصحب الا
احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك
فينفعك ورجل تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل
منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم الناس
اربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه واخر مر

كله فلا تأكل منه وآخر فيه حموضة فخذ
من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة
فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق
رضي الله عنه لا تصحب خمسة الكذاب فانك
منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد
ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه
على شيء يريد أن ينفعك فيضرك والبخيل فانه
يقطع بك احوج ما تكون اليه والجبان فانه
يسلمك ونفسه عند الشدة والفاسق فانه يبيعك
باكلة أو اقل منها وقال الجنيد روح الله
روحه لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي
من ان يصحبني قارئ سيء الخلق وقال سهل بن
عبد الله اجتنب صحبة ثلثة من اصناف
الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين
والمتصوفة الجاهلين وقال بشر الحافي روح
الله روحه الاخوة ثلث اخ لآخرتك وأخ
لدنياك وأخ لتأنس به وقل ما تجتمع به المقاصد

في واحد بل تتفرق على جمع فتفرق الشروط
فيهم لا محالة فقد قال المأمون الاخوان
ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا تستغني عنه
والاخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت
دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج
اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا
انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة الناس
مثل الشجر والنبات منها ما له ظل وليس له ثمر
وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الاخرة
فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها
ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة
دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا و
هو مثل الذي يصلح للدنيا والاخرة ومنها
ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق
الثياب لا طعم فيه ولا شراب ومثاله من
الحيوانات الفارة والعقرب كما قال تعالى
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى

ولبئس العشير فمن لم يجد رفيقا يواخيه و
يستلذ بواحد هذه المقاصد فالوحدة اولى
به قال ابو ذر رضي الله عنه الوحدة خير من
جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة
واما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى
واتبع سبيل من اناب الي وقيل لا تنظروا الى
الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بل هؤلاء
لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة بحسن
العاقبة في الانقطاع عنهم على حسب ما هم
عليه قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما اي سلامة ومعناه انا سلمنا
من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا نعوذ بالله
من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا **فصل**
اعلم ان لمقتضى الاخوة حقوقا يلزمك
الوفاء بها حقا في المال وفي النفس وفي اللسان
وفي القلب بالعفو والدعاء والاخلاص والوفاء
وترك التكلف والتكليف **اما الاول**

ففي المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين يغسل
احديهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا
باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد
فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا ترافقا
في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد
وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء
وجاء رجل الى ابي هريرة رضي الله عنه فقال
اني اريد ان اواخيك في الله تعالى فقال اتدري
ما حق الاخاء قال عرفني قال ان لا تكون احق
بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المرتبة
بعد قال فاذهب عني وروي ان مالك بن دينار
ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن روح الله
ارواحهم وكان غائبا فاخرج محمد بن واسع
سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل ياكل
فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب البيت
فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على الاكل وكان

ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال
يا مالك هكذا كنا لا نحتشم بعضنا من بعض
حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان
الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في
الاخوة واما الثاني فهي الاعانة بالنفس
في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال
وتقديمها على الحاجات الخاصة وفي الاثر
ما زار رجل اخا في الله شوقا الى لقائه الا
ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة
وقال عطا تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان
كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل فاعينوهم
او كانوا نسوا فذكروهم قيل الجليس على ثلاث
اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا
جلس اوسعت له وقد قال تعالى رحماء بينهم
اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة
ان لا ينفرد بطعام واما الثالث فعلى
اللسان بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت

فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته
بل يتغافل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم
به فلا يماريه ولا يناقشه ثم ان الغيبة ثلثة
اضرب الاول ان يغتاب ويقول لست اغتاب
لاني اذكر ما فيه فهذا ان استحل الحرام القطعي
لقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا فقد كفر
وان اراد انه ذكر الفاجر بما فيه فلا والواجب ان
لا يقوله لان بعض الفقهاء حكم بالكفر على ظاهره
والثاني ان يغتاب ويبلغ غيبته المغتاب فهذه
معصية فيها حق العبد فلا بد مع التوبة من
الاستحلال من المغتاب والثالث ان يغتاب و
لم تبلغه فيكفيه التوبة والاستغفار وان يسكت
عن التجسس والسؤال عن احواله واذا راه في طريق
او في حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره
ومورده فلا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره
او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره
التي بثها اليه فلا يبثها الى غيره البتة ولا

الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيئاً منه ولو
بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع
وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه
واهله وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره
فيه فان الذي سبك من بلغك قال انس رضي
الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا
يواجه احداً بشيء يكرهه والتأذي اولا من
المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغي ان لا يخفي
ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به اولى
من مبلغ المدح ثم القائل واخفاه ذلك من الحسد
وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة
وتفصيلاً الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف
او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فان
ذلك لا يبالي بكراهيته لان ذلك نظر له واحسان
اليه في التحقيق وان كان يظن انها اساءة في
الظاهر اما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله
فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ولا

صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانة الا
ثلثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس
يستعمل فيه فرج حرام ومجلس يستعمل فيه مال
حرام او من غير حله واما الرابع فعلى اللسان
النطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره
تقتضي ايضاً النطق عن المحاب بل هو اخص
بالاخوة والسكوت معناه كف الاذى فعليه
ان يتودد بلسانه ويتفقد احواله التي يجب
ان يتفقدها فان اخبار المحبة قال صلى الله
عليه وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما
امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان
عرف انك تحبه احبك بالطبع فاذا عرفت انه
يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد
من الجانبين والتحاب بين المؤمنين محبوب
في الدين وقال عليه السلام تهادوا تحابوا
واما الخامس فالعفو بالقلب عن الزلات
والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما ان تكون

في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصير
في الاخوة اما ما يكون في الدين بارتكاب
معصية واصرارها عليها فعليك التلطف
في نصحه بما يجمع شمله ويعيد الى الصلاح
حاله فان لم يقدر وبقي مصرا فقد اختلف طرق
الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته او
مقاطعته فذهب ابوذر رضي الله عنه الى
الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه
فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى
الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء
وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال
ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه
فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة و
يستقيم اخرى وقال النخعي لا تقطع اخاك ولا
تهجره عند الذنب بذنبه فانه يركبه اليوم و
يتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم
فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا

زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئه وفي
حديث عمر رضي الله عنه وقد سئل عن اخ
كان اخاه فخرج الى الشام فسئل عنه بعض من
قدم عليه وقال ما فعل اخي فقال ذاك اخو الشيطان
فقال له مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر
فقال اذا اردت الخروج فآذني فكتب عند خروجه
اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه
المصير ثم عاتبه بنحو ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب
بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر وتاب ورجع
وقال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري
اذا احببت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما
يكرهه فانك لا تأمن ان ترى في جوابك ما هو شر
من الاول قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم
الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة
خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة

وينبغي ان لا يبالغ في البغض عند الوقيعة قال
الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة وروى انه قال صلى الله
عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان
يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا
ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر
رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك
تلفا واما السادس فالدعاء للاخ في حيوته
وبعده بكل ما يحبه لنفسه ولاهله وكل متعلق
به فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك
ونفسه فان دعاءك له دعاء لنفسك فقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه
بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك واما
السابع فالوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات
على الحب وادامته قال صلى الله عليه وسلم من
السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه اخوين
تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا وروى

انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت
عليه فقيل له في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم
انها كانت تأتينا ايام خديجة وان كرم العهد
من الايمان وفي لفظ اخر حسن العهد من الايمان
فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه و
المتعلقين به فيدل على قوة الشفقة والحب تعديها
من المحبوب الى كل من يتعلق به واما الثامن
فالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان
لا يكلف اخاه ما يشق عليه قيل من جعل نفسه
عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن جعل
نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون
قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط
التكليف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من
نفسه وقال الجنيد روح الله روحه ما تواخى
اثنان في الله عز وجل فاستوحش احدهما من
صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما وقال
علي رضي الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك

ومن احوجك الى مداراة والجاءك الى اعتذار واعلم
ان الناس ثلثة رجل تنتفع بصحبته ورجل يقدر
على ان ينفعه ولا يتضرر به ولكن لا ينتفع به
ورجل لا يقدر ايضا على ان ينفعه وهو الاحمق
او السيء الخلق فهذا الثالث ينبغي ان يجتنب
فاما الثاني فلا يجتنب لانك تنتفع بشفاعته
وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد اوحى
الله تعالى الى موسى ان اطعتني فما اكثر اخوانك
اي ان واسيتهم واحتملت منهم وقال بعضهم
صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني و
بينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي و
من هذه سمته كثر اخوانه وقد قيل من سقطت
كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت
مودته وقال صلى الله عليه وسلم انا واتقياء
امتي براء من التكلف وقال ابو معاوية الاسود
اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم
يرى ان لي الفضل على نفسه ومن فضلني على

نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه
وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة
من لا يرى لك مثل ما ترى له فاذا عرفت هذا
فعليك بحسن الخلق فمن كان نظره الى صحبة
الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان
نظره الى الخالق لزم الاستقامة في كل حال
وزين باطنه بالحب لله والحكمة وزين ظاهره بالعبادة
لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة
اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك
العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم
وبكف الاذى عن العباد والله تعالى ولي
التوفيق والارشاد **الباب الثالث**
في تعليم ما جهلوا اعلم ايدك الله بفضل
منه ان الانسان يحتاج في تعيشه الى
مخالطة من هو من جنسه ولا يتم امر المخالطة
الا بعد تعلم ادب المخالطة وكل مخالط ففي
مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه

على قدر الرابطة التي بها وقعت المخالطة
والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة
الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة
السفر واما الصحبة في شركة التعلم فلكل واحد
من الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن
حق الرحم المحرم اكد وللرحم المحرم حق ولكن
حق الوالدين اكد وكذلك حق الجار يختلف
بحسب قربه من الدار وبعده ويظهر التفاوت
عند النسبة وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد
المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف
بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع والمعرفة
بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة
تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في شركة التعلم
اكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة
تتفاوت فانها اذا قويت صارت اخوة فان
ازدادت صارت محبة ثم خلة والمحبة ما
يتمكن من حبة القلب والخلة ما يتخلل نفس القلب

فمعنى كون الخلة فوق الاخوة ان لفظ الخلة
عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة قال عليه
الصلوة والسلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل
هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا
وباطنا ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه
صلى الله عليه وسلم سوى حب الله تعالى وقد
منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع ان اتخذ
عليا رضي الله عنه اخا وكان صلى الله عليه
وسلم حبيب الله وخليله وروي انه صعد المنبر
يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله اتخذني خليلا
كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل
الله فاذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة
درجة وبالجملة فحقوق الاسلام كثيرة فمن
جملتها حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق
الوالدين وحق ملك النكاح وملك اليمين وحق
الجار قال في فتاوى قاضيخان رجل اتخذ بستانا

وغرس فيها اشجارا بجنب داره جاره قال ابو
القاسم رحمه الله ليس في هذا تقدير ويجب
ان يتباعد من جاره قدر ما لا يضره بداره
انتهى فيسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه
ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات
ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه
ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب
لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وقال معاذ
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث و
وفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ
الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام
وخفض الجناح وروى انس رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربع
من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان
تستغفر لهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى

رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم و
طالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح
من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم
بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه
وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال
اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومن الحقوق
ان يحب للكافة من المؤمنين ما يحب لنفسه
ويكره لهم ما يكره لنفسه قال عليه السلام المسلم
من سلم المسلمون من لسانه ويده وقيل الناس
رجلان مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله
ومن الحقوق ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر
عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور ومن
الحقوق ان لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلثة
ايام مهما غضب عليه روى مسلم في صحيحه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفتح
ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر
لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت

قيل فتح ابواب الجنة مجاز عن كثرة
الغفران واعطاء المنازل وقال
القاضي يحتمل ان يكون على ظاهره
لان الجنة مخلوقة وفتح ابوابها
يكون علامة لذلك
منه

بينه وبين اخيه شحناء فيقال انظروا هذين
حتى يصطلحا يعني يقول الله تعالى للملائكة
النازلة بهدايا المغفرة امهلوا ولا تعطوا منها
انصباء الرجلين اللذين بينهما عداوة حتى ترتفع
ويقع بينهما الصلح وقال ابو ايوب الانصاري
قال صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر
اخاه فوق ثلث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض
هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقال عكرمة
قال الله تعالى ليوسف عليه السلام بعفوك
عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين ومن الحقوق
ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع
لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى علي
ابن الحسن عن ابيه عن جده قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف
الى اهله فان لم تصب اهله فانت اهله و
باسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأس العقل بعد الايمان التودد الى

الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر
ومن الحقوق ان لا يدخل على احد منهم الا
باذن فان لم يؤذن له انصرف قال ابو
هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاستيذان ثلثا فالاولى
يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة
يأذنون او يردون ومن الحقوق المعاملة
بحسن الخلق ومن الحقوق ان يوقر المشايخ
ويرحم الصبيان قال جابر رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا
والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام من
اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم
ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين
ايديهم الا باذن وفي الخبر ما وقر شاب
شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه من يوقره

وهذه اشارة بدوام الحيوة قال الغزالي
رحمه الله فليتنبه له فلا يوفق ليتوقر الشيوخ الا
من قضى الله له بطول العمر ومن الحقوق
ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه
وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون على من
حرمت النار فقالوا الله ورسوله اعلم قال
على اللين الهين السهل القريب وروى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة غرفا
يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها
فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن
طيب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل و
الناس نيام وقال انس رضي الله عنه عرضت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت
لي معك حاجة وكان معه ناس فقال معه
ناس فقال صلى الله عليه وسلم اجلسي في اي
نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس
اليها حتى قضت حاجتها ومن الحقوق ان لا

يعد مسلما بوعد الا ويوفي به قال صلى الله عليه
وسلم العدة دين وقال صلى الله عليه وسلم
ثلاث في المنافق اذا حدث كذب واذا وعد
خلف واذا ائتمن خان ومن الحقوق ان ينصف الناس
على نفسه ولا يأتي اليهم الا بما يحب ان يؤتى اليه
قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل عبد الايمان
حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار
والانصاف من نفسه وبذل السلام ومن الحقوق
ان يزيد في توقير من يدل هيئاته وثيابه على
علو منزلته فينزل الناس منازلهم قال في فتاوى
قاضيخان قوم يقرؤن القرآن من المصاحف
او يقرأ رجل واحد فدخل عليهم واحد من الاجلة
والاشراف فقام القارئ لاجله قالوا ان
دخل عليه عالم او ابوه او استاذه الذي
علمه العلم جاز له ان يقوم لاجله وما سوى
ذلك لا يجوز انتهى فانظر كيف جوز الفقهاء
رحمهم الله تعظيم الاجلة والاشراف للقارئ

وروي ان عايشة رضي الله عنها كانت في سفر
فنزلت منزلا فوضعت طعامها فجاء سائل فقالت
عايشة ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل
على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين
المسكين قرصا وتستدعين الغني الى الطعام
فقالت ان الله تعالى قد انزل الناس منازل
لا بد لنا ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين
يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني على
هذه الهيئة قرصا وروي انه صلى الله عليه وسلم
دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى امتلأ
المجلس فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد
مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم رداءه فالقاه اليه وقال له اجلس
على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل
يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك
الله عز وجل كما اكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه

وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم
فاكرموه وكذلك كل مؤمن له حق قديم فليكرمه
ومن الحقوق ان يصلح ذات البين من المسلمين
مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة
والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين ومن
الحقوق ان يستر عورات المسلمين كلهم قال
صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله
في الدنيا والاخرة قال الغزالي رحمه الله
وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش
فان افحشها الزنا وقد نيط باربع من العدول
يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالميل في
المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي
تحقيقا لم يكن له ان يكشف فانظر الى الحكمة في
حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو
اعظم العقوبات ثم انظر الى كيفية ستر الله
تعالى كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق

الطريق في كشفه فنرجوا ان لا نحرم هذا الكرم
يوم تبلى السرائر ان شاء الله تعالى وعن عبد
الرحمن بن عوف قال حرست مع عمر ليلة
بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا
فلما دنونا منه اذا باب مغلق على قوم لهم لغط
واصوات فاخذ عمر بيدي وقال اتدري بيت
من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية
ابن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت ارى
انا اتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا
فرجع عمر وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر
وترك التتبع ومن الحقوق ان يتقي مواضع التهم
صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم
عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله تعالى بذكره
وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا
الله عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم
كيف ترون من يسب ابويه فقالوا هل من احد

يسب ابويه فقال نعم يسب ابوي غيره فيسب
ابويه ومن الحقوق ان يشفع لكل من له حاجة
من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى في
قضاء حاجته بما يقدر عليه روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من صدقة افضل
من صدقة اللسان قيل وكيف قال الشفاعة يحقن
بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها
المكروه عن آخر ومن الحقوق ان يبدأ كل مسلم
بالسلام قبل الكلام ولا ينبغي ان يسلم على القارئ
كيلا يشغله عن القراءة فان سلم عليه قال بعضهم
لا يجب رد السلام على القارئ وقال بعضهم يجب
وهو اختيار الفقيه ابي الليث ولا يسلم على احد
وقت الخطبة كما لا يشمت العاطس واذا علم
وقت الخطبة لا يجب على السامع رد السلام
وكذا السائل اذا اتى باب دار انسان فقال
السلام عليكم لا يجب رد السلام عليه وكذا
اذا سلم على القاضي في المحكمة كذا في فتاوى

قاضيخان والانحناء عند السلام منهي عنه
قال انس رضي الله عنه اينحني بعضنا لبعض
قال صلى الله عليه وسلم لا قال فيقبل بعضنا بعضا
قال لا قال فيصافح بعضنا بعضا قال نعم و
الالتزام والتقبيل قد ورد عند القدوم من السفر
وقال ابو ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا
صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت
جئت وهو على سرير فالتزمني ويصافحه عند السلام
قال صلى الله عليه وسلم من بدأ بالكلام قبل
السلام فلا تجيبه حتى يبدأ بالسلام والمصافحة
ايضا سنة مع السلام وفي فتاوى قاضيخان
ولا بأس للرجل مصافحة العجوز التي لا تشتهى
وان تغمز رجله وكذا لو كان الرجل شيخا يأمن
على نفسه وعليها فلا بأس بان يصافحها وان
كان لا يأمن لا يحل انتهى والاخذ بالركاب في
توقيرا العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس رضي
الله عنه ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر

رضي الله عنه بعضد زيد حتى رفعه وقال
هكذا فافعلوا بزيد وباصحاب زيد وجاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
سلام عليكم فقال صلى الله عليه وسلم عشر
حسنات فجاء اخر فقال سلام عليكم ورحمة الله
فقال عشرون فجاء اخر فقال سلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فقال صلى الله عليه وسلم ثلثون
وكان انس رضي الله عنه يمر على الصبيان
فيسلم ويروى عنه عليه الصلوة والسلام
انه فعل ذلك ومن الحقوق تشميت العاطس
كما مر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا اذا
عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين
فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله
فاذا قال ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاطسا و
لم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله

وانت سكت وقال صلى الله عليه وسلم تشميت
المسلم اذا عطس ثلثا فان زاد فهو زكام وقال
ابو هريرة رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته
واستتر بثوبه او يده وقال ابو موسى رضي الله
عنه كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول رحمكم
الله فكان يقول صلى الله عليه وسلم يهديكم
الله وقال صلى الله عليه وسلم من عطس عنده
فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته ومن الحقوق
انه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه
وقال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالف
الفاجر مخالفة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن
في الظاهر وقال ابو الدرداء رضي الله عنه انا
لنبش في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم و
هذا معنى المداراة مع من يخاف شره قال الله
تعالى ادفع بالتي هي احسن قال ابن عباس في

قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة اي
الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال
في معنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض الرغبة والرهبة والحياء والمداراة
وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه
السلام ايذنوا فبئس رجل العشيرة فلما دخل
الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة
فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت والان
النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس
منزلة عند الله تعالى يوم القيمة من تركه
الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى المرء به
عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس
باعمالهم وزايلوهم بالقلوب ومن الحقوق ان
يكون اكثر مخالطته بالمساكين وان يحسن الى
الايتام قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه
ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنياء وثلثة

للنساء وواحد للفقراء والمساكين وقال الفضيل
بلغني ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لي
ان اعلم رضاك عني قال كيف رضى المساكين
عنك واما اليتيم فقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين
حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال
صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة
كهاتين وهو يشير باصبعيه ومن الحقوق
النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور
في قلبه قال صلى الله عليه وسلم ان احدكم
مرآة اخيه فاذا رأى شيئا فليمط عنه وقال
صلى الله عليه وسلم من اقر عين مؤمن اقر
الله عينيه يوم القيمة وقال عليه السلام
انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصره
ظالما فقال يمنعه من الظلم وفيه معنى لطيف
وهو ان نصرة الظالم من حيث هو مظلوم
فان الشيطان ظلمه بما وسوس اليه في صدره

من ظلمه غيره فتنصره بان تعينه على دفع
ما القى الشيطان عنده من تزيينه ظلم الغير
فما نصرته الا لكونه مظلوما ممن وسوس في
صدره وحال بينه وبين الهدى الذي هو له
ملك فاتبعهم منه الشيطان بالضلالة واشترى
الضلالة بالهدى فسمي ظالما واذا بنت له بنصحائه
وافتيته ان هذا البيع مفسوخ لا ينعقد شرعا
وان صفقته خاسرة فقد نصرته مع كونه ظالما
فرجع عن ظلمه وتاب وذلك هو فسخ البيع
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وقال صلى
الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء
من الشر الشرك بالله والضير لعباد الله و
خصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله
والنفع لعباد الله ومن الحقوق ان يعود مرضاهم
والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق
ونيل فضله واداب العايد خفة جلسته وقلة

السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية و
غض البصر عن عورات الموضع وقال صلى الله
عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم
يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو
وتمام تحياتكم المصافحة وقال عثمان رضي الله
عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك
بالله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد من شر ما تجد قاله مرارا
ودخل صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله
عنه وهو مريض يعوده فقال له قل اللهم اني
اسألك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك او
خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى
احديهن ويستحب للعليل ان يقول اعوذ بعزة
الله وقدرته من شر ما اجد وقال علي رضي الله
عنه اذا شكى احدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا
من صداقها فليشتر به عسلا ويشرب بماء السماء

فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك
وجملة اداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى
والضجر والفزع الى الله والتوكل بعد الدواء
على خالق الداء ومن الحقوق ان يشيع جنائزهم
قال صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله
قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان
وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث
فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه ماله واهله
وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ومن
الحقوق ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك
الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله
عليه وسلم ما رأيت منظرا الا والقبر افظع
منه والحاصل ان هذه جمل تعلمك وتنبهك
على اداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة
الجامعة ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان
او ميتا الا اذا رأيت منكرا في الدين فعادى
افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم

واذا سألت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ
مستفاد فان لم يقضها فلا تعاتبه فيصير عدوا
يطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا
ترى فيه مخايل القبول ولا يسمع منك ويعاديك
ولكن وعظك ارسالا من غير تنصيص على شخص
ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى
سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا
بلغك منهم غيبة كانت ما كانت فكل امرهم
الى الله واستعذ بالله من شرهم وكن فيهم سميعا
لحقهم اصم عن باطلهم ناطقا لحقهم صامتا عن
باطلهم ولا تعول على مودة من لم تختبره حق
الخبرة بان تصحبه مدة فتجربه فى عزله وولايته
وغناه وفقره او تسافر معه او تعامل فى الدينار
والدرهم او تقع فى شدة فتحتاج اليه فان
رضيته فى هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان
كان كبيرا وابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان
مثلا لك لكن الجوار يقتضى حقا وراء ما يقتضيه

اخوة الاسلام فيستحق الجار ما يستحقه
كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله عليه وسلم
الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان
وجار له ثلثة حقوق فالجار المسلم ذو الرحم
فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم
واما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار
وحق الاسلام واما الذى له حق واحد
فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا
بمجرد الجوار وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار
وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال صلى الله
عليه وسلم هى فى النار وجاء رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال
له صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له فى الثالثة
او الرابعة اطرح متاعك على الطريق فجعل الناس
يمرون به فيقولون ما لك فيقال اذاه جاره

فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد
متاعك فوالله لا اعود وقال مجاهد كنت عند
عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغلام له يسلخ
له شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا
اليهودي قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا
فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل
يوصينا بالجار حتى ظننا انه سيورثه وقال هشام
كان الحسن رضي الله عنه لا يرى بأسا ان يطعم
اليهودي والنصراني من اضحيته وقال عبد الله
قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت
او اسأت قال عليه السلام اذا سمعت جيرانك
يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم
يقولون قد اسأت فقد اسأت وقال صلى الله
عليه وسلم ان من شعار المرء المسلم المسكن
الواسع والجار الصالح والمركب الهني وعن ابي
هريرة رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاصحابه من يأخذ هذه الكلمات

فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن قال ابو هريرة
انا يا رسول الله فاخذ بيدي فعد خمسا فقال
اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم
الله تعالى لك تكن اغنى الناس واحسن الى
جارك تكن مؤمنا واحب لاخيك ما تحب
لنفسك تكن مسلما فعلم من هذا ان الجار يستحق
ما يستحقه كل مسلم وزيادة فلهذا كررنا
ذكره وبالجملة ان الاخبار والآثار في الجار
كثيرة لا تحصى **فصل** في بيان حقوق
الاقارب اجمالا قال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت
لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بتته وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى
عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا
وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على
الحقوق وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم
اعلم ان حق الوالدين والولد اكد فانه اذا تاكد

حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها
الولادة لتتضاعف تأكد الحق قال صلى الله عليه
وسلم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا
فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم
بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج
والعمرة والجهاد في سبيل الله عز وجل وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا لابويه
اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة وان امسى
مثل ذلك وان كان واحدا فواحد ومن اصبح
مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى
النار وان امسى مثل ذلك وان كان واحدا فواحد
وان ظلما وان ظلما وان ظلما قاله ثلثا وقال
صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل
الرجل اهل ود ابيه وقال صلى الله عليه وسلم
الوالدة اسرع اجابة من الاب قيل يا رسول الله
ولم ذاك قال هي ارحم من الاب ودعوة الرحم
لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر

قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال
بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك
لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم
رحم الله والدا اعان ولده على بره اي لم يحمله
على العقوق بسوء عمله وقال انس رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام
يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى
فاذا بلغ ست سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلثة
عشر ضرب على الصلوة والصوم فاذا بلغ ستة
عشر زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال ادبتك
وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك في
الدنيا وعذابك في الاخرة وقال صلى الله عليه
وسلم من حق الولد على الوالدين يحسن ادبه
ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين
او رهينة بعقيقة يذبح عنه يوم السابع
ويحلق رأسه وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك
فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه

قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق بالولد
ورأى الاقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من
الولد ما قبلت واحدا منهم فقال صلى الله عليه
وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فهذه الاخبار
دالة على تاكد حق الوالدين لكون الرابطة اكد
من الغير حتى ان عند اكثر العلماء ان اطاعة
الابوين واجب في الشبهات فليس لك ان تسافر
في مباح او نافلة الا باذنهما فلا تخرج الى طلب
العلم الا اذا كان خروجك لطلب علم الفرض من
الصلوة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك
قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه هاجر
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اليمن واراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن
ابواك قال نعم قال هل اذنا لك فقال لا فقال
عليه السلام ارجع الى ابويك فاستاذنهما فان
فعلا فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك

خير مما تلقى الله به بعد التوحيد واما حقوق
ملك النكاح فالعلم بها بالعلم باداب المعاشرة وما
يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما
على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال
والادب في امر الوليمة والمعاشرة والرعاية والسياسة
والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتاديب
بالنشوز والوقاع وغيرها اما الوليمة فهي
مستحبة قال انس رضي الله عنه رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن
عوف اثر الصفرة فقال ما هذا قال تزوجت
امرأة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله
لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صفية بسويق وتمر واما المعاشرة
فحسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما
عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن
بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على
سوء خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل ما

أعطي ثواب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق
زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة
فرعون وأما الرعاية فهو أن يزيد على احتمال الأذى
بالمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء
فقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل
إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى
روي أنه صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة رضي
الله عنها في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض
الأيام فقال صلى الله عليه وسلم هذه بتلك
وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت أصوات أناس
من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم عاشوراء فقال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترى
لعبهم فقلت نعم فأرسل إليهم فجاؤوا وقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه
على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وهم
يلعبون وأنا أنظر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول حسبك وأقول اسكت مرتين أو ثلاثا ثم

قال يا عائشة حسبك فقلت نعم فأشار إليهم
فانصرفوا وأما السياسة فهو أن لا يبسط في
الرعاية وحسن الموافقة باتباع هواها إلى حد
يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها
بل يراعي الاعتدال في ذلك ولا يدع الهيبة والانقباض
مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات
البتة مهما رأى ما يخالف الشرع تنمر وامتعض
قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة و
إنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو
عبدها وقد تعس فإن الله تعالى ملكه المرأة
فملكها نفسه فقد قلب القضية وعكس الأمر
وأطاع لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
إذ حق الزوج أن يكون متبوعا لا تابعا وسيدا
وقواما قال تعالى وألفيا سيدها لدى الباب
الرجال قوامون على النساء وأما الغيرة فالمعتبر
الاعتدال وهو أن لا يتغافل عن مبادي الأمور
التي يخشى غوائلها ولا يبالغ في إساءة الظن

والتعنت وبحسن البواطن فقد نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن تتبع عورات
النساء وأما الغيرة التي في محلها لا بد منها
فهي محمودة قال صلى الله عليه وسلم اني
لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس
القلب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابنته فاطمة رضي الله عنها اي شيء خير
للمرأة فقالت ان لا ترى رجلا ولا يراها
رجل فضمها اليه قال ذرية بعضها من بعض
واستحسن قولها وكان اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى
في الحيطان لئلا تطلع النساء الى الرجال
وأما النفقة فالاعتدال فيها فلا ينبغي ان
يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف
بل يقتصد قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا
وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية وأما التعليم

فهو ان يعلم ما يلزم ان تعلم الزوجة ويعلم
زوجته احكام الصلوة واعتقاد اهل السنة
ويزيل عن قلبها بدعة ويخوفها بالله تعالى اذا
تساهلت في امر من امور الدين وأما القسم
فينبغي اذا كان له نسوة ان يعدل بينهن ولا
يميل الى بعضهن وأما النشوز فينبغي ان ينصلح
ما بينهما ان كان الخصام من جانبهما جميعا
وأما اذا كان من المرأة خاصة فالرجال قوامون
على النساء فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة
بتدريج بالوعظ والتحذير ثم ضرب غير عنيف
وأما الوقاع فيستحب ان يبدأ ببسم الله الرحمن
الرحيم قال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم
اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب
الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد
لم يضره الشيطان هذا بعض آداب ملك النكاح
فاما ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا مثله
لا بد من مراعاتها فقد قال صلى الله عليه وسلم

اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما
تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم
ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم
فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله
ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال عليه
السلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف
ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وروى فضالة
ابن عبيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثلثة لا يسأل عنهم رجل فارق
الجماعة او عصى امامه فمات عاصيا فلا
يسأل عنهم وامرأة غاب عنها وقد كفاها مؤنة
فتبرجت بعده فلا يسأل عنها وثلثة لا يسأل
الله عز وجل عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه
الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من الله
تعالى والقنوط من الرحمة نعوذ بالله منه والحاصل
ان من تعلم ما شرعه الله تعالى من ادب المحافظة
وعمل بمقتضاه فقد علم ما جعل اللهم ارنا الحق

حقا وارزقنا اتباعه

الباب الرابع

في بيان اعانتهم على البر والتقوى وستر عوراتهم
اعلم ايدك الله وايانا ان هذا البيان انما
يحصل بالاحتساب والاحتساب انكاره عليه
وتقديمه الخير واعتداده فيما يدخر عند الله تع
اذ الاحتساب هو الامر بالمعروف اذا ظهر تركه
والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله فالحسبة امر لازم
فلهذا قيل القضاء باب من ابواب الحسبة وجزء
من اجزائها ودونوا فيها كتبا وكيف لا والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر من اعظم امور الدين
وهو المهم الذي بعث الله له الانبياء والمرسلين
وفي اهمال علمه ومساهلة عمله تعطيل الديانة
وافشاء الضلالة فيستولي على القلوب مداهنة
الخلق بحيث ينمحي عنها الخوف عن الخالق فيدل على
فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اشارات
العقول السليمة اليها واجماع الامة عليها مع
ورود الآيات والاخبار والآثار فيها اما الآيات

فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية ففي
هذه الاية بيان انه فرض كفاية لا فرض عين
وانه اذا قام به امة سقط عن الباقين اذ قال
عز من قائل ولتكن منكم ولم يقل كونوا آمرين
فههنا قام به واحد او جماعة سقط عن الاخرين
وان سكتوا كلهم عم الحرج عليهم كافة وقال الله
تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون
بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من
الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان
بالله واليوم الاخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والمسارعة في الخير وقال تعالى
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية وقال
تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان

داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
لبئس ما كانوا يفعلون فشدد الله التنكير اذ علل
استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال
تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر الاية وهذا يدل على
فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا خير
امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم
استفادوا النجاة بالنهي عن السوء وقال تعالى
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة و
اتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
الاية فقرن ذلك بالصلوة والزكوة في نعت
المؤمنين وقال تعالى وتعاونوا بالبر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ومعنى التعاون
الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبيل الشر

والعدوان بحسب الامكان وقال تعالى لولا
ينهيهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين
انهم اثموا بالترك وقال تعالى فلولا كان من
القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد
في الارض الآية فبين انه اهلك جميعهم الا
قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد في الارض
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين
والاقربين الآية وذلك هو الامر بالمعروف
للوالدين والاقربين والاقربون اولى بالمعروف
في حكم الشرع والاقربون على نوعين قرابة
طينية وهي قرابة النسب وقرابة دينية والمعتبر
في الشرع القرابة الدينية وان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لا يتوارث اهل ملتين فلولا الدين
ما ورث قرابة الطين شيئا وقال تعالى لاخير
في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف

او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك
ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا
عظيما واما الاخبار فمنها ما روي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبته
ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتاركوها
على خلاف تأويلها يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على
ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله
بعذاب من عنده وقال ابو ذر الغفاري رضي
الله عنه قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم
يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل
من الشهداء احياء مرزوقون يمشون على الارض
يباهي الله تعالى بهم ملائكة في السماء وتزين

لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله ومن
هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون عن
المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله قال
والذي نفسي بيده وان العبد منهم ليكون في
الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة
منها ثلثمائة الف باب بابٌ منها الياقوت والزمرد
الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج
ثلثمائة الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت
الى واحدة منهن ينظر اليها يقول اتذكر يوم كذا
وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت
الى واحدة منهن ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف
ونهى عن منكر وقالت عايشة رضي الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل
قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبيا
قالوا يا رسول الله كيف قال لم يكونوا يغضبون
لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر

وخرج البخاري ومسلم عن اسامة بن زيد
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى
في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها
كما يدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع
اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم
تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى
كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر و
آتيه وزاد في رواية مسلم قال واني سمعته
عليه السلام يقول مررت ليلة اسري بي باقوام
تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء
يا جبرئيل قال الخطباء امتك الذين يقولون ما لا
يفعلون وعن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما
مما ينفع الله به في امر الناس في الدين الجمه يوم
القيمة بلجام من نار وعن انس رضي الله عنه
انه قال صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل

جمع قتب وهو المعا كذا في القاموس

على العباد ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في
الدنيا فاذا دخلوا في الدنيا وخالطوا السلطان
فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم وعن معاذ بن جبل
رضي الله عنه انه قال تعرضت او تصدّيت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف
بالبيت فقلت له يا رسول الله اي الناس شرّ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهمّ
غفراً سل عن الخير ولا تسأل عن الشرّ شرار
الناس شرار العلماء وعن ابن عباس رضي الله
عنه قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها
الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال
بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله تعالى وقال
ابن مسعود رضي الله عنه كان اهل قرية يعملون
بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون
فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل
ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا
يردّون عليه ولا يرجعون عن اعمالهم فسبّهم

فسبّوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزلهم ثمّ قال
اللهمّ اني قد نهيتهم فعصوني وسببتهم فسبّوني
وقاتلتهم فغلبوني ثمّ ذهب ثمّ قام الآخر
فنهاهم فلم يطيعوه فسبّهم فسبّوه فاعتزل
ثمّ قال اللهمّ اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو
سببتهم لسبّوني ولو قاتلتهم غلبوني ثمّ ذهب
ثمّ قام الرابع فقال اللهمّ اني قد نهيتهم عصوني
ولو سببتهم لسبّوني ولو قاتلتهم غلبوني ثمّ ذهب
قال ابن مسعود رضي الله عنه كان الرابع ادناهم
منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن مسعود رضي
الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً الا وله حواريّ فيمكث
النبيّ بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب
الله تعالى وبامره حتى اذا قبض نبيّه مكث الحواريون
يعملون بكتاب الله وبامره وسنّة نبيّهم فاذا
انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس
المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون

فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده
فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
ليس وراء ذلك اسلام وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم
فلا يستجاب لهم معناه يسقط مهابتهم عن اعين
الشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم
ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كرمية
في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله
عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كرمية
في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا
يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر
بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه
والاخبار الواردة في ذلك كثيرة لا تحصى واما
الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن
بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم

ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم و
وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا
يغفر لكم وسئل حذيفة رضي الله عنه عن
ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده
ولا بلسانه ولا بقلبه وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد
الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد
بقلوبكم فاذا لم تعرف القلوب المعروف ولم
تنكر المنكر انتكست وجعل اعلاها اسفلها
وقال سهل ايما عبد عمل في شيء من دينه
بما امر به او نهي عنه وتعلق به عند فساد الامور
وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله
تعالى في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها
وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية
في حقه وقيل للفضيل الا تنهى وتأمر فقال ان قوما
امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على

منا اصيبوا وقيل للثوري الا تأمر بالمعروف
وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر
يسكنه **فصل** في بيان مراتب الحسبة اعلم
ان الحسبة لها مراتب اوليها التعريف فان المقدم
على المنكر قد يقدم بجهله فاذا عرف انه منكر
تركه كالسوادي يصلي ويترك بعض الاركان
ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله
بان هذا ليس بصلوة ولو رضي بان لا يكون
مصليا لترك اصل الصلوة فيجب تعريفه باللطف
من غير عنف وذلك لان في ضمن نسبته الى
الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان
بان ينسب الى الجهل بالامور الدينية لا سيما
بالشرع والثانية الوعظ بالكلام اللين اللطيف
اذ تأثيره اكثر من الكلام الشديد العنيف فلهذا
قيل اللين اقوى من الشدة قريب مستقيم له عوج
نزال عوجه باللين اكثر مما نزال بالشدة بل الشدة
تضره فينكسر بها واللين من مكارم الاخلاق

قال القاموس بثق العين بثقا اسرع
ومعها والنهر بثقا وبثقا فانبثق اسرع
جريه وكسر ماؤه

قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب
مكارم الاخلاق قال صلى الله عليه وسلم
ويبغض سفسافها وقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك الاية ويدل على وجوب الرفق
ما استدل به المأمون اذ وعظه واعظ
وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث
الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره
بالرفق فقال الله تعالى فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب
في الرفق بالانبياء فقد روى ابو امامة ان
شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
نبي الله اتأذن لي في الزنا فصاح الناس به
فقال عليه السلام ادنوه فدنا حتى جلس بين يديه
فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك فقال
جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم
اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال

صلى الله عليه وسلم كذلك الناس لا يحبونه
لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه
ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحدة
لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم
يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في
حديثهما يعني ابن عوف والراوي الاخر فوضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره
وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه
فلم يكن شيء ابغض اليه منه يعني من الزنا
ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجل وعليه صفرة فكرهه فلم يقل شيئا حتى
خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع
هذه يعني الصفرة وقال صلى الله عليه وسلم في
نهي الاعرابي الذي بال في المسجد ان هذه المساجد
لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء فانظر
كيف رفق النبي صلى الله عليه وسلم والثالثة
الشدة بالكلام العنيف اذا اقتضاه ويقول يا احمق

يا جاهل الا تستحيي الا تخاف من الله وما
يجري هذا المجرى والرابعة المنع بالقهر بطريق
المباشرة باختطاف الثوب الحرير من رأسه و
استلاب المنديل المغصوب من يده ورده الى
صاحبه وكسر الملاهي واراقة خمر المسلمة
لشاربها هذا اذا كان مأذونا من جهة الامام
والوالي واما اذا لم يكن فالاكتفاء بالثالثة
او الثانية اذ ربما يؤدي الى فساد اكبر والخامسة
التخويف والتحذير والتهديد بالضرب من
جهة الحكام او مباشرة الضرب له حتى يمتنع
عنه ان كان من جهتها ولا يشترط ان
يكون متعاطي الاحتساب معصوما عن المعاصي
كلها فان شرط ذلك هو خرق للاجماع
لكن ينبغي للمحتسب ان لا يدخل في جملة من قال
الله فيهم اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
الاية ولعدم كون العصمة شرطا في الحسبة
قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ان لم يأمر

بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه
شيء لم يأمر احد بشيء وقوله اتأمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم
نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم
ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم
وتأكيدا للحجة عليهم وقوله تعالى لم تقولون
ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب قال
حجة الاسلام في الاحياء فان زعموا ان
ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس
الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول هل
لشارب الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم
بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع
اذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر
وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من
الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب
الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا لا

قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ
جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة
الى الشرب كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا
فرق فان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان
كل مقدم على شيء لا يمنع عن مثله ولا عما دونه
وانما يمنع عما فوقه هذا الحكم فانه كما لا يبعد
ان يمنع الشارب من الزنا فمن اين يبعد ان
يمنع الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب
ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول يجب
على الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني من العصيان
باحدهما ان اعصي الله تعالى بالثاني وكان
النهي وجب على فمن اين سقط وجوبه باقدامه
اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر
عليه ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي
انتهى واعلم ان الحسبة على ما فيه الحسبة و
هو ان يكون منكرا موجودا في الحال ظاهرا
للمحتسب بغير تجسس معلوما مع كونه منكرا

بغير اجتهاد فالاول اعني كونه منكراً ان يكون
محذوراً لوقوع في الشرع اما لكون الشيء معروفاً
ظهر تركه واما لكونه منكراً ظهر فعله والثاني
اعني كونه موجوداً في الحال ان لا يكون مثلاً
على من فرغ من شرب الخمر او سوف يشرب
او سيشرب بقرينة حاله انه عازم على الشرب
في ليلته فلا حسبة على مثل هذا الا بالوعظ
فان انكر عزمه عليه لم يجز ايضاً وعظه فيه
فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في
قوله وربما لا يقدر على ما عزم عليه لعائق والثالث
اعني كونه ظاهراً للمحتسب بغير تجسس ان لا يجوز
ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى وقد اوردنا
فيما سبق القصة المشهورة وهي قصة عمر و
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكذلك
روي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل
فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال الرجل
يا امير المؤمنين ان عصيت الله من وجه فقد

عصيته من ثلاثة اوجه فقال لما هي فقال
قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست
وقال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت
من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم
حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها الاية فتركه
عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة والرابع
اعني كونه معلوماً مع كونه منكراً بغير اجتهاد
ان لا يجوز الحسبة في ما هو في محل الاجتهاد
فليس على الحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضبع
والضب ومتروك التسمية ولا على الشافعي ان
ينكر على الحنفي شربه النبيذ ليس بمسكر وتناوله
ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها
بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد و
الحاصل ان ما يتصور من المسائل وهي احكام
الافعال في الحل والحرمة يقال فيه المجتهد قد
يخطئ ويصيب وهو الذي لا يعترض على المجتهد
فيه اذ لا يعلم خطاءهم قطعاً بل ظناً بخلاف

فكل مجتهد مصيب ابتداء بالنظر الى الدليل وقد
يخطئ انتهاء بالنظر الى الحكم لان الحق واحد
معين مثال المجتهد فيما يصيب ويخطئ كما في الحادث
الذي يقسم بينهم فروسية ثم من السهم من الغوص عن
فاذا اصاب المجتهد في الحكم فله اجران وان اخطأ فيه
فله اجر واحد لكن المقلد نعتقد ان
امامه مصيب يحتمل الخطأ
وسوى كان امامه يحتمل
صواب

قول المعتزلي ان الله تعالى لا يرى وقوله
ان الخير من الله وان الشر ليس من الله وقوله
كلام الله مخلوق وبخلاف الحشوي في قوله
ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش
وبخلاف الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث
وانما تبعث النفوس فان ما قالوه مما ذكر بدع
لان هذه المسائل التي ذكروها مما لا يتصور
ان لا يكون المصيب فيه الا واحدا كمسئلة الرؤية
مثلا فهذا مما يعلم خطاء المخطي فيه قطعا فينكر
على المبتدعين بدعتهم وان اعتقدوا انها الحق
لان خطاءهم معلوم على القطع بخلاف الخطاء
في مظان الاجتهاد واعلم ان البدعة التي تظهر
في بلدة انت فيها فان كانت البدعة غريبة و
الناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه
حسبما يتيسر وان انقسم اهل البلدة الى اهل
البدعة واهل السنة وكان في الاعتراض تحريك
الفتنة فليس للآحاد الحسبة في مذاهب البدع

الا بنصب السلطان وان كان الحسبة في
البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات وقد
بين الفقهاء رحمهم الله اهل السنة والجماعة
قال في التاتارخانية نقلا عن المضمرات
روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه
قال المؤمن اذا احب اهل السنة والجماعة
استجاب الله دعاءه وقضى حوائجه وغفر له
الذنوب وكتب له براءة من النار وبراءة من
النفاق وفي خبر عن عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان
يؤمن بالله ومن كان على السنة والجماعة كتب
الله له بكل خطوة يخطوها عشر حسنات و
رفع له عشر درجات فقيل يا رسول الله متى
يعلم الرجل انه من اهل السنة والجماعة قال
اذا وجد في نفسه عشرة اشياء فهو على السنة
والجماعة ان يصلي الصلوات الخمس بالجماعة
ولا يذكر واحدا من الصحابة بسوء ومنقصة

ولا يخرج على السلطان بالسيف ولا يشك في
إيمانه ويؤمن بالقدر خيره وشره من الله
تعالى ولا يجادل في دين الله تعالى ولا يكفر
أحداً من أهل التوحيد بذنب ولا يدع الصلوة
على من مات من أهل القبلة ويرى المسح على
الخفين جائزاً في السفر والحضر ويصلي خلف كل
بر وفاجر انتهى وقال أيضاً وسئل أبو بكر
العياض عن الرجل هل يعلم أنه على مذهب أهل
السنة والجماعة فقال إذا رجع إلى كتاب الله
وسنة رسوله وإلى ما قاله السلف الصالح
هو على مذهب أهل السنة والجماعة فإذا
عرفت هذا فاعلم أن بين المحتسب المنصوب
والمحتسب المتطوع فرقاً من وجوه الأول
أنه إذا عجز المتطوع عن الاحتساب هو معذور
وإذا عجز المحتسب المنصوب هو غير معذور
لأنه يمكنه أن يستعين بأعوانه فإن لم يكفه
بأعوانه فبأعوان السلطان وأما ثواب الاحتساب

فلا ينال إلا بفعله لأن الثواب والأجر جزاء
العمل وذلك بإنكاره بلسانه أو بقلبه فقط
بقول إن هذا منكر لقول ابن مسعود رضي الله
عنه حسب امرئ منكم إذا رأى منكم منكراً لا
يستطيع له تغييراً أن يعلم أنه من قلبه أنه كاره
وعن بعض الصحابة أنه قال إذا رأى منكراً لا
يستطيع التنكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم
أن هذا منكر إذا قال ذلك فله ثواب من أمر بالمعروف
ونهى عن المنكر والثاني أن المحتسب المنصوب
كفايته في بيت المال من الجزية والخراج ونحوهما
لأنه عامل للمسلمين محبوس لهم فيكون كفايته
لهم في مالهم وصار كأرزاق الولاة والقضاة
والغزاة والمفتين والمعلمين كما في الملتقط بخلاف
أي المتطوع غير المنصوب
المتطوع والثالث أنه إذا رأى المودع سارقاً
يسرق الوديعة فلم يمنعه وهو يقدر على منعه
ضمنه لأن بترك المنع ترك الحفظ الملتزم
فيضمن أما المنصوب فلا يضمن فيما قصر فيه

لأنّ التضمين لا يلحق الحاكم ونحوه والّا لامتنع
الناس عن التقلّد فيلزم الضرر العامّ ولو
امتنع الناس عن الاستيداع يلزم الضرر الخاصّ
فافترقا والرابع ما ذكر في الفصل الرابع
عشر من جنايات الذخيرة حفر بئرا في الطريق
العامّ ليستقي منها المياه فوقع فيها انسان
ضمن وان كان ما اقام حسبة لأنّه جناية
من حيث انّه ابطل حقّ المرور على الناس وابطل
الرأي والتدبير على الامام ايضا لأنّه فعله بغير
اذنه وفعل ذلك منه جناية والامام لو فعل
ذلك لا يضمن لأنّه صاحب ولاية انتهى وقال
حجّة الاسلام في الاحياء اعلم انّ كلّ قاعد في
بيته اين ما كان لا يكون خاليا في هذا الزمان
عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس
وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس
جاهلون بالشرع في شروط الصلوة في البلاد
فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد

والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب
ان يكون في كلّ مسجد ومحلّة من البلد فقيه
يعلّم الناس دينهم وكذا في كلّ قرية وواجب
على كلّ فقيه فرغ من فرض عينه وتفرّغ لفرض
الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل
السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلّمهم
دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه
زادا يأكله ولا يأكل من اطعمتهم فانّ اكثرها
فانّ اكثرها تكون شبهة فان قام به واحد
سقط الحرج عن الآخرين والا عمّ الحرج على
الكافّة اجمعين امّا العالم فلتقصيره في الخروج
وامّا الجاهل فلتقصيره في ترك التعلّم وكلّ
عالم عرف شروط الصلوة فعليه ان يعرف
غيره والّا فهو شريك في الاثم ومعلوم انّ الانسان
لا يولد عالما بالشرع وانّما يجب التبليغ على
اهل العلم وكلّ من تعلّم مسألة واحدة فهو
من اهل العلم بها انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم

ان عنوان آداب البواطن آداب الظواهر و
حركات الجوارح ثمرات الخواطر فمن كان صدره
مشكاة انوار الاوامر الالهية فاض على ظاهره
جمال الآداب النبوية ومن استولى عليه حب
الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاصاغر فكيف
على الاكابر والله المستعان على كل حال

الباب الخامس في الشفقة عليهم

وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير قال الله
سبحانه وتعالى انما المؤمنون اخوة فاذا ثبت
الايمان كانت الاخوة واذا كانت الاخوة كانت
الشفقة والرحمة ولا معنى للشفقة والرحمة
الا ان تنقذ اخاك من النار الى الجنة وتنقله
من الجهل الى العلم ومن الذم الى الحمد ومن النقص
الى الكمال فانه لا يكمل عبد الايمان حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه على ما ذكره مسلم في مسنده المؤمنون
يد واحدة على من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان
يشد بعضه بعضا اعلم وفقك الله تعالى وايانا

ان شفقة النفس وحب الخير لنفسه ولغيره
مجتنبا عن الشر والضير حال الكاملين الذين
فازوا بالسعادة الابدية والكرامة السرمدية
واستكمال النفس الانسانية بالمعارف والعلوم
على قسمين احدهما ان يحاول تحصيلها بالفكر
والنظر والاستدلال والثاني ان تصل اليه
محصولات المتقدمين الذين جمعوا بين العقائد
الصحيحة والاعمال الصالحة فتستكمل نفسه
بان يكون متقيا اذ المتقي وان كانت له ثلث
مراتب الا انه عند الاطلاق في متعارف الشرع
هو المؤتمر بالمأمورات المجتنب عن المحظورات
وكل من هو كذلك هو من الفائزين الكاملين
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك
هم الفائزون فالتقوى فضيلة جامعة بكل ما
وجب على المؤمنين من علم الحال الذي هو فرض
عين على كافة المسلمين وعلم الحال كما عرفت
هو علم ما افترض من اعتقاد وعمل وقد ورد

ما يدل على فضيلة التقوى من الآيات القرآنية
ومن الأخبار النبوية أكثر من أن يحصى الآيات
قال الله تعالى هدى للمتقين يا أيها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا
وإياي فاتقون واتقوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا واذكروا ما فيه لعلكم تتقون
ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله
خير لو كانوا يعلمون ولكم في القصاص حيوة
يا أولي الألباب لعلكم تتقون يا أيها الذين
آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من
قبلكم لعلكم تتقون كذلك يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا
الله لعلكم تفلحون واتقوا الله واعلموا أن الله
شديد العقاب وتزودوا فإن خير الزاد التقوى
واتقون يا أولي الألباب واتقوا الله واعلموا
أنكم إليه تحشرون زين للذين كفروا الحيوة الدنيا

ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة واتقوا الله واعلموا أنكم
ملاقوه وبشر المؤمنين واتقوا الله واعلموا
أن الله بما تعملون بصير يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا إن كنتم مؤمنين
واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله واتقوا الله
ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم للذين اتقوا
عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وإن
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ولقد
نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم
تشكرون بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من
فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملئكة مسومين واتقوا الله لعلكم تفلحون
واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا إلى

مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين واتقوا الله لعلكم تفلحون يا ايها
الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا و
نساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وان تحسنوا
وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولقد
وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وتعاونوا على البر والتقوى ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان
الله شديد العقاب واتقوا الله ان الله سريع
الحساب واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور
اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون انما يتقبل الله من المتقين يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة واتقوا
الله ان كنتم مؤمنين ولو ان اهل الكتاب امنوا

واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم
جنات النعيم واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
واتقوا الله واسمعوا قال الحواريون يا عيسى ابن
مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة
من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين وانذر
به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم
من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وللدار
الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون وما
على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن
ذكرى لعلهم يتقون وامرنا لنسلم لرب العالمين
وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه
تحشرون ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون وهذا
كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون ولباس التقوى ذلك خير اوعجبتم ان
جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم و
لتتقوا ولعلكم ترحمون افلا تتقون ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم
بما كانوا يكسبون ورحمتي وسعت كل شئ فساكتبها
للذين يتقون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة
البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك
نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا
شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون
والدار الاخرة خير للذين يتقون خذوا ما آتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم
والله ذو الفضل العظيم واعلموا ان الله مع المتقين
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون فاصبر ان العاقبة

للمتقين فاتقوا الله ولاجر الاخرة خير للذين
امنوا وكانوا يتقون وللدار الاخرة خير للذين
اتقوا افلا تعقلون مثل الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك
عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار واتقوا
الله ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء
من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار
الاخرة خير ولنعم دار المتقين وله ما في
السموات والارض وله الدين واصبا افغير
الله تتقون ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه
الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا
قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا
تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان
تقيا ثم ننجي الذين اتقوا فانما يسرناه بلسانك

لیبشر به المتقین وکذلك انزلناه قرآنا عربیا
وصرفنا فیه من الوعید لعلهم یتقون او
یحدث لهم ذکرا نحن نرزقك والعاقبة
للتقوی ولقد اتینا موسی وهرون الفرقان
وضیاء وذکرا للمتقین یا ایها الناس اتقوا
ربکم ان زلزلة الساعة شیء عظیم ذلك
ومن یعظم شعائر الله فانها من تقوی القلوب
ولقد ارسلنا نوحا الی قومه فقال یا قوم
اعبدوا الله ما لکم من اله غیره افلا تتقون
فارسلنا فیهم رسولا منهم ان اعبدوا الله
ما لکم من اله غیره افلا تتقون وان هذه
امتکم امة واحدة وانا ربکم فاتقون سیقولون
لله قل افلا تتقون ومن یطع الله ورسوله و
یخش الله ویتقه فاولئك هم الفائزون قل
اذلك خیر ام جنة الخلد التی وعد المتقون
واذ نادی ربك موسی ان ائت القوم الظالمین
قوم فرعون الا یتقون وازلفت الجنة للمتقین

کذبت قوم نوح المرسلین اذ قال لهم اخوهم
نوح الا تتقون انی لکم رسول امین فاتقوا
الله واطیعون وما اسألکم علیه من اجر ان
اجری الا علی رب العالمین فاتقوا الله و
اطیعون کذبت عاد المرسلین اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون انی لکم رسول امین فاتقوا
الله واطیعون واذا بطشتم بطشتم جبارین
فاتقوا الله واطیعون واتقوا الذی امدکم
بما تعلمون امدکم بانعام وبنین وجنات
وعیون کذبت ثمود المرسلین اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون انی لکم رسول امین فاتقوا الله
واطیعون وتنحتون من الجبال بیوتا فارهین
فاتقوا الله واطیعون کذبت قوم لوط المرسلین
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انی لکم
رسول امین فاتقوا الله واطیعون کذب
اصحاب الایکة المرسلین اذ قال لهم شعیب
الا تتقون انی لکم رسول امین فاتقوا الله

واطيعون واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
ولا مولود هو جاز عن والده شيئا يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا واذا قيل
لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون
ام نجعل المتقين كالفجار هذا ذكر وان للمتقين
لحسن مآب ذلك يخوف الله به عباده يا عباد
فاتقون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون
والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم
المتقون او تقول لو ان الله هداني لكنت
من المتقين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ونجينا الذين
امنوا وكانوا يتقون وان كل ذلك لما متاع

الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين
فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربي وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين ان المتقين
في مقام امين والله ولي المتقين مثل الجنة
التي وعد المتقون وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم
اجوركم ولا يسألكم اموالكم والزمهم كلمة
التقوى وكانوا احق بها واهلها واتقوا الله
ان الله سميع عليم اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا
بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون واتقوا
الله ان الله تواب رحيم ان اكرمكم عند الله
اتقيكم وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد ان
المتقين في جنات وعيون ان المتقين في جنات
ونعيم ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق
عند مليك مقتدر يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله

ان الله خبير بما تعملون واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون فاتقوا الله ما استطعتم ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم
له اجرا فاتقوا الله يا اولي الالباب ان للمتقين
عند ربهم جنات النعيم قال يا قوم اني لكم
نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى
واهل المغفرة ان المتقين في ظلال وعيون
ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب
اترابا وكأسا دهاقا فالهمها فجورها وتقويها
قد افلح من زكيها فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى وسيجنبها الاتقى
الذي يؤتي ماله يتزكى او امر بالتقوى
واما ما يدل على فضيلة التقوى من
الاحاديث النبوية فقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال اقبل رسول الله صلى الله

عليه وسلم من غزاة او سرية فدعا فاطمة
رضي الله عنها فقال يا فاطمة اشتري نفسك
من الله فاني لا اغني عنك من الله شيئا وقال
لنسوته مثل ذلك وقال لعمته مثل ذلك لعترته ثم
قال لها بنو هاشم باولى الناس بامتي ان اولى
الناس بامتي المتقون ولا قريش باولى الناس بامتي
ان اولى الناس بامتي المتقون ولا الانصار باولى
الناس بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون انما
انتم من رجل وامرأة وانتم كجمام الصاع ليس
لاحد على احد فضل الا التقوى وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا كان يوم القيمة امر الله مناديا ينادي
الا اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم
اتقيكم فابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان خير
من فلان بن فلان فاليوم ارفع نسبي واضع
نسبكم اين المتقون وعن جابر رضي الله عنه
انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجمام القدح والصاع ملؤه بغير رأس
مثلث الجيم قال ابن السكيت وانما
يقال جمام في الدقيق
واشباهه
كذا في الصحاح
المنير

فی وسط ایام التشریق فقال یا ایها الناس ان
ربکم واحد الا لا فضل لعربی علی عجمی ولا لعجمی
علی عربی ولا احمر علی اسود ولا اسود علی احمر
وان اباکم واحد الا بالتقوی ان اکرمکم عند الله
اتقاکم الا هل بلغت قالوا بلی یا رسول الله
قال فلیبلغ الشاهد الغایب فاذا عرفت هذا
فاعلم ان المتقی اسم فاعل من وقاه فاتقی و
الوقایة فرط الصیانة وهو فی الشرع اسم لمن
یقی نفسه عما یضره فی الاخرة ولیس لکمال التقوی
حد یدرک مداه اذ بتقدیر الله ومشیته تتفاوت
درجاتها والمعتبر فی ذلک ما لا یؤدی الی
الحرج والمشقة وتضییع حدود الشریعة وهو
رجحان جهة الدین علی الهوی والشهوة فاولی
الدرجات والمراتب التوقی من العذاب المخلد
بالایمان المنجی والتبری عن الشرک قال الله تعالی
والزمهم کلمة التقوی ای التوحید وعن ابن
مسعود رضی الله عنه فی قوله تعالی هدی للمتقین

قال فی تفسیر اللب المصون ولباب الخ فعل
انتهی عن ... معنی منها الایجاد ذی ... اتقی ومنه
الطاعة وعن لا فعل وفعل الی عزم لک ... انه
اعتنی المتقی السطا ووقی وفی الاتقاء وقد
وکانه من التکثیر والمبالغة
الصیانة فتامل ... منه
وفیه تامل منه

هدی قال نور للمتقین قال هم المؤمنون
والثانیة وهی المتعارف التجنب عن کل ما یجعل
العبد اثما من ترک الاوامر وفعل المناهی
والدرجة العلیا من التقوی التنزه عما یشغل
سره عن الحق والتبتل الیه بشراشره وهو التقوی
الحقیقی المطلوب بقول الله تعالی واتقوا الله
حق تقاته والذی جاء بالصدق وصدق به
اولئک هم المتقون الا ان اولیاء الله لا خوف
علیهم ولا هم یحزنون الذین امنوا وکانوا یتقون
ولا یخفی ان تنزه السر عما یشغله عن الحق الذی
لا یجب شرعا یکون تارکا اثما وانما هو شان
الکمل نفعنا الله ببرکاتهم فاجتناب الکبائر لازم
فیه بالاتفاق حتی الصغائر عند قوم لان فرط
الصیانة یقتضی ذلک یؤیده قوله علیه الصلوة
والسلام لا یبلغ العبد ان یکون من المتقین
حتی یدع ما لا بأس به حذرا عما به بأس وقال
بعض المفسرین المختار ان الاجتناب عن الصغائر

لا يعتبر في مفهوم المتقي فانها لا تنافي التقوى
ومرتكبها لا يخرج عن زمرة المتقين لا لانها
تقع مكفرة باجتناب الكبائر كما هو رأي المعتزلة
فان امر الكبائر والصغائر عندنا موكول الى
الله تعالى ان شاء عذب وان شاء عفا فلا
نزاع في وجوب التوبة عن الكل وعدم ايجاب
اجتناب الكبيرة تكفير الصغيرة لقوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره لا يقال معناه اذا لم
يجتنب الكبائر لانه تقييد بلا دليل وترجيح
جانب التناول بان الاصرار على الصغيرة
يسلب العدالة فكيف بالتقوى غير مفيد لان
الاصرار على الصغيرة كبيرة فكان مخرجا عن
التقوى ايضا وحد الاصرار على الصغيرة
ان تتكرر منه تكررا يشعر بقلة المبالاة بدينه
اشعار ارتكاب الكبيرة بذلك واختلف في الكبائر
فروي عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله

قال صاحب الكشاف واختلف في الصغائر قيل
الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن
اجتناب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم
المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا على
خبرة كما لا يجوز العدل الا على
من الخضير
منه

عليه وسلم انه قال الكبائر تسع الاشراك بالله
وقتل النفس المؤمنة وقذف المحصنة واليمين
الغموس والفرار عن الزحف والسحر واكل مال
اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد
اي الظلم في الحرم وروى ابو هريرة رضي الله
عنه مع ذلك اكل الربوا واضاف الى ذلك علي
كرم الله وجهه السرقة وشرب الخمر وقيل ما
علم حرمته بقاطع فهو كبيرة كذا في التقرير وقال
ابن مسعود لما سئل عنها اقرأ من اول سورة النساء
الى رأس ثلثين اية منها عند قوله ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل
ما نهى الله في هذه السورة الى ههنا هو كبيرة
وقال بعض المحققين الكبائر سبع عشرة وقال
بعض المحققين الكبائر سبع عشرة جمعتها من
جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن
عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم اربعة
في القلب الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته

والقنوط من رحمته والامن من مكره
واربع في اللسان وهي شهادة الزور وقذف
المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها
باطلا او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقطع
بها مال المسلم باطلا ولو سواكا من اراك
وسميت غموسا لانها يغمس صاحبها في النار
والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وساير
الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلاث
في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل
شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربوا
وهو يعلم واثنتان في الفرج وهو الزنا واللوطة
واثنتان في اليدين وهو القتل والسرقة و
واحدة في الرجلين وهو الفرار عن الزحف
الواحد من الاثنين والعشرة من عشرين
وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق الوالدين
وقال في تحقيق التفسير في تكثير التنوير معظم
اصحاب الشافعي رحمه الله ان الكبيرة موجب

الحد وقيل تضاف الذنوب بالصغر والكبر
بالنسبة الى ما فوقها وتحتها وبالاضافة الى
طاعة او ثواب او الاشخاص لانه تعالى عاتب
نبيه عليه السلام بالخطوات وفي نوادر التنزيل
فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث
النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران
فمن عن له امران فيها ودعت نفسه اليهما بحيث
لا يتمالك وكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه
لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر وقال
في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب
النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم وقال اني قد اصبت في امرأة غير اني لم
اتها فنزلت انتهى وقيل سبع يقول النبي صلى الله
عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات الشرك
بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق

وأكل الربوا وأكل مال اليتيم والتولي يوم
الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انها الى
سبعمائة اقرب من سبع لانه لا صغيرة مع
الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي
عنه الى سبعين ولا منافاة له مع الخبر لان
التخصيص بالعدد لا يدل على الزايد والناقص
واما التحقيق في دفع ما يقال من انه كيف
يشمل تعريف المتقي جميع افراده ومن افراده
من لم يتصور منه فوت الصيانة فهو ان اهل
الشرع يعتبرون المعاني اللغوية في الحقايق
الشرعية اما مع الزيادة عليه بقيد من
القيود كالصلوة والزكوة والبيع والربوا
ونحوها واما بالنقصان عنه كالايمان
والكفر فانهما في اللغة لمطلق التصديق والستر
اعم مما يكون في الشرع ولذا لم يطلقوا بحسب
الشرع على ساتر الحق كافر والحاصل انهم

يراعون جميع ما في اللغة والمتقي من جملته
ولو سلم فما المانع في القول بان فوت الصيانة
عن الكفر كما ان ما عداه فوت الصيانة عن الاثم
هذا واعلم ان المتقي في الحقيقة من يخشى الله
وارتكاب الكبيرة يؤذن عدم الخشية فلا
بد للمتقي من الخشية اذ امر التقوى عظيم قال
في التفسير الكبير واعلم ان التقوى هي الخشية
قال الله تعالى في اول النساء يا ايها الناس
اتقوا ربكم ومثله في اول الحج والشعراء اذ قال
لهم اخوهم نوح الا تتقون يعني الا تخشون
الله وكذلك قول هود وصالح ولوط وشعيب
لقومهم وفي العنكبوت قال ابرهيم لقومه اعبدوا
الله واتقوه يعني اخشوه وكذا قوله اتقوا
الله حق تقاته وتزودوا فان خير الزاد التقوى
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا واعلم
ان حقيقة التقوى وان كانت هي ما ذكرناها
الا انها قد جاءت في القرآن والغرض الاصلي

منه الايمان تارة والتوبة اخرى والطاعة
ثالثة وترك المعصية رابعا والاخلاص
خامسا اما الايمان فقوله تعالى والزمهم
كلمة التقوى اى التوحيد اولئك الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى وفى الشعراء قوم فرعون
الا تتقون اى الا تؤمنون واما التوبة
فقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا
اى تابوا واما الطاعة فقوله تعالى فى النحل
ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون واما
ترك المعصية فقوله تعالى واتوا البيوت
من ابوابها واتقوا الله اى فلا تعصوه واما
الاخلاص فقوله تعالى فى الحج فانها من تقوى
القلوب اى من اخلاص القلوب وكذا قوله تعالى
فاياى فاتقون واعلم ان مقام التقوى مقام
شريف قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون وقال ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال

عليه الصلوة والسلام من احب ان يكون
اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون
اقوى الناس فليتوكل على الله ومن احب ان يكون
اغنى الناس فليكن بما فى يد الله اوثق مما فى
يده وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه
التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك
الاغترار بالطاعة قال الحسن رضى الله عنه
ان لا تختار على الله سوى الله واعلم ان الامور
كلها بيد الله وقال ابرهيم بن ادهم التقوى
ان لا يجد الخلق فى لسانك عبثا ولا الملائكة
فى افعالك عبثا ولا ملك العرش فى سرك عبثا
وقال الواقدى التقوى ان تزين سرك للحق
كما تزين ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا
يراك مولاك حيث نهاك ويقال المتقى من سلك
طريق المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف
نفسه الاخلاص والوفا واجتنب الحرام والجفا
انتهى فعلى هذا كان مآل امور العامة الى التقوى

وهي كافية وافية اذ الاعتقاديات
والعمليات اذا فسرت بالمعنى المتعارف وهو ما
يعم فعل الحسنات وترك السيئات كما عرفت فيما
سبق داخلة فيها لاشتماله على ما هو الاساس
من الاعتقاد الحق والاصل من الاعمال وهو الايمان
والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية
والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر
الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا قال الله تعالى
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال عليه
الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة
قنطرة الاسلام ولذا كثر الامر بها في كتاب الله
تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفي كلام
عباده الذين اصطفى وسن ذكرها مرتين في الخطبة
عندنا وفرض عند الشافعي رحمه الله وكان اهتمام
السلف واجتهادهم فيها خصوصا فيما يتعلق بحقوق
العباد والبهايم ويدل العقل ايضا على فضيلة
التقوى اذ يحصل بها التخلية عن الرذائل والمعاصي

والمناهي والتخلية والتحلية بمكارم الاخلاق
وانواع الطاعات والمراضي فلا بد ان يبين
انواع الرذائل ليجتنب عنها وبعدها الفضائل
ليترتب على التخلية عن المعاصي التحلية بالطاعات
والتنوير بالصور الحسنة على التصقيل عن الكدورات
حتى تنال الدرجات فاقل درجات المؤمن
المتقي بفضل الله سبحانه وتعالى الالتحاق باصحاب
اليمين ونزوله في جنة عدن واما الالتحاق
بالمقربين فلاصحاب الفردوس الاعلى وذلك
لان الايمان اما تقليدي كايمان العامة الذين
يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه واما
استدلالي كايمان العلماء والمتكلمين واما
كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله تعالى
ويتضح عند صاحبه ان مرجع الكل ومصيره
الى الله تعالى هذا الصنف الذين هم اصحاب الرتبة
العليا من التقوى هم المقربون النازلون في الفردوس
الاعلى وهم على غاية القرب من الملاء الاعلى وهم

ايضاً على اصناف فمنهم السابقون ومنهم من
هو دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم
بالله قد درجاتهم لا تحصى اذ الاحاطة بكنه
جلال الله تعالى غير ممكن وليس لبحر المعرفة
عمق ولا ساحل والغوص فيه بقدر ما سبق
له من الله في الازل واما المؤمن ايماناً تقليدياً
هو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة
المقربين وكذلك المؤمن ايماناً استدلالياً
وهم على درجات ايضاً فالاعلى من درجات
اصحاب اليمين تفاوت رتبته رتبة الاولى
من درجات المقربين هذا حال من اجتنب
كل الكبائر وادى الفرايض كلها اعني الاركان
الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان
والصلوة والزكوة والصوم والحج او ارتكب
كبيرة او كبائر واهمل بعض اركان الاسلام
فتاب قبل قرب الاجل والتحق بمن لم يرتكب لان
التائب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول

كالذي لم يتوسخ والحاصل ان الايمان كما
عرفت سابقاً من خبر المخبر الصادق بضع
وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا
الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فمن
ادى الفرايض كلها واجتنب الكبائر كلها فهو
كامل الايمان متق بالمعنى المعارف وهو الرتبة
الثانية للتقوى واما الرتبة الاولى فهي و
ان كانت مساوية لمطلق الايمان المنجي من
العذاب المخلد الا ان التقوى في عرف الشرع
هي الثانية التي لم ينقص في صاحبها شعب
الايمان ومثله حجة الاسلام بقول القائل
ليس الانسان موجوداً واحداً بل هو نيف و
سبعون موجوداً اعلاها القلب والروح
وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون
مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة
عن الخبث حتى يتميز عن البهايم المرسلة الملوثة
بارواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها

وأظلافها وهذا مثال مطابق فالإيمان
كالإنسان وفقد شهادة التوحيد توجب
البطلان بالكلية والذي ليس له إلا شهادة
التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف
فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة إلا
أصل القلب والروح وكما أن من هذا حاله قريب
من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة
التي تخلف عنها الأعضاء التي تمدها وتقويها
وكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر
في الأعمال قريب من أن تنقلع شجرة إيمانه إذا
صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان
في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل
إيمان لم يثبت في اليقين أصله ولم ينتشر في
الأعمال فروعه خيف عليه سوء الخاتمة إلا ما
سقي بماء الطاعات على توالي الأيام والساعات
حتى ثبت ورسخ إذ الظاهر القاصر لا يرسخ
وأين ثبوت شجرة القرع من ثبوت شجرة الصنوبر

وإن كانا مشتركين في اسم الشجرة فإذا عرفت
هذا فاعلم أن القلب رئيس الجوارح ومتبوعها
وملك مطاع نافذ الحكم على رعيته وخدمه
وهي الأعضاء والجوارح فلهذا قال صلى الله
عليه وسلم ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت
صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله
ألا وهي القلب ولهذا قدمنا تخلية القلب
من الآفات وتحليته بالطاعات على الأعضاء السبعة
والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق **فصل**
في بيان تخلية القلب وتحليته ولما كان
بيان معنى القلب مقدما على بيان التخلية
والتحلية قدم بيان المعنى المقصود منه اعلم
أن لفظ القلب يطلق لمعنيين أحدهما اللحم
الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر
من الصدر وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف
وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح
ومعدنه وهذا القلب عام موجود للبهائم

كلها ولا يتعلق به الاغراض الدينية وانما
يتعلق بذلك غرض الاطباء والمعنى الثاني
هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب
الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان
وهي المدرك العالم العارف من الانسان
وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة
مع القلب الجسماني قال في الاحياء وقد تحيرت
عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته
فان تعلقه يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام
والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل
للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان انتهى
وايضا للقلب كما عرفت مما سبق جنود فجند
يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر
ومعنى الجند القلب في حكم الملك والجنود في
حكم الخدم والاعوان قال في الاحياء فجملة
جنود القلب يحصره ثلثة اصناف صنف
باعث ومستحث له اما الجلب للنافع الموافق

كالشهوة واما الدفع المضاد المنافي كالغضب
وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني
هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد
ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود
مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما العضلات
منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف
للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم
والذوق والسمع وغيرهما وهي مبثوثة
في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم
والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود
الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة
من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم
التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش
انما يبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك
الشئ بالعين وكذا سائر القوى ولسنا نتكلم
في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من
عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الان فيما

ايده بجنود لم تروها وهذا الصنف الثالث
هو المدرك من هذه الجملة فينقسم الى ما اسكن
المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع
والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن
منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا
خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض
عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال
ثم تبقى تلك الصورة معه بشيء يحفظه وهو الجند
الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى
بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع
جملة معاني المحسوسات في حاله بالحس المشترك
بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك و
تخيل وتكلم وتذكر وحفظ ولولا خلق الله تعالى
قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو
الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل فكذلك
القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة
فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث

يذكر فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل
هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من
العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب
من الامثال ليقرب ذلك من افهامهم بيان
امثلة القلب مع جنوده الباطنة اعلم ان
جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب
انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكها
ويحسن مرافقتهما له في السفر الذي هو بصدده
وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد
حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه
وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة
الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة والتفكر
وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله
تعالى على الجندين الاخرين فانهما يلتحقان بحزب
الشيطان فان من ترك الاستعانة وسلط على
نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر
خسرانا مبينا وذلك حال الخلق فان عقولهم

صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان يكون الشهوة مسخرة للعقل فيما يفتقر العقل اليه وقال ايضا الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع الاستدلال والثالث ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين وحاصل ما قاله في هذه الدرجات الثلث ان الدرجة الاولى من الايمان بمجرد التقليد وهو مثال ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التميز سمعوا من اباءهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه بحسن ظنهم باباءهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة من النار واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه

ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد والحاصل ان المسلمين اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لانه القي عليهم كلمة الحق واما الدرجة الثانية فايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا ممكن واما الدرجة الثالثة فهي المعرفة الحقيقية و المشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون برتبة يستحيل معها امكان الخطأ نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف فالمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بنورهم قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه

فيضيء مرة ويطفى مرة فاذا اضاء قدم قدمه
فمشى واذا اطفى قام ومرورهم على الصراط
على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين
ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب و
منهم كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر
كشد الفرس والذي اعطى نوره على ابهام
قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر
يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى
وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك
حتى يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس
في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه
بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين
لرجح وهذا ايضا هو قول القائل لو وزن الشمس
بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد العوام
نوره مثل نور السراج وبعضهم كنور الشمع
وايمان الصديقين نورهم كنور القمر والنجوم
وايمان الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف في

حبا الرجل مشى على يديه وبطنه كذا في القاموس

نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها
ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من
من البيت فكذلك يتفاوت انشراح الصدر
بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت بقلوب
العارفين ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة
اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الايمان
ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة
كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان
وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول
النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال
فانه لا يدخل النار اذ لو دخل النار لامر باخراجه
اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق
الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى
الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من الف مثله الا
الانسان اشارة الى قلب العارف المؤمن الموقن
وانه خير من قلوب الف من عوام الناس وقد
قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين

وقال بعض العارفين سألت بعض الابدال عن
مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله
فقال ما تقول يرحمك الله ثم التفت الى يمينه
فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق فقال
ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب
سمعت فسألته عن التفاته فقال لم يكن في
المسألة عندي علم عتيد فسألت صاحب الشمال
فقال لا ادري فسألت صاحب اليمين وهو اعلم
منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسألته
فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا
معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في امتي
محدثين وان عمر منهم وقال ابو سليمان الداراني
القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب
مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر
انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت
والملاء الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة
والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد
احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم يتجلى
لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله
على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيأ الله
لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله
تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره ولما كان
لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع
وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة
عن الهوى لاجرم لا يخلو قلب عن ان يكون فيه
للشيطان جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله
شيطان قالوا ولا انت يا رسول الله قال وانا
الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يأمر
الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف
الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله تعالى على
شهوته لا يأمر الا بالخير ومهما غلب على القلب
ذكر الدنيا ومقتضيات وجد الشيطان مجالا

فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى
ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والطارد
بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب
واتم الى ان ينفتح القلب باحد الجندين فيتمكن و
يستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا والقلوب
التي فتحها جنود الشياطين وتملكها وامتلأت
بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح
الآجلة وكان مبدأ استيلائها اتباع الهوى
لا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت
الشيطان هو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله
تعالى الذي هو مطرح آثار الملائكة قال جرير بن
عبد الله العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد
في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل
البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه
والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن
الهوى لا يدخله الشيطان قال تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وفي التفسير الكبير الاخلاق

القبيحة هي الهوى والشهوة والغضب فهذه
الثلاثة اصل والكفر والبدعة والحرص والبخل
والعجب والكبر والحسد هي الاولاد والنتايج
وكذلك جميع الاخلاق المذمومة كالنتايج
والشعب من تلك السبعة انتهى فاذا عرفت
هذا فاعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان
عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي
عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا
بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواقع ثلمه
ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه
وحماية القلب عن فساد الشيطان امر واجب
وهو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا يتوصل
الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل
الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت
معرفة مداخل الشيطان واجبة ومداخل الشيطان
صفات العبد فان الكبر والبخل والاسراف
والتبذير حرام ولا يمكن التحرز عنها الا بعلمها

وعلم ما يضادها والحاصل ان العلم تابع للمعلوم
فان فرضا او حراما ففرض وان واجبا او مكروها
فواجب وان سنة فسنة وان نفلا فنفل فعلى
كل من اشتغل بشيء من المعاملات والحرف يفترض
عليه علم التحرز عن الحرام فيه وهي كثيرة فان
القلب تكتنفه الصفات وتنصب اليه الاثار
والاحوال من المداخل فكانه هدف يصاب على الدوام
من كل جانب واذا اصابه شيء فتأثر به اصابه من
جانب اخر ما يضاده فتغير وصفه فان نزل
الشيطان به ودعاه الى الهوى التفت القلب اليه
ونزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه شيطان
الى الشر جذبه شيطان اخر الى غيره وان جذبه ملك
الى الخير جذبه اخر الى غيره فتارة يكون متنازعا
بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك
وشيطان ولا يكون قط مهملا قال في الاحياء
والى ذلك الاشارة بقوله عز وجل ونقلب افئدتهم
وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه

وسلم على عظيم صنع الله عز وجل في عجايب
القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب
القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي
على دينك فحق على العبد ان يقف عند كل هم يخطر
له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن
النظر في ذلك بنور البصيرة لا بهوى من الطبع فان
من مكائد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير
والتمييز في ذلك غامض قال عثمان بن ابي العاص
الثقفي رضي الله عنه حال الشيطان بيني وبين
صلوتي وبين قرائتي فقال صلى الله عليه وسلم
ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته
به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال
ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني وفي الخبر
ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا
بالله منه وقال حجة الاسلام ايضا في الاحياء
فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان
واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة

خنزب بخاء معجمة مكسورة او مضمومة
ونون ساكنة ثم زاء معجمة مكسورة
او مفتوحة قال ابو عمرو والخنزب
قطعة لحم منتنة وهو لقب ذلك
الشيطان كذا في شرح
المشارق
منه

بك الى معرفة ذلك فى المعاملة فاشتغل
بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كما قيل كل البقل
ولا تسئل عن المبقلة ولكن الذى يتضح بنور الاستبصار
وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل
نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعوا اليه
فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك
القدر الذى ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات
يدل على اختلاف الاسباب كما ذكر فى نور النار
وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد
ان لابليس خمسا من الاولاد قد جعل كل واحد منهم
على شئ من امره فذكر ان اسماءهم ثبر والاعور
ومسبوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب
المصائب الذى يدعو بالثبور وشق الجيوب ولطم
الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو
صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسبوط فهو
صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى
اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما

زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون
متظلمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان
الوضوء يقال لها الولهان وقد ورد فى ذلك اخبار
كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك فى
الملائكة وقال لما انقسما ما اجماله والقلوب فى
الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب
عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث
الاخلاق ينقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب
ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما
خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده
فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد
من فعله ويستحثه عليه ويدعوا الى العمل به فينظر
الملك الى القلب فيجده طيبا فى جوهره طاهرا بتقواه
مستنيرا بضياء العقل معمورا بانواع المعرفة
القلب الثانى قلب المخذول المشحون بالهوى
المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح
فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة

وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى
يظلم وينطفي منه انوار البصيرة وينطفي نور
الحياء والمروة والايمان ويسعى الى تحصيل مراد
الشيطان القلب الثالث قلب يبتدي فيه
خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان
فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهواتها الى
نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة ويحسن التمتع
فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة
ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة
والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب
فتميل النفس الى نصح العقل فان كان الاغلب على
القلب الصفات الملائكة لم يصغ القلب الى اغواء
الشيطان وان كانت الصفات الشيطانية غالبة
عليها جرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب
بعده عن الله تعالى قال تعالى يعدهم ويمنيهم و
ما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة
ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بانواع

الحيل فالاحمق يوسع قلبه لقبول الغرور
ويضيقه عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء
من الله وقدره فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن
ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا
معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا
فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا
فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل
النار وعلامة اهل الجنة فقال عز من قائل
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم
قال هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء في الجنة
ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما
يفعل وهم يسألون وهذا الفصل من اوله الى
هنا مأخوذ ومسرود على منوال ما نسج من الاحياء

وفي التفسير الكبير واعلم ان المداخل التي يأتي
الشيطان من قبلها في الاصل ثلثة الشهوة والغضب
والهوى فالشهوة بهيمية والغضب سبعية و
الهوى شيطانية فالشهوة آفة لكن الغضب اعظم
منه والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه فقوله
تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء المراد آثار
الشهوة وقوله والمنكر المراد منه آثار الغضب
وقوله والبغي المراد منه آثار الهوى فبالشهوة
يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب يصير
ظالما لغيره وبالهوى يتعدى ظلمه الى حضرة
جلال الله تعالى ولهذا قال عليه السلام الظلم
ثلثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله
ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله
والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا
والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان
نفسه فمنشأ الظلم الذي لا يغفر هو الهوى ومنشأ
الظلم الذي لا يترك هو الغضب ومنشأ الظلم الذي

عسى الله ان يغفره هو الشهوة ثم لها نتايج
فالحرص والبخل نتيجة الشهوة والعجب
والكبر نتيجة الغضب والكفر والبدعة نتيجة
الهوى فاذا اجتمعت هذه الستة في بني آدم
تولد منها سابع وهو الحسد وهو نهاية الاخلاق
الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص
المذمومة ولهذا السبب ختم الله مجامع الشرور
الانسانية بالحسد وهو قوله تعالى من شر
حاسد اذا حسد كما ختم مجامع الخبائث الشيطانية
بالوسوسة وهو قوله تعالى يوسوس في صدور
الناس فليس في بني آدم شر من الحسد كما انه ليس
في الشياطين شر من الوسوس بل قيل الحاسد
شر من ابليس انتهى ولنشرع الى بيان تخلية
المتقي قلبه عن الاوصاف الذميمة وتحليته
بالاوصاف الحميدة فلا بد من ذكر منكرات القلب
وآفاته اجمالا بعد تفسير الخلق وتقسيمه الى
المذموم والممدوح اعلم وفقك الله تعالى

وأيا نا أن الخلق والخلق بالفتح والضم
مستعملان يقال فلان حسن الخلق والخلق
أي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق
الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة
فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة
تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة
الى فكر وروية فما لم يثبت في نفسه ثبوت
رسوخ بل على الندور بحالة عارضة لا يطلق
عليه الرسوخ كما لا يطلق على الفعل المتكلف
انه بسهولة من غير روية فان كانت الهيئة
بحيث عنها الأفعال الجميلة المحمودة شرعا تصدر
وعقلا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان
الصادر منها أفعالا قبيحة سميت الهيئة
التي هي المصدر خلقا سيئا وليس الخلق عبارة
عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل
اما لفقد المال أو لمانع وربما يكون خلقه البخل
وهو الذي يبذل لباعث أو لرياء وليس عبارة

عن القوة لأن نسبة القوة الى الامساك
والاعطاء بل الى الضدين نسبة واحدة
وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء
والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق
السخاء وليس عبارة عن المعرفة فان المعرفة
تتعلق بالجميل والقبيح على وجه واحد بل هو
عبارة عن الهيئة التي بها تستعد النفس لأن
يصدر منها الامساك أو البذل كذا في الاحيا
فالخلق اذا عبارة عن هيئات النفس وصورتها
الباطنة وكما أن حسن الصورة مطلقا لا يتم
بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا
بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك
ايضا في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن
في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت
الأركان الأربعة واعتدلت وتماثلت حصل
حسن الخلق وهو قوة العلوم وقوة الغضب
وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى

الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في
ان يصير بحيث يسهل بها دراك الفرق بين
الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل
في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال
فان انصلحت هذه القوة حصلت منها ثمرة الحكمة
والحكمة رأس الاخلاق الحسنة وهي التي قال
تعالى فيها يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب
فحسنها في ان لا يقتصر انقباضها وانبساطها
على حد ما يقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة
حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة
الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما
قوة العدل فهو ضبط قوة الغضب والشهوة
تحت اشارة العقل والشرع انتهى واعلم ان
تغير الخلق ممكن لورود الشرع به واتفاق
العقلاء والتجربة ويختلف الاستعدادات فيه
بحسب الامزجة قوة وضعفا روى ابو داود

في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق واقتضى الحديث
ان لكل نبي مبعوث الى امة انما بعث ليعلم
الناس حسن الخلق وان نبينا صلى الله عليه
وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق فحسن الخلق
اذا امتثال الشرائع كلها قال في الاحياء في
بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضة
اعلم ان من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة
والرياضة والاشتغال بتزكية النفس و
تهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يعترف
بان ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان الاخلاق
لا يتصور تغيرها واعتذر بان الطباع لا يتغير
واستدل على ذلك بامرين احدهما ان الخلق هو
صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر
والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغيرها فالطويل
لا يقدر ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير يقدر
على ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على

ان يحسن صورته فكذلك القبيح الباطن يجري
هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق
بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول
المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج
والطبع وانه لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله
به تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو
قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك
محال وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل
التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات
ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم
وكيف ينكر هذا في خلق الآدمي وتغير خلق البهيمة
ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس
والكلب من الصيد الى التأدب والفرس من الجماح
الى السلاسة وكل ذلك تغير للاخلاق وانتهى
ما قاله وخلاصته ان الجبلات مختلفة بعضها
سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول بسبب
قوة الغريزة في اصل الجبلة وان الخلق قد يتأكد

بكثرة العمل بمقتضاه والتعود له وباعتقاد كونه
حسنا مرضيا لان الناس فيه اما جاهل فقط
وهو الذي لا يميز بين الجميل والقبيح والحق والباطل
بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات
ولم يقسم ايضا شهوته على اتباع اللذات فهذا
سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى تعليم
والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن
خلقه في اقرب زمان واما جاهل وضال فقط
وهو ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل
الصالح بل زين سوء عمله فتعاطاه انقيادا
لشهوته واعراضا عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة
عليه لكن علم تقصيره في عمله فهو بالجملة محل
قابل للرياضة ان انتهض بجد وتشمير وحزم فعليه
قلع ما رسخ في قلبه لكثرة التعود للفساد واما
جاهل وضال وفاسق وهو ان يعتقد في الافعال
القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل
ويتربى على ذلك فهذا يكاد تمتنع معالجته ولا يرجى

أي في الخلق

صلاحه الا على الندور وذلك لتمكنها عن اسباب
الضلال واما جاهل وضال وفاسق وشرير
وهو ان يكون مع وجود نشوه على الرأي الفاسد
وتربيته على العمل بريا الفضيلة في كثرة
الشر واستهلاك النفوس وبابهم وهذا
في اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب
تهذيب الذيب والحاصل ان الاخلاق الجميلة
يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال
الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء
فان كل صفة تظهر في القلب فيفيض اثرها
على الجوارح حتى يتحرك لا محالة على وفقها
وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه
اثر الى القلب وباستماع ما ورد في ذم سوء
الخلق اجمالا وتفصيلا ومما ورد في ذمه
ما خرجه الاصفهاني عن ميمونة بن مهران
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
من ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق

وذلك لان صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع
في ذنب وخرج الطبراني في المعجم الاوسط عن
عايشة رضي الله عنها انه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الشوم سوء الخلق وخرج ايضا
والاصفهاني عن عايشة رضي الله عنها عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من شيء الا له توبة الا
صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد
في شر منه وخرج الطبراني في الكبير والاوسط
البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق الحسن
يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السوء
يفسد الاعمال كما يفسد الخل العسل وخرج الطبراني
في المعجم الاوسط عن ابي هريرة رضي الله عنه انه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما حسن الله خلق رجل وخلقه فيطعمه النار والاخبار
فيه كثيرة فعليك بتخلية قلبك عن الرذائل وتحليتها
بالفضائل وبالخروج من كل خلق دني والدخول

في كل خلق سني هذا ولنشرع الى بيان تحلية
القلب وتحليته بذكر الاخلاق السيئة والرذائل
الردية ثم تحليته بالاخلاق الحسنة اجمالا وقد
سبق في خلال ما سبق ذكر نوع تفصيل الاكثر منها
اعلم ان جملة الرذائل الردية والاخلاق السيئة
ما ذكر من الكفر والنفاق واتباع الهوى والرياء
والبدعة والكبر والعجب والامن واليأس وتعليق
القلب بالاسباب وبغض الصالحين وحب الظلمة
والسخط للقضاء والجزع والجهل وكفران النعمة
والبخل والاسراف وحب المال وحب الجاه وخوف
الذم وحب المدح وطول الامل والطمع والحرص
والشره والتذلل والحقد والحسد والسفه و
الوقاحة والعناد والتمرد والصلف والفظاظة
وحب الدنيا والحزن في امر الدنيا والخوف فيه
والفتنة والغش والمداهنة والانس بمخلوق والعجلة
والبطالة والتسويف والخفة والجربزة والغباوة
والتقليد والجبن والعداوة والشماتة والغدر والتهور

والخيانة وخلف الوعد وسوء الظن والطيرة
والغباوة والخمود والاصرار واما
الاخلاق الحميدة فمجموع ما ذكر وهو الايمان
واعتقاد اهل السنة والجماعة والاخلاص
والاحسان والانس بالله والشوق الى الله و
محبته والوقار والذكاء والعفة والاستقامة
والحكمة والادب والفراسة والتفكر والصدق
والمرابطة والمشارطة والمراقبة والمحاسبة
والصلابة في امر الدين والحياء والشفقة و
الرقة والذكر والنصيحة والتصوف والغيرة و
الغبطة في عمل الاخرة والسخاء والايثار والمروة
والفتوة والشكر والرضاء والصبر والخوف من
الله والرجاء والحزن والحب في الله والبغض في الله
والتوكل والخمول واستواء مدح وذم والمجاهدة
وتحقيق قصر الامل وذكر الموت والتفويض والتسليم
والتملق في طلب العلم وسلامة الصدر عن الحقد
والحسد والشجاعة والحلم والرفق والامانة

والجربز الخداع الخبيث

والوفاء والانجاز بالعهد وحسن الظن والزهد
والانابة والرشد والسخى والقناعة والاناءة
والمبادرة فى عمل الآخرة والمعاتبة والمعاقبة
وكظم الغيظ والعفو والنية والارادة وطول
الحياة للعبادة والتوبة والخشوع واليقين والعبودية
والحرية والارادة فاذا عرفت اجمالا امات التخلية
من الرذائل وامات التحلية من الفضائل فاعلم ان
من تيقن بان نفسه اعدى عدوه لم يستبعد الفرح
والسرور عند لحوق الذل والهوان لها واما
من اتخذها اصدق اصدقائه فبعد ممتنعا و
محالا فالاول لمة من الملك فمن وجد ذلك فليحمد
الله على ذلك وليتعوذ الثانى بالله من الشيطان
اذ ليس للشيطان على عباد الله المخلصين سلطان

الفصل الثانى فى بيان آفات الاعضاء

السبعة اجمالا وهى اللسان والاذن والعين
واليد والبطن والفرج والرجل ومن المعلوم ان
اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة

فانه صغير جرمه وكبير طاعته وجرمه
اذ لا يتبين الايمان والكفر الا بشهادة اللسان
وهما غاية الطاعة والطغيان وكل ما يتناوله
العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل
ولا شئ الا والعلم متناول له وهذه خاصية
لا توجد فى سائر الاعضاء فلهذا قدم بيان
آفاته على سائر الاعضاء وآفات اللسان
ليست مقصورة على القول باللسان بل السكوت
والترك فيما يحتاج الى التكلم من العبادات
القولية والمعاملات الشرعية مطلقا من
آفات اللسان اعلم ان خطر اللسان عظيم
ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح
الشرع الصمت وحث عليه فروى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه قال من صمت نجا ويروى
عن ابى بكر رضى الله عنه انه كان يضع حصاة
فى فيه يمنع بها نفسه من الكلام ويقول هذا
اوردنى الموارد وقال الحسن ما عقل دينه من

لم يحفظ لسانه فالصمت افضل ما لم يكن التكلم
اجرا او رخصة شرعا قال العيني في شرح البخاري
في باب حفظ اللسان عن التكلم بما لا يسوغ
في الشرع وقال عليه السلام وهل يكب الناس
في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم
واما النطق بالحق فواجب والصمت فيه غير
واسع وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت
واما الاصل في الكلام فنوعان النوع الاول
ما كان الاصل فيه الاذن والمنع لعارض وهذا
النوع على ثلثة اقسام القسم الاول من العبادات
وهي اما متعدية مثل التعليم والتذكير والامامة
والتأذين ولصحتها واستحبابها ووجوبها شرايط
لا بد من معرفتها ومراعاتها لمن باشرها حتى يحصل
المشروط فيصير عبادة يترتب عليها الثواب ولا
يأثم ان تركها فان لم يراع ما ذكر من الاركان
والشرايط صار اثما من افة اللسان فلا يكون

متقيا وموضع بيانه علم الفقه واما غير
متعدية من العبادات القاصرة كالتلاوة و
الذكر والدعاء ولهذه ايضا شروط واداب
قد سبق ذكر البعض منها فان لم يراع تلك الشروط
والاداب يأثم صاحبه فيكون افة اللسان كمن
يقرأ او يذكر او يدعو باللحن الجلي وهو مخالفة
الاعراب والخفي وهو عدم اداء حق الحروف
او بالتغني بزيادة او نقص في الحروف فهما
حرامان وقد عرفت فيما سبق لزوم التجويد
او يقرأ او يذكر او يدعو لا لرضاء الله تعالى
بل للاجرة والنفع الدنيوي فانه حرام في العبادة
البدنية المحضة وكمن يسبح في مجلس المعصية
لفعلها او البايع عند فتح المتاع لا للتبرك
بل لترويجه فقد حرمه بعض العلماء لما فيه
من استعمال الذكر بمعنى الترويج لبضاعته او
الحارس لمتاع الغير بان يقول صلوا على محمد او
تبارك الله او الله لاظهار انه في السوق وعرضه

من الذكر أخذ الأجرة على الحراسة لا الذكر
فإنهم يأثمون بمثل هذه الأغراض والنيات
لاستبدالهم الأدنى بالذي هو خير وأما من
يقصد الاعتبار بأنهم يشتغلون بالمعصية أو
أمور الدنيا وأنا أشتغل بذكر الله تعالى
فإنه يثاب كالواعظ يقول صلوا والغازي كبروا
إذ لم يوجد ما يرفع الأجر وفي التاتارخانية
رجل ذكر الله تعالى وسبحه في مجلس الفسق
فإن كان في نيته أن الفساق يشتغلون بالفسق
وأنا أشتغل بالتسبيح فهو أحسن وأفضل وفي
الخلاصة وأنه يثاب كمن سبح الله تعالى في
السوق وكان من نيته أن الناس يشتغلون
بأمر الدنيا وأنا أسبح الله تعالى في مثل هذا الموضع
كان أفضل من أن يسبح الله تعالى على غير السوق
وإن سبح على وجه الاعتبار كان حسنا فيؤجر
على ذلك أيضا انتهى والقسم الثاني من العادات
التي يتعلق بها النظام وهي المعاملات كالبيع

والإجارات والشركة والمضاربة والرهن والهبة
والوديعة والعارية والكتابة والعتاق والنكاح
والطلاق وكل ما يحتاج إليه هذه الأمور
مباحات في أصلها شرعا أن لم يقارنها محرم
وإن كان بعضها في بعض الحالات واجبا أو سنة
أو مكروها فإن النكاح يجب عند القدرة على
النفقة والمهر مع التوقان وسن عند عدمه
مع القدرة المذكورة ومكروه عند خوف الجور
ولكن الشرع اعتبر فيها أركانا يجب المراعاة
عند المباشرة وإلا يصير كل واحد منها إما
باطلا لفقد ركنه أو فاسدا لفقد شرطه أو
مكروها فيأثم صاحبه بارتكاب الفاسد أو
الباطل والمكروه تحريما أو يسيء بارتكاب المكروه
تنزيها فيكون بسبب عدم رعاية الأركان والشروط
آفة اللسان ولهذا لما قيل لمحمد رحمه الله لم لا
تصنف كتابا في الزهد قال صنفت كتاب
البيوع إشارة إلى أن الزهد والتقوى لا يحصل

الا بالتحرز فى المعاملات عن كل بطلان وفساد
وكراهة فلابد لكل من باشر امرا من امور نظام
المعاش وغيره معرفة احوالها باشره بحسب الحاجة
والمداخلة من علم الفقه اذ علم الفقه كافل لمعرفتها
والقسم الثالث من العادات التى لا يتعلق بها
نظام المعاش وهى ستة الاول المزاح روى
عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قالوا يا رسول
الله انك لتداعبنا قال انى لا اقول الا حقا اى
فاذا كانت مداعبنا لا تتضمن الباطل فجائزة و
الا فلا وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له يا ذا الاذنين يعنى
يمازحه وفيه ثناء حسن عليه بحسن الاستماع
وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليقول الكلمة لا
يقولها الا ليضحك بها المجلس يهوى بها ابعد ما بين
السماء والارض وان الرجل ليزل عن لسانه اشد
مما يزل عن قدميه وقيل فى معنى الحديث جراحات

اللسان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان
والثانى المدح وهو جائز خرج الترمذى
عن عقبة بن عامر والبيهقى موقوفا انه قال صلى
الله عليه وسلم لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب
ولكن جوازه بشروط خمسة الاول ان لا يكون
لنفسه ومن حكم تزكية النفس مدح ما يتعلق بها
مما يستلزم مدحه مدح المادح الثانى ان يحترز
عن الافراط المؤدى الى الكذب والرياء وان لا يقول
بما لا يتحققه الثالث ان لا يكون الممدوح فاسقا
روى عن انس رضى الله عنه قال النبى صلى الله
عليه وسلم ان الله يغضب اذا مدح الفاسق
وفى رواية اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز
العرش الرابع ان يعلم انه لا يحدث فى الممدوح
غرورا بما مدحه وعجبا وكبرا فمدح اللباس والدابة
والمسكن ونحوها داخل فى التكبر وكذا ذمها روى
عن المقداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب

مما لا سبيل الى الاطلاع عليها كالتقوى
والورع والزهد فلا يجزم القول
بشيء بل يقول احسب
وهو مظنة

الخامس ان لا يكون المدح لغرض حرام او مفضيا
الى فساد الثالث الشعر وهو جائز اذا خلا عن
الكذب والرياء وذكر الفسق والتغني واما المدح
وهجو ما لا يجوز هجوه فان هجو الكافر والمنافق
جائز لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر لشاعره حسان بن ثابت بهجوهم وعن الاستكثار
منه والتجرد له حتى يشغله عن بعض الواجبات
والسنن والرابع السجع والفصاحة وهما
ممدوحان ان كانا بلا تكلف ولا تصنع خصوصا
اذا كانا في الخطابة والتذكير بل يستحب التكلف
اليسير واما التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف
السجع والفصاحة والتصنع فيه بما جرت به عادة
المتفاصحين المدعين للخطابة بحيث يبعد عن
الطاعة ويؤدي الى القسوة فمن التكلف الممقوت
الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف والفصاحة
والسجع بحسب السليقة والطبيعة لا ينكر الا استحسانا

مثل مدح حسين بن منصور مغني الشرع والنساء بين اولياء خرابات فيهم او في بلد النفس وتطيب بحلبس ومثل مدح الظلمة ونحوهم منه

تقعر تشدق وتكلم باقصى فمه كذا في القاموس

فيهما لان فيهما تحريك القلوب وتشويقها و
قبضها وبسطها وقد سبق الكلام في المتنطعين
والخامس الكلام فيما لا يعني وقد سبق فيه ايضا
والسادس فضول الكلام وهذا يتناول الخوض
فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة
فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر
ويمكنه ان يقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده
بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول
وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر هذا وقد يكون
الاذن بالسكوت فهو كالقول فان النهي عن المنكر
فرض بالكتاب والسنة واجماع الامة واما
المنع والرد بالقول فيما يجب الاذن كزيارة الابوين
فداخل في النهي عن المعروف فيكون حراما وهذا
شان المنافقين قال تعالى فيهم يأمرون بالمنكر
وينهون عن المعروف وكذا منع امرأته عن اقامة
خدمة احد ابويها اذا كان مريضا اذا لم توجد
من يخدمه ويقوم بحوائجه فيأثم الزوج وعليها

أن تخرج بلا اذن زاد اذا لم يمنعها بالفعل كالضرب
والحبس وفي الخلاصة يجوز للزوج أن يأذن
لها بالخروج الى سبعة مواضع بزيارة الابوين
وعيادتهما وتعزيتهما أو احدهما وزيارة المحارم
فان كانت قابلة او غاسلة أو كان لها على آخر حق
أو لآخر عليها حق تخرج بالاذن وبغير الاذن و
الحج على هذا وفي ما عدا ذلك من زيارة الاجانب
وعيادتهم والوليمة لا يأذن لها ولو اذن وخرجت
كانا عاصيين انتهى والنوع الثاني ما كان الاصل
فيه الحظر والمنع وهو ستون الاول كلمة الكفر
العياذ بالله وحكمه أن كان طوعا من غير سبق
لسان احباط العمل كله ثم لا يعود بعد التوبة
عندنا فيجب عليه الحج أن كان غنيا وقد حج أولا
قال تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله
وهو في الآخرة من الخاسرين ولا يجب قضاء ما
صلى وصام وزكى ويجب قضاء ما فات في حال
الاسلام منها لان المعصية لا تذهب بالكفر

وانفساخ النكاح ولو من المرأة بلا طلاق
فلا يلزم كالحلة بعد الثلث فلو صدرت من المرأة
تجبر على النكاح بعد التوبة ومن الرجل تخيير
المرأة أن تاب وحرمة ذبيحته وحل دمه
لتبديل دينه وتوبته الرجوع عما قاله والجحود
ايضا توبة والثاني ما فيه خوف الكفر وحكمه
أن يؤمر بالتوبة وتجديد النكاح احتياطا والثالث
الخطاء وحكمه أن يؤمر بالتوبة والاستغفار
فقط والرابع الكذب وهو الاخبار عن الشيء
على غير ما هو عليه فان لم يكن عن عمد فمعفو
بدليل يمين اللغو وان عن عمد فحرام قطعي
الا في مواضع خرج الترمذي عن اسما بنت
يزيد انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يحل الكذب الا في ثلث رجل كذب امرأته ليرضيها
ورجل كذب في الحرب فان الحرب خدعة ورجل
كذب بين المسلمين ليصلح بينهما وزاد في رواية
ابي داود عن ام كلثوم والمرأة تحدث زوجها

خلافا لمحمد ان صدرت من الزوج معه

لا تجدد الشهادتين

والحق بهذه الثلث دفع ظلم الظالم واحياء الحق
قيل ومنه الوعيد والوعد الكاذب للصبي
والانكار لسر الغير ومعصية نفسه وقيل
المباح في هذه المواضع التعريض وهو الخامس
من آفات اللسان وهو ارادة غير الظاهر
المتبادر من الكلام ولا بد من احتماله للمراد
بحسب اللغة ولا يكفي مجرد النية وهو جائز
عند الحاجة كالصور السابقة ويكره بدونها
واما الكذب الصريح فحرام لا يحل بحال فيما
عدا ما ذكر آنفا ومن التعريض تقييد الكلام
بلعل وعسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
المخرج من الكذب اربع ان شاء الله وما شاء
الله ولعل وعسى كذا في التاتارخانية ومن
التعريض ان يقول اشتريت هذا بخمسة مثلا
وقد اشتريته بستة لان الاول موجود في
الثاني فلا يكون كذبا وقد يكون ذكر العدد
كناية عن الكثرة فلا يراد خصوصه وان شئت

بمعنى التعريض

ومعنى ان في المعاريض لمندوحة اي سعة ومخلصا وكناية منه

أن تعرف مثالا فتجد سبعين مثالا والسادس
الغيبة وقد مضى نوع التفصيل فيما سبق ه
والسابع النميمة وقد مضت أيضا والثامن
السخرية وهي تتضمن الاستصغار والاستخفاف
وهي حرام كما مر والتاسع اللعن وهو الطرد
والابعاد من رحمة الله تعالى فلا يجوز لشخص
معين بطريق الجزم ولا لحيوان وجماد وقد
ورد التصريح عن النبي صلى الله عليه وسلم
بالنهي عن لعن الريح والبرغوث وانما يجوز
اللعن بالوصف العام المذموم لانه ثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن من ذبح لغير
الله تعالى ومن لعن لوالديه ومن آوى محدثا
ومن غير منار الارض وآكل الربوا وموكله و
كاتبه وشاهده والواشمة والموشومة ومانع
الصدقة والمحلل له والمختفي والمختفية ومن أم
قوما وهم له كارهون وامرأة زوجها عليها
ساخط ورجلا يسمع الاذان ولم يجب والراشي

هو كشف ما يكره كشفه وافشاء السر وفي الحكم تطلق على نقل القول المكروه الى غيره فيه وهي حرام الا ان يكون له ضرر فيه كالقتل والضرب والشتم ولم يمكن دفعه الا بالاعلام فيجب انه يجب منه

الا ان يثبت موته على الكفر كابي جهل منه

اي ضم اليه

لعن هؤلاء لاعانتهم على المعصية منه

اي النباش والنباشة منه

والمرتشي وعاصر الخمر ومعتصرها وشاربها
وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها
ومبتاعها وواهبها واكل ثمنها والعاشر السب
خرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قال لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما
فان كان كما قال والا رجعت عليه والحادي
عشر الفحش والثاني عشر الطعن والتعيير والثالث
عشر النياحة والرابع عشر المراء وهو طعن
في كلام الغير باظهار خلل فيه فقط والخامس
عشر الجدال فان قصد تخجيل الخصم فحرام وقد
مر والسادس عشر الخصومة وهي مذمومة وهي
وراء المراء والجدال لان المراء طعن في كلام الغير
لاظهار خلل فيه وليس فيه غرض الا تحقير الغير
واظهار مزية الكياسة والجدل عبارة عن مراء
يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة
لجاج في الكلام ليستوفي بها مالا او حق مقصود

وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا
والمراء لا يكون الا بالاعتراض على كلام سبق
والسابع عشر الغناء والتغني للناس اذا لم يكن
في العرس والاعياد وايام الافراح سماه كثير
من الفقهاء وصاحب الهداية كبيرة قال الله تعالى
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن
سبيل الله قال بعض المفسرين ان المراد منه الغناء
واما التغني في العرس والاعياد والتغني لدفع
الوحشة وحده فاختلفوا فيه دون التغني بالقرآن
والذكر والدعاء اذ التغني بحسن الصوت بلا
لحن مندوب اليه زينوا القرآن باصواتكم زينوا
اصواتكم بالقرآن ما اذن الله لشيء ما اذن
لنبي ان يتغنى بالقرآن ليس منا من لم يتغن بالقرآن
وليس المراد في هذه الاحاديث الا التغني بعدم
اضرار الكلمة عن وضعها بل يحسنها بتحسين الصوت
ويزين القراءة وذلك مستحب عندنا في الصلوة
وخارجها وفي التاتارخانية ذكر محمد رحمه الله

في السير عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه
دخل على أخيه البراء بن مالك وهو كان يتغنى
فقال أنس فقال أتخشى أن أموت على فراشي وقد
قتلت تسعة وتسعين من المشركين مبارزا سوى
ما شاركت فيه من المسلمين قوله وهو كان
يتغنى بظاهره حجة لمن يقول لا بأس للإنسان
أن يتغنى إذا كان يسمع فيونس نفسه وإنما يكره
إذا كان يسمع ويونس غيره وقال أيضا وفي الذخيرة
ومنهم من قال لا بأس في الأعياد روي أن رسول
الله صلى الله عليه كان جالسا في يوم العيد
وفي أهله جاريتان تغنيان بالدف فجاء أبو بكر
رضي الله عنه وقال لهما أتغنيان في بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما فإن هذا
اليوم يوم عيد ومنهم من قال إذا كان يتغنى
يستفيد به نظم القوافي ويصير فصيح اللسان لا
بأس به ومنهم من قال إذا كان وحده يتغنى لدفع
الوحشة عن نفسه فلا بأس به وبه أخذ شمس

وهو مذموم بالإجماع

الأئمة السرخسي رحمه الله وأما المكروه على
هذا القائل ما يكون على سبيل اللهو انتهى والثامن
عشر إفشاء السر والتاسع عشر الخوض في
الباطل والعشرون سؤال المال والمنفعة
الدنيوية عمن لا حق له فيه وهو حرام إلا
عند الضرورة والحادي والعشرون سؤال
من لم يبلغ همه عن كنه ذات الله تعالى و
صفاته وكلامه وعن الحروف أهي قديمة أو
محدثة وعن قضاء الله وقدره خرج البخاري
ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس
يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله فمن خلق الله
تعالى فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله
ورسله وفي رواية فليستعذ بالله ولينته و
زاد أبو داود فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد
الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
ثم ليتفل عن يساره وليستعذ من الشيطان والثاني

ذاتا وصفة وفعلا
يحتاج إليه في كل أمر
استهانة للشيطان الموقع
له في ذلك
منه

والعشرون السؤال من المشكلات ومواضع الغلط
للتغليط والتخجيل وهو حرام والمستحب في السؤال
عنها ان يكون للتعلم او للتعليم او حثهم على التأمل
والثالث والعشرون الخطاء في التعبير والغفلة
عند دقائق الخطاء في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق
بالله تعالى وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر
على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء
فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل
لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله روي عن حذيفة
انه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم
ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم
شئت وقال ابن عباس رضي الله عنه جاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض
الامر فقال له ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه
وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده
وخرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم

الحبلة بسكون الباء وفتحه شجرة العنب وقال صاحب القاموس وليس الغرض حقيقة النهي عن
تسميته كرما ولكنه رمز الى ان هذا النوع من غير الاناسي المسمى بالاسم المشتق من الكرم انتم احقاء
بان لا تؤهلوه لهذه التسمية غيرة للمسلم التقي ان يشاركه فيما سماه الله وخصه بان جعله صفة فضلوا
ان تسموا بالكرم من ليس بمسلم فكانه قال ان تأتى لكم ان لا تسموه مثلا باسم الكرم ولكن بالجفنة او الحبلة فافعلوا
وقوله فان الكرم اي فانما المستحق للاسم المشتق من الكرم المسلم انتهى منه

310

الرجل المسلم وزاد في رواية ولكن قولوا العنب
والحبلة وايضا خرج مسلم عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم
هذا اذا كان معجبا بنفسه مزريا بغيره اي اشدهم
هلاكا اذا صدر ذلك القول عن عجب وكان ابرهيم
يكره ان يقول اعوذ بالله وبك ويقول لولا الله
ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وقال محمد رحمه
الله في الجامع الصغير يكره ان يقول الرجل في دعائه
بحق نبيك وعلل صاحب الهداية بقوله لانه لا حق
للمخلوق على الخالق وقال في المحيط السرخسي ايضا
ويكره ان يقال بحق انبيائك ورسلك لانه لا حق
للخلق على الخالق فاقتضى التعليل في غير النبي عدم
القول بطريق الاولوية وفي التاتارخانية نقلا
عن الجامع الصغير يكره ان يقول في دعائه بحق
نبيك ولكن يقول بدعوة نبيك وجاء في الآثار
ما دل على الجواز وفي المنتقى عن ابي يوسف عن

ابى حنيفة رحمهما الله لا ينبغى لاحد ان يدعو الله
الا به ويكره ان يقول ادعوك بمقعد العز من عرشك
قال عمر والدعاء المأذون فيه والمأثور به من
قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها
وقال ايضا عن ابى حنيفة رحمه الله انه قال
يكره للرجل ان يقول فى دعائه اللهم انى اسألك
بمقعد العز من عرشك يروى هذا اللفظ بروايتين
بمعقد العز من عرشك وبمقعد العز من عرشك
من القعود فبالرواية الثانية لاشك فى الكراهية
لانه وصف الله تعالى بما لا يليق به وهو القعود
والتمكن على العرش وهو قول المجسمة واما باللفظ
الاول فلانه يوهم تعلق عزه بالعرش وان عزه حادث
اذا تعلق بالحادث والله تعالى متعال عن صفة
الحدوث وعن ابى يوسف انه قال لا يكره قال
الفقيه ابو الليث وبه نأخذ انتهى وكذا فى الهداية
قال وعن ابى يوسف انه لا بأس به وبه اخذ الفقيه
ابو الليث رحمه الله لانه مأثور عن النبى صلى الله

عليه وسلم روى انه كان يقول فى دعائه
انى اسألك بمعقد العز من عرشك ومنتهى
الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك
الاعلى وكلماتك التامة ولكنا نقول هذا خبر
واحد انتهى وفى السراجية يكره ان يدعو الرجل
اباه والمرأة زوجها باسمه وعن ابى هريرة رضى
الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يقولن احدكم عبدى وامتى كلكم عبيد الله
وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى
وفتاى وفتاتى ولا يقول المملوك ربى وربتى
ولكن سيدى وسيدتى فكلكم عبيد والرب وهو الله
عز وجل وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسم عاصية بنت عمر رضى الله عنه الى جميلة
وحزن الى سهل وعزيز الى عبد العزيز وعتلة الى
عتبة وشيطان وحكم وغراب الى عبد الله و
شهاب الى هشام وحرب الى سلم وبرة الى زينب
فقال صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم وكان

اى الكلام [illegible]

اى الشدة والغلظة

يكره ان يقال اخرج من عنده برة وسمى المضطجع
المنبعث وايضا سمى عفرة خضرة وشعب الضلالة
شعب الهدى وبنى الزينة بنى الرشدة وبنى مغوية
بنى رشد ومنع عن التكنية بابى الحكم وقال
اقبح الاسماء حرب ومرة وان اخنع اسم عند الله
ملك الاملاك وقال لا تسمين غلامك يسارا ولا
رباحا ولا نجيحا ولا افلح ولا بركة ولا نافعا
فانك تقول اثم هو فيقال لا والرابع والعشرون
النفاق القولى وهو مخالفة القول الباطن
فى الثناء واظهار المحبة وقد سبق بيانه والخامس
والعشرون كلام ذى اللسانين الذى يتكلم بين
المتعاديين كل واحد بكلام يوافقه او ينقل كلام
كل واحد الى الاخر او كان يحسن لكل واحد منهما ما
هو عليه من المعادات ويثنى عليه او يعد كل واحد
منهما ان ينصره وهذا يتضمن النفاق ويزيد عليه
وقد سبق البيان والسادس والعشرون الشفاعة
السيئة قال الله تعالى ومن يشفع شفاعة سيئة

لأنه اسم الله تعالى

اخنع اى افجر

312

يكن له كفل منها والسابع والعشرون الامر
بالمنكر والنهى عن المعروف وهو صفة المنافقين
قال الله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف
والثامن والعشرون غلظة الكلام والعنف على
المؤمنين والحال ان المستحب معهم طيب الكلام
والتبسم وطلاقة الوجه بخلاف الكفرة والمبتدعة
والظلمة قال الله تعالى واغلظ عليهم وليجدوا
فيكم غلظة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله
والتاسع والعشرون السؤال والتفتيش
عن عورات الناس والثلثون افتتاح الجاهل
الكلام عند العالم والتلميذ عند الاستاد او
عند اعلم او افضل منه والحادى والثلثون التكلم
عند الاذان والاجابة بغير الاجابة قالوا يقطع
كل عمل باليد والرجل واللسان حتى التلاوة
ان كان فى غير المسجد ولا يسلم واما رده فقد
اختلفوا فيه ويشتغل بالاجابة واختلفوا فى

أي نصيب من وزرها

وضن كما عرفت فرض على الكفاية
عند القدرة بلا ضرر دينى و
دنيوى منه

الاستحباب والوجوب فقال بالاول صاحب
الهداية وغيره وقال جماعة بالثاني كصاحب
التحفة والبدايع والثاني والثلثون الكلام
في الصلوة سوى القرآن والاذكار المأثورة
وفي التاتارخانية واذا سلم رجل على الذي
يصلي او يقرأ القرآن روي عن ابي حنيفة
رحمه الله انه يرد السلام بقلبه وعن محمد
انه يمضي على القراءة ولا يشغل قلبه كما لا
يشغل لسانه وفي فتاوى آهو وعند ابي يوسف
رحمه الله يجيبه بعد الفراغ والثالث والثلثون
الكلام في حال الخطبة ولو تسبيحا او تصلية
او امرا بالمعروف او نحوها خرج البخاري و
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك
يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت
والرابع والثلثون كلام الدنيا بعد طلوع
الفجر الى الصلوة وقيل الى طلوع الشمس لانه مكروه

بحيث الدنيا بما يتعلق الاشتغال يليق فيه قبيح لا الو فان اهل الله كراهة تنزيهية بل الاشتغال بالله تعالى وتقدس يرضي الرب منه

والخامس والثلثون الكلام عند قضاء الحاجة
في الخانية رجل سلم على من كان في الخلاء يتغوط
او يبول لا ينبغي ان يسلم عليه في هذه الحالة
فان سلم عليه قال ابو حنيفة رحمه الله يرد
عليه السلام بقلبه لا بلسانه وقال ابو يوسف
لا يرد اصلا ولا بعد الفراغ وقال محمد يرد
بعد الفراغ من الحاجة والسادس والثلثون
الكلام بعد الجماع فانه مكروه وكذلك الضحك
يكره في هذه المواضع والسابع والثلثون الدعاء
على مسلم خصوصا بالموت على الكفر فانه كفر عند
بعض مطلقا والثامن والثلثون الدعاء للكافر
والظالم بالبقاء وحصول المراد بلا شرط الايمان
والعدل والصلاح فانه لا يجوز لانه رضاء
بالمعصية والتاسع والثلثون الكلام عند
قراءة القرآن قال الله تعالى واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا والاربعون كلام الدنيا
في المساجد بلا عذر فانه مكروه لغير المعتكف

سواء استحسنه او لا واما الدعاء عليه بالكفر فان لم يكن ظالما فلا يجوز وان كان فيجوز عليه الا وعليه منه

بل يدعو له بالتوبة والصلاح ودفع الظلم منه

فاستماع القرآن والانصات عند القراءة وان كان واجبا في الصلوة فهذه الآية الا ان العبرة لعموم اللفظ والكلام لا لخصوص السبب وتقييد منه

والحادي والاربعون وضع لقب بسوء مسلم
وذكره به من غير ضرورة التعريف قال الله
تعالى ولا تنابزوا بالالقاب واما اللقب الحسن
فجائز والثاني والاربعون اليمين الغموس
وهو الحلف على الكذب عمدا والثالث والاربعون
اليمين بغير الله تعالى وهذا على قسمين الاول
ما كان بطريق التعليق على امر فان كان الامر
المعلق غير الكفر كالطلاق والعتاق والنذر
فعند بعضهم يكره مطلقا لما فيه التزام ما لا
يلزمه الشرع وعند بعضهم كره في الماضي دون
المستقبل وعند عامتهم لا يكره لعدم النهي
عنه وان كان الامر المعلق كفرا فحرام ثم ان كان
صادقا لا يكفر وان كان كاذبا فهذا من اكبر الكبائر
حتى ذهب بعضهم الى انه كفر مطلقا والرابع
والاربعون كثرة الحلف ولو بالصدق قال الله
تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ولا تطع
كل حلاف مهين والخامس والاربعون سؤال

الامارة والقضاء فانه لا يحل كسؤال المال
والسادس والاربعون سؤال تولية اوقاف
قالوا لا يولى من طلب التولية على الاوقاف كمن
طلب القضاء لا يقلد والسابع والاربعون
طلب الوصاية قال قاضيخان لا ينبغي للرجل ان
يقبل الوصاية لانها امر على خطر لما روي عن
ابي يوسف انه قال في الدخول في الوصية اول
مرة غلط والثانية خيانة وعن غيره والثالثة
سرقة وعن بعض العلماء لو كان الوصي عمر بن
الخطاب لا ينجو عن الضمان وعن الشافعي لا يدخل
في الوصية الا احمق او لص انتهى فلذا قيل
اتقوا الواوات والثامن والاربعون دعاء
الانسان على نفسه وقد مضى فيما سبق والتاسع
والاربعون رد عذر اخيه وعدم قبوله والخمسون
تفسير القرآن برأيه روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من قال في كتاب الله تعالى
برأيه فاصاب فقد اخطأ قال الفقيه ابو الليث

النهي انما ورد الى المتشابه منه لا الى جميعه
كما قال الله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ
فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله و
الراسخون في العلم يقولون آمنا به الآية
لان القرآن انما نزل حجة على الخلق فلو لم
يجز التفسير لا يكون حجة بالغة فاذا كان كذلك
جاز لمن يعرف لغات العرب وعرف شأن النزول
ان يفسره واما من كان من المتكلفين ولم يعرف
وجوه اللغة لا يجوز له ان يفسره الا مقدار ما سمع
فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على سبيل التفسير
انتهى والحادي والخمسون السؤال عن حل شيء
وحرمته وطهارته ونجاسته صاحبه ومالكه
تورعا بلا ريبة وامارة ظاهرة على الحرمة و
النجاسة اذ الصحابة والتابعون اعتمدوا على
الظاهر فان اليد دليل الملك والاصل في الاشياء
الحل والطهارة واليقين لا يزول بالشك والثاني

والخمسون اخافة المؤمن من غير ذنب واكراهه
على ما يريده والثالث والخمسون قطع كلام
الغير بكلامه من غير ضرورة والرابع والخمسون
رد التابع كلام متبوعه ومقابلته ومخالفته
كرد الرعية كلام الامير وكلام القاضي
والولد كلام والده والمملوك كلام سيده
والتلميذ كلام استاده والمرأة كلام زوجها
والجاهل كلام العالم قال في الخلاصة رجلان
وقعت بينهما خصومة واخذ احدهما خطوط
المفتين فقال الآخر ليس كما كتبوا ولا يعمل
بهذا يجب عليه التعزير والخامس والخمسون
التكلم مع الشابة الاجنبية فانه لا يجوز بلا
حاجة حتى لا يشمت ولا يسلم عليها ولا يرد
سلامها جهرا بل في نفسه وكذا العكس لقوله
صلى الله عليه وسلم واللسان زناه الكلام
والسادس والخمسون تناجي اثنين عند ثالث
ولو سائلا كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم
ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا
بالناس من اجل ان ذلك يحزنه ولا تباشر
المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر اليها
والسابع والخمسون السلام على الذمي بلا حاجة
عنده فانه مكروه ومعها لا بأس به وعن اصحابنا
انه لا يسلم على الفاسق المعلن ولا على الذي
يتغنى والذي يطير الحمام كذا في التاتارخانية
نقلا عن العتابية ويرد سلام الذمي بقوله
وعليكم ولا يزيد عليه والثامن والخمسون
السلام على من في الخلاء وقد تقدم والتاسع
والخمسون دلالة طريق المعصية لمن يريدها
فانها لا تجوز لكونها اعانة على المعصية وفي
الخلاصة ذمي يسأل مسلما عن طريق البيعة
لا ينبغي له ان يدله انتهى كالدلالة للشرطي
والظلمة اذا ذهبوا للظلم والفسق وتعليم
المسائل للمبطل في دعواه وتعليم الاقوال الضعيفة

والمرأة بهذه المباشرة نظر المرأة بشرة امرأة اخرى بالتلذذ منه

لانه هو غير مشروع منه

بالغنى المحرم منه

منها والستون الاذن والاجازة لمن له
الاطاعة فيما هو معصية فان الرضا بالمعصية
معصية كاذن الزوج لامرأته ان تخرج
من بيته الى غير مواضع مخصوصة وقد
مضى البيان فيما سبق وجملة ما ذكر الى
هنا آفات اللسان وان السكوت عن كل
كلام وجب او سن آفة اللسان حرام او
مكروه وصاحبه شيطان اخرس اللهم اعنا
على ذكرك والقيام على طاعتك **في بيان**
آفات الاذن اعلم وفقك الله تعالى
وايانا ان استماع كل ما لا يجوز تكلمه بلا
ضرورة دينية كاقامة واجب او سنة
او دنيوية كخوف الهلاك واخذ الحق وكسب
المعاش من آفات الاذن حرام او مكروه و
تكلموا في معنى المكروه والمروي عن محمد رحمه الله
نصا ان كل مكروه حرام الا انه لما لم يجد فيه
نصا قاطعا لم يطلق عليه لفظ الحرام وعن

ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله الى
الحرام اقرب كذا في الهداية ومن الآفات
استماع الملاهي بلا اضطرار ديني او دنيوي
كالغزو والحج والتجارة اذا لم يمكن الا مع
استماع الملاهي فلا يضر قال قاضيخان عن
النبي صلى الله عليه وسلم استماع الملاهي
معصية والجلوس عليها فسق والتلذذ بها من
الكفر انما قال ذلك على وجه التشديد وان سمع أي من كفران النعمة منه
بغتة فلا اثم عليه ويجب عليه ان يجتهد كل
اجتهاد حتى لا يسمع لما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادخل اصبعيه في اذنيه
انتهى ومنها استماع الغنى بالاختيار وقد
مضى في آفات اللسان وقال ايضا حجة الاسلام
في نقل المذاهب فيه حكى القاضي ابو الطيب
الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة و
سفيان رضي الله عنهم وجماعة من العلماء الفاظا
يستدل بها على انهم رأوا تحريمه قال الشافعي

في كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه
يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه
ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه
من المرأة التي ليست بمحرم لا يجوز عند اصحاب
الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من
وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة
وقال قال الشافعي رحمه الله صاحب الجارية
اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته
وقال حكى عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة
بالقضيب وقال وضعته الزنادقة ليشتغلوا به
عن القرآن وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر
اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من
الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما
لعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل
الدين ولا المروءة واما مالك فقد نهى عن الغناء
فقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان
له ردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا

ابرهيم بن سعد وحكى واما ابو حنيفة رحمه
الله فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء
من الذنوب وكذلك سائر اهل الكوفة كالثوري
وحماد والنخعي والشعبي وغيرهم فهذا كله
نقله القاضي ابو الطيب الطبري انتهى وقد سبق
ذكر التغني في القرآن والالحان في تعظيم القرآن
وتلاوته حق تلاوته ونقلا عن التتارخانية
فمن استمع القرآن ممن يقرأ باللحن وخطاء بلا
تجويد فعليه النهي ان ظن تأثير نهيه وتعليمه
والا فعليه القيام والذهاب ان قدر بلا ضرر
فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ومنها
استماع امرأة اجنبية من غير حاجة خرج
البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
مرفوعا كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك
ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان
زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد
زناها البطش والرجل زناها الخطى والقلب

يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه
ومنها استماع حديث قوم يكرهونه الا ان
يكون في قصد اضراره فقد روى عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد
بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع الحديث
قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الانك
يوم القيمة ومن صور صورة عذب وكلف
ان ينفخ فيه الروح وليس بنافخ واعلم ان
ما ذكر من آفات الاذن من حيث الاستماع
واما آفاته من حيث انه اعرض عنه اما بعد
الاستماع رأسا واما بعد التفاته وقبوله فكعدم
استماع القرآن والخطبة وخطاب المتبوع كالامير
والقاضي والاستاد والوالدين والمحتسب والمنصوب
والزوج والسيد وكعدم استماع القاضي كلام
الخصمين او احدهما والمفتي كلام المستفتي
واولي الامر شكوى المظلوم والمسؤل عنه كلام

على سبيل التعجب

السائل المضطر والاغنياء والكبراء كالام الفقراء
والضعفاء استكبارا واستحقارا ونحو ذلك
مما يجب او يسن استماعه اللهم اجعلنا من
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه

في بيان آفات العين اعلم ان حفظ العين
والنظر مهم وهو عسير من حيث انه قد يتسهل
به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشأ
منه فان النظر مبدأ الزنا والنظرة الاولى
اذا لم يقصد لا يؤاخذ بها والثانية يؤاخذ بها
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال
العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المرأة فان
النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان
في ترددانه عن وقوع البصر على النساء والصبيان
ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة
وعند ذلك ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه
المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن

ثارت الشهوة وعجزت عن الوصول ولا يحصل
له الا التحسر وان استقبح له لم يستلذ به
واثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما اليه
فلا يخلو في كلتي حالتيه عن معصية وعن
اثم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق
اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطأ
نظره وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي
عليه القوة ونهاية التوفيق وبالجملة ان
غض البصر مامور به قال الله تعالى قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن
بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن
الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن
او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن
او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن

أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي
الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا
على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن
ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا
أيه المؤمنون لعلكم تفلحون وعن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه مرفوعا قال الله تعالى
النظرة سهم من سهام إبليس من تركها من مخافتي
أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه وعن أبي
أمامة رضي الله عنه مرفوعا ما من مسلم ينظر
إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله
له عبادة يجد حلاوتها في قلبه وعن أبي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا كل عين باكية يوم القيمة
إلا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت
في سبيل الله تعالى وعينا خرجت منها مثل
رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم إن
أعظم الآفات النظر إلى عورة إنسان قصدا (أي آفات العين)
فالمنظور إليه إن كان نفسه أو صغيرا أو صغيرة

حيث لا يتكلم ذلك الصغير أو الصغيرة المنظور
إليهما أو منكوحته بنكاح صحيح أو أمته
التي لم يحرم عليه بمصاهرة بأن تكون موطوءة
أبيه أو ابنه أو أمته الموطوءة أختها ولم
يحرمها عليه بنكاح أو بيع لغيره أو أم (عطف على مصاهرة)
أمته الموطوءة أو رضاع أو نكاح أو حرمة
غليظة بأن طلقها طلقتين ثم ملكها فلا يحل
له وطؤها حتى تنكح زوجا غيره أو بكونها
مشركة غير كتابية أو مشتركة يجوز النظر
(جواب إن)
من الزوجين إلى كل عضو منهما إلا أنه قال
بعضهم الأدب أن لا ينظر إلى الفرج وإن كان
المنظور إليه غير هؤلاء فإن كان النظر بعذر
شرعي فيجوز سواء كانت تحت السرة أو غيره
وإن لم يكن بعذر فإن كان بشهوة أو بشك (أي الموضع المنظور إليه)
فيحرم سواء كان المنظور إليه امرأة أو غيرها
والناظر شابا أو شيخا والمنظور إليه عورة
أو غير عورة وإن لم يكن بشهوة ولا شك

فان كان المنظور اليه ذكرا يحرم النظر اليه
من تحت السرة الى تحت الركبة والسرة
ليست من العورة عندنا وان لم يكن المنظور
اليه ذكرا او انثى فان كان الناظر كالمنظور
اليه انثى فكنظر الرجال بعضهم الى بعض
وان لم يكن الناظر مثل المنظور اليه انثى بل
ذكرا فان كانت المنظورة اليها حرة اجنبية
غير محرم للناظر يحرم اليها النظر سوى وجهها
وكفيها والنظر الى وجهها وكفيها من غير حاجة
مكروه واما عند الحاجة فكالنظر الى الذكر
بل مع زيادة الظهر والبطن اذا دخل العذر
في الحاجة والعذر تسعة الاول تحمل
الشهادة كما في الزنا الثاني اداء الشهادة
في حق المرأة الثالث حكم القاضي الرابع
الولادة للقابلة الخامس البكارة في العنة
والرد بالعيب والسادس الختان سنة في الذكر
والخفض مستحب في البكر السابع المداواة كالاحتقان

للامراض لا للجماع الثامن ارادة النكاح
التاسع ارادة الشراء ففي هذه الاعذار يجوز
النظر ولو حصل الشهوة بغير قصد وفي حكم النظر
الى اليدين النظر فوق ثيابها ان حصل الشهوة
ومن الآفات النظر الى بيت الغير من شق
الباب او من نقب او كشف ستر فانه منهي عنه
خرج البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله
عنه مرفوعا من اطلع في بيت قوم بغير اذنهم
فقد حل لهم ان يفقئوا عينه وعن ابي ذر
رضي الله عنه مرفوعا ايما رجل كشف سترا
فادخل بصره قبل ان يؤذن فقد اتى حدا
لا يحل له ان يأتيه ولو ان رجلا فقأ عينه
لهدرت ولو ان رجلا مر على باب لا ستر له
فرأى عورة اهله فلا خطيئة عليه انما الخطيئة
على اهل المنزل وعن عبد الله بن بسر رضي الله
عنه مرفوعا لا تأتوا البيوت من ابوابها
ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا فان اذن

ورواه الترمذي

لكم فادخلوا والّا فارجعوا اعلم انّ السبب
الداعى يقام مقام المدعوّ مثل اقامة المسّ
والنكاح سبب داع الى الوطء فما كان سببا
للذنب فهو ذنب وقد يقام الدليل مقام
المدلول الّا انّ الفرق بينهما انّ السبب لا
يخلو عن تأثير او افضاء والدليل يخلو عن ذلك
ومن الآفات مشاهدة المعاصى والمنكرات
بالوقوف عليها والنظر اليها بغير ضرورة
ومن الآفات اتباع البصر الى انقضاض كوكب
فانّه منهى عنه والنظر الى من فوقه فى امر الدنيا
على وجه الرغبة والى من دونه فى امر الدين
ايضا منهى عنه وكذا النظر الى الفقراء والضعفاء
بطريق الاستخفاف والاحتقار فانّه تكبّر حرام
ومن الآفات ايضا عدم النظر فى كلّ موضع
يجب النظر فيه وانّما يجب اذا توقف عليه واجب
كحضور الجمعة والجماعات اذا لم يمكن بدون
النظر وكحكم القاضى والشهادة ونحوهما فى

لانّه سبب لكفران النعمة لله تعالى

لانّه سبب لتقليل عبادة الله تع

فانّه يتوقف على النظر

اذ لا يكون الوضع نظر يحكم عليه

بيان آفات الفرج اعلم اوّلا انّ شهوة
الوقاع سلّطت على الانسان لفائدتين احديهما
ان يدرك لذّته فيقيس عليها لذّات الآخرة
فانّ لذّة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذّات
الاجساد كما انّ النار والمها اعظم الآلام الاجسام
والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم
وليس ذلك الّا بالم محسوس ولذّة مدركة
فانّ ما لم يدرك بالذوق لا يعظم اليه الشوق
الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام
الوجود فهاتان فائدتها ولكن فيها من الآفات
ما يهلك الدين والدنيا ان لم يضبط ولم يقهر
ولم يرد الى حدّ الاعتدال وعن ابن عبّاس
رضى الله عنه فى قوله تعالى ومن شرّ غاسق
اذا وقب هو قيام الذكر وقد اسنده بعض
الرواة الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
الّا انّه قال فى تفسيره الذكر اذا دخل وقد
قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله

وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك
من شر سمعي وبصري وقلبي ومني وقال
صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان
فلولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة
على الرجال كذا في الاحياء وبالجملة الحذر
عن غضب الله تعالى وسخطه لازم للانسان
فان الذنوب من حيث انها عصيان رب الارباب
لا يبعد ان يكون مستجلبة للغضب كالسم
يقتضي الهلاك وان يدفع غائلته بالترياق
فان سبق رحمته سبحانه غضبه يقتضي
التجاوز عنها وهو الغفور الرحيم فاما
آفات الفرج وهي الزناء واللواطة ووطء
الحائض فانها حرام ويكفر مستحلها قال
في مختارات النوازل ووطء الحائض حرام
يكفر مستحله ويفسق مباشره انتهى وحرم
اللواطة بزوجته وامته وعبده ايضا ولا
يمنع ملك النكاح واليمين حرمة اللواطة اذ

الحرمة لا تسقط بالشبهة لكن الشبهة
وان كانت ضعيفة تمنع اكفار المستحل و
في مختارات النوازل ويجتنب عن الاستمتاع
ما تحت الازار حالة الحيض عند ابي حنيفة
رحمه الله خلافا لمحمد ويجوز ان يستمتع
ما فوق الازار وظاهر قوله تعالى فاعتزلوا
النساء في المحيض اي الفرج وما قرب منه
هو في حكمه فيجتنب منه ولا يعتزل عن فراشها
لانه تشبه باليهود وقد صح ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يضاجع بعض نسائه
وهن حيض وكذلك الامة البالغة اذا
حاضت لا يتعرض مولاها تحت الازار و
تفسير الازار هو الازار المعروضة اي لعله المعروفة
لا يستمتع بها ما تحت السرة وقيل المراد من
الازار الاستتار يعني اذا استترت يحل له
الاستمتاع بما فوقه وعلى هذا يجتنب عن
الفرج لا غير ولو انقطع حيضها ما دون

العشرة لم يحل له وطئها حتى تغتسل ولو
انقطع على العشرة يحل وطئها قبل الغسل
ولو انقطع ما دون عادتها وفوق الثلث
لم يحل له وطؤها وان اغتسلت حتى يمضي
عادتها فاذا مضت عادتها قبل يعاد الغسل
انتهى وفي صحيح البخاري كانت اليهود تقول
اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول
فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى
شئتم وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
من اتى حائضا او امرأة في دبرها او كاهنا
فصدقه فقد كفر بما انزل على محمد وعنه رضي
الله عنه مرفوعا ملعون من اتى امرأته في
دبرها وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا
الفاعل والمفعول به ومن اتى بهيمة فاقتلوه
واقتلوها معه فعندنا يعزر من اتى بهيمة
والبهيمة تذبح ويجوز بيع لحمها والاكل

والانتفاع حية ويضمن لصاحبها قيمتها ولا
يجوز ان يجامع قبل الاستبراء من يجب عليه
استبراؤها او يفعل دواعيه فانها حرام
ايضا قبله وكذا ان يأتي زوجته الصغيرة
التي لا تتحمل الجماع او المريضة المتضررة
بالجماع وكذا امته الصغيرة او المريضة و
كذا الجماع عند احد يعرفه وكره ان يستقبل
القبلة عند قضاء الحاجة او الشمس والقمر
اذا لم يكونا محجوبين وكذا استدبار القبلة و
الاستنجاء بما له قيمة من الملبوس والماكول
للانسان او للدابة او نحوه او نجاسة كالروث
والتخلي في الطريق او في ظل الناس او في مواردهم
خرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
اتقوا اللاعنين قالوا وما اللاعنان يا رسول
الله قال الذي يتخلى في طريق الناس او في ظلهم
والبول قائما بلا عذر والبول في الماء الراكد
والجاري وجحر النمل والمغتسل وحبسه في الاناء

وقد ورد النهي على ان يبال في الماء الراكد
والجاري وان لا ينقع بول في طست في بيت
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان
يبول الرجل في مستحمه وقال ان عامة الوسواس
منه ولا يجوز ان لا يجامع زوجته اصلا
مع القدرة اذ يجب البيتوتة والمجامعة معها
احيانا وان يعزل عند الجماع بخلاف امته
فانه لا يجب مجامعتها اصلا وان يترك الختان
بلا عذر كالمرض وكبر السن **في بيان آفات
البطن** اعلم اولا ان اعظم المضرات للانسان
شهوة البطن فبها اخرج ادم وحوى من دار
القرار الى دار الذل والافتقار فالبطن على التحقيق
ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والافات اذ
يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات
ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في
المال والجاه الذين هما الوسيلة الى التوسع في
المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال

والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات
والمحاسدات ثم يتولد منهما افة الدنيا و
غائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى
ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء
ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء
وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها
من بطر الشبع والامتلاء فلو اكل ما اكل من
الطيبات ليرفق مطيته حتى لا يقصر في طرق
الطاعات والصالحات فذلل نفسه بالجوع
والصبر عن المشتهيات المحرمات حتى ضيق
به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله تعالى
ولم تسلك سبيل البطر والطغيان وبالجملة ان
في تقليل الاكل والاجتناب عن كثرة ومداومة
الشبع صحة الجسم وجودة الحفظ والزكاء و
صفاء القلب وخفة المؤنة وامكان القناعة
والله الموفق فاما افة البطن وهي بمنزلة
الافات فهي ادخال الحرام لعينه كالخمر والدم

ولحم الخنزير ونحوها او لغيره كالمسروق
والمغصوب وما يقرب وهو ما يكون مكروها
تحريما وما يملكه خبيثا بالعقد الفاسد ونحوه
مما يجب فسخه او تصدقه والاكل فوق الشبع
بلا قصد صوم غد او اكرام ضيف واكل ما يضره
البدن كالتراب والطين والجص ونحوها وشربه
واما اكل ما فيه نجس كلحم الحية للتداوي
اذا انحصر فيه فقد اختلفوا فيه وجوز بعضهم
بلا انحصار ايضا اذا عرف فيه الشفاء ولو
باخبار الطبيب الحاذق فان الضرورات تبيح
المحظورات ويكره الاكل من السوق بمرائي الناس
وفي الطريق وعند المقابر واكل طعام الميت
والاكل من اواني الذهب والفضة منهما للرجال
والنساء وكذا الاكل بملعقة الذهب والفضة
وكذا الاكتحال بميل الذهب والفضة وكذا احراق
العود في المجمر الذهب والفضة واما المذهب
والمفضض فجائز استعماله عند الامام ابي حنيفة

مثل شرب العسل لمن غلب فيه الصفراء منعه

رحمه الله اذا لم يضع فمه على الذهب والفضة
قال في التاتارخانية وكان ابو حنيفة رحمه الله
لا يرى بالاناء المفضض بأسا اذا وضع فاه على
العود او على الكوز وقال ايضا في الجامع الصغير
عن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يكره الاكل
والشرب في آنية الفضة والذهب والادهان
فيها قالوا وهذا اذا كان يصيب الدهن من
الانية على رأسه او بدنه واما اذا ادخل
يده في الاناء واخرج منها الدهن ثم استعمله
فلا بأس وكذلك اذا اخذ الطعام من القصعة
ووضعه على خبز او ما اشبه ذلك ثم اكل
لا بأس به قال ويستوي فيه الرجل والمرأة
يعني في الاكل والشرب من الذهب والفضة
انتهى وفي الهداية ولا يجوز الاكل والشرب
والادهان والتطيب انتهى وكره ان يؤكل
على خوان الذهب والفضة وان يؤكل طعام
ضيافة عند لعب ولهو وسائر المنكرات

وان يؤكل طعام حصل فيه العلم او الظن
الغالب على انه اتخذ للرياء والسمعة ويستحب
ان يؤكل على السفرة والخوان ويكره ان يأكل
من وسط الطعام ومما يلي غيره اذا
كان لونا واحدا ويكره ترك التسمية وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا
اكل احدكم طعاما فليقل بسم الله فان نسي
في الاول فليقل في الاخر بسم الله في اوله واخره
والاكل بشماله والشرب بها قال بعضهم بل
الاخذ بها والاعطاء بها ويكره قطع اللحم و
نحوه بالسكين عند عدم الحاجة وروي عن
صفوان بن امية رضي الله عنه انه قال
كنت اكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ اللحم بيدي من العظم فقال ادن اللحم من
فيك فانه اهنأ وامرأ ويكره مسح السكين
واليد بالخبز وجوز ان اكل بعده واذا اكل اكثر
من حاجته ليتقيأ قال الحسن البصري روح الله

روحه لا بأس به قال رأيت انس بن مالك رضي
الله عنه يأكل الوانا من الطعام ويكثر ثم
يتقيأ وينفعه ذلك ولا يأكل طعاما حارا
ولا يشم ويكره رميها في الفم والنفخ في
الطعام والبزاق والمخاط نحو القبلة وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يشرب
من ثلمة القدح وان ينفخ في الشراب ويكره
اعطاء الشارب بعد الشرب الى من في
يساره بلا اذن من في اليمين ويكره الشرب
بنفس واحد والتنفس في الاناء بل باسم الله
في اوله والحمد لله في آخره لانه لازب
كما مضى فيما سبق وفي الاحياء وكان معروف
الكرخي روح الله روحه يهدى اليه طيبات
الطعام فيأكل فيقال له ان اخاك بشرا لا
يأكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع
وانا بسطتني المعرفة ثم يقول انما انا ضيف
في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني

صبرت مالى وللاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم
ابن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ
لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حوارى فقال
يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا
اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر
الرجال انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم ان ترك
الاكل والشرب الى ان يفضى الى ترك الواجبات
والسنن حرام ومعصية اللهم اعنا على قيام
طاعتك **في بيان آفات اليد**
اعلم وفقك الله وايانا ان اكثر آفات اليد
مما كان حراما كالقتل والجرح لنفسه او
غيره بلا حق او مكروها كقتل النملة بدون
الاذى والهرة اذا لم تكن موذية والمثلة و
ضرب الوجه مطلقا والضرب بغير حق
والغصب والغلول والسرقة واخذ الغنى او
الهاشمى او الاصل او الفرع الزكوة والعشر
والنذر والفطر والكفارة واللقطة وما وجب

تصدقه من المال الخبيث قد مضى ذكره مما
سبق خصوصا فى الباب الاول والثانى
والثالث والرابع من المقصد الخامس نعوذ
بالله من الآفات **في بيان آفات الرجل**
اعلم ان جميع ما يلقى العبد فى الدنيا لا يخلو
من نوعين احدهما ما يوافق هواه والاخر
ما لا يوافقه فلا يخلو عن احدهما او كلاهما
فى جميع الاحوال فالنوع الثانى وهو ما لا يوافق
الهوى والطبع يتحمله اما باختياره او بغيره والاول
وهو ما يوافق الهوى هو صحة الاعضاء و
سلامة الجوارح وذلك نعمة عظيمة يحتاج صاحبها
الى شكر منشئها ومنعمها قال عز من قائل قل
هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون ولكل نعمة شكر
يليق بها فشكر نعمة اليد ان يصدر منه الجميل
كانواع الاحسان والصدقة التى لا يتبعها اذى
وشكر نعمة الرجل ان يمشى فى سبل الطاعات والحسنات

والمجاهدات ويسعى في طرق الاعمال الصالحات
والخيرات والمبرات وان لا يمشي في طرق
المحرمات ولا يذهب الى مجالس المعاصي
والملاهي والمنكرات اما لفعلها او للنظر اليها
كالسرقة وشرب الخمر وانواع الملاهي من اللعب
واللهو والرقص على طريق اللعب واللهو وساير
ما بين حرمته وكراهته في كتب الفقه فاذا
عرفت هذا فاعلم ان من كان حاله على ما تقدم
من شكر النعمة فهو على الصراط المستقيم
واما من لم يضبط نفسه عن الاسترسال
والركون الى الدنيا والانهماك في ملاذها
مباحا او غير مباح فهو اضل باتباعه هواه
بغير هدى من الله ومكب على وجهه محتاج
الى الرجوع والانابة قال الله تعالى ومن
اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال
تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن
يمشي سويا على صراط مستقيم فالمؤمن المتقي

يواظب الشكر على نعم الله تعالى ويعلمه على
من لا يعلمه اذ حاله ان يحب لهم ما يحب لنفسه
ويراجع العلماء فيما لا يعلمه عملا بقوله تعالى
فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقد تقدم
مراتب العلماء وقال عز شانه نرفع درجات
من نشاء وفوق كل ذي علم عليم وقال تعالى
وقل رب زدني علما والله سبحانه وتعالى
يهدينا الى الحق وتحقيقه ويسددنا بمنه و
جوده بتوفيقه ربنا هب لنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة
انك انت الوهاب ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
فانك انت واسع الرحمة والجود ومفيض
الجود على كل موجود فالحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى ولقد من الله سبحانه
وتعالى على عبده حيث فتح ابواب رشده

بجمع هذه الفوائد ونظم تلك الفرائد
في قلادة شرح النصيحة المرصع بالكلمات
المرغوبة الفصيحة المسمى بوشحة النصيح
من الحديث الصحيح ووقع الشروع الى هذا
الجمع في يوم الاربعاء العاشر من سابع
العشر السادس وتمام بياضه في
اليوم السبت الرابع عشر من رابع العشر
السابع من العشر العاشر من سني
المائة الاولى بعد الالف
من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل التحية والحمد
لله اولا وثانيا
م





قرأ هذا الكتاب من اوله الى اخره قراءة بحث وتفهيم مع ضبط
بعض الأحاديث وبعض الكلمات الغريبة وتقريرات
كتبناها على هامش الكتاب العبد الفقير محمد الشروري على شيخه
العالم العلامة فريد عصره ووحيد دهره العالم
الرباني مولانا الشيخ محمد الخليلي ادام الله
نفعه امين بحضور افاضل من العلما وسماعهم وابحاث
وبحضور سادات من الزهاد اهل الاعتبار فرحم الله
مؤلفه فلقد اجاد ونصح واتى بما فيه من القول الاصح
واعتمد على ما نقله العلما الاخيار والمحدثين الابرار
فهو كتاب جامع لما تشتت في الكتب التي لم يقدر يصل
الى مراجعتها الا العلما الاعلام فهنيئا لمن جعل هذا
الكتاب امامه فانه الموصل الى كل خير ديني ودنيوي
فمثله كمثل الشيخ المربي الموصل الى كل نفع اللهم
ارحم مؤلفه واحفظ اللهم صاحب هذا الكتاب في نفسه
وماله وجماعته ومحبيه اجمع اللهم له بين خيري
الدنيا والاخرة واجعل اقواله وافعاله وحركاته
وسكناته مطابقة لمرضاتك يا من لا يرد السائلين
امين يارب العالمين وقد وقع الفراغ من قراءته
في المدرسة البلدية الملاصقة والمجاورة للمسجد
الاقصى الشريف في يوم الاحد من العشر الاول
من شهر صفر الخير من شهور سنة سبع وعشرين
بعد المائة والالف